

الجمَل

أو

النَّصْرَةُ فِي حَرْبِ الْبَصْرَةِ

لِلْمُؤَلِّفِ

فَخْرُ الشَّيْخَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ التَّمِيمِ

الْمَلْفَبِّ بِالشَّيْخِ الْمِفِيدِ

الْمُتَوَسِّتَةِ سَنَةِ ٤١٣ هـ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ترجمة الشيخ المفيد

هو محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن النعمان ابن سعيد بن جبير (١) ولد سنة ٣٣٨ (٢) في الحادى عشر من ذى القعدة بقرية تعرف (بسويقة ابن البصرى) من عكبرى (٣) وتبعد عن بغداد إلى ناحية الدجيل عشرة فراسخ (٤) ، وكان ربعة من الرجال نحيفاً أسمر اللون (٥) .

عرف بابن المعلم لأن أباه كان معلماً بواسطة (٦) ، كما اشتهر بالمفيد) أما لأن الإمام صاحب العصر (عجل الله فرجه) لقبه به ، كما نص عليه ابن شهر آشوب (٧) ، أو أن شيخه على بن عيسى الرمانى لقبه به ، كما أثبتته الشيخ ورام (٨) .

-
- (١) النجاشى ص ٢٨٣ .
 - (٢) ابن التديم فى الفهرست ص ٢٧٩ .
 - (٣) مجموعة ورام ص ٤٥٦ .
 - (٤) معجم البلدان (ج ٦ - ص ٢٠٣) .
 - (٥) شذرات الذهب (ج ٣ - ص ٢٠٠) .
 - (٦) لسان الميزان (ج ٥ - ص ٣٦٧) .
 - (٧) معالم العلماء ص ١٠١ طهران .
 - (٨) المجموعة ص ٤٥٦ .

وكيف كان فهو الحرى بهذا اللقب ، لاجتماع أهل الفضل وذوى التحقيق من الفريقين على تقدمه على من عاصره ، وتبرزه في العلوم العقلية والنقلية والحديث والمرجال والأدب ، وله قوة العارضة في الجدل والظهور على الخصم . قال ابن النديم : شاهدته وجالسته فرأيته شديداً الفطنة ماضى المخاطر بارعاً في العلوم .

وزيد ابن حجر العسقلاني بقوله : ان له على كل إمام منة .

وصادق على هذه الظاهرة في شيخنا المفيد كل من الذهبي والياقبي وابن كثير وابن العماد وأبو حيان التوحيدى (١) .

ومهما تكثرت الاقوال من علماء الإمامية وغيرهم في حق الشيخ العظيم فاني أرى البيان لينحسر عن تحديد نفسيته وما آتاه المهيمن جل شأنه من ملكات فاضلة بعد أن خاطبه (إمام العصر) بحمل الله فرجه في كتابه الاول : بالأخ السديد ، والمولى الرشيد أيها المولى المخلص في ودنا الناصر لنا ، إلخ .

ويقول في الثاني : من عبد الله المرابط في سبيله إلى ملهم الحق ودليله ، سلام عليك أيها العبد الصالح الناصر للحق الداعى إليه بكلمة الصدق ؛ إلخ (٢)

فإنك بعد أن أحطت خيراً بأن صاحب الناحية المقدسة لم يخاطب أحداً إلا باسمه الساذج من دون إطراء كما إنه عليه السلام لا يلفظ إلا نفس الحقيقة سواء في ذلك مدح رجل أو بيان حكم أو فصل قضاء

(١) انظر أقوالهم في ترجمته المطبوعة مع أمالي المفيد ص ٢ في النصف طبعة ثانية .

(٢) الكتابان في احتجاج الطبرسى ص ٢٧٧ ط النجف .

وهكذا سبيل امانه الوحى والحجج على الخلق فانهم لا ينطقون إلا عن الأمر الألهى .

تعرف حينئذ ان من يتخذة (حجة الزمن) عليه السلام أخأله ويعترف له بالصدق فى الأقوال والرشد فى الأمر هو فوق مستوى البشر بعد الحجج الاطهار . نعم وجده صاحب الناحية المقدسة ذلك الرجل الناهض للدعوة الآلهية الناشر للمعارف الاحمدية والذاب عن قدس الشريعة المطهرة فأعطاه ذلك الرسام المشعر بالعظمة والتفوق على غيره بمن عاصره .

كتاب الجمل :

وان من يقره كتبه فى الامامة والفقہ والحديث يدعن بأنه ذلك المتبرز فى البرهنة الصحيحة ودحض معرة الشبه والإحاد ، وليس من البدع إذا كان شيخ الامة المفيد مستقاها فى العلوم ومورد ريبها ومحل ثقتها . أما كتاب (الجمل) فيعطى القارىء صورة واضحة لشيخنا الأعظم من دقة انظر وقوة فى الحجج كما انه يوقف الباحث على الآراء فى الإمامة وما يرتونه فى هذا الحادث الذى ألقى الفكر وأخذ بمن لم يستضىء بنور الحقيقة إلى مهوى صحيح .

ولقد دلنا هذا الكتاب المفعم بالشواهد التاريخية الصحيحة عند الفريقين على نفسيات الرجال وضعف الأدمغة مع عدم التباعد عن أحاديث الرسول الاقدس فى حق وصيه المقدم والخلفاء من ذريته ، وان الخلاف عليه وخيم العاقبة ، وهذا بعد التعريف بمواقفه فى الإسلام يوم

كان الشرك ضارباً بجسرانه مخيماً على أولئك الضعفاء وبمضاء من سيف
أمير المؤمنين عليه السلام ونمير من فضله قام عمدة التوحيد واحكمت
قواعد الايمان وانقشعت سحب الضلال واستنار العالم بالحقايق .

كان كتاب (الجمل) المائل اليوم أمام القراء الكرام محتبناً في زوايا
المكتبات لا يصل اليه إلا النفر النزر من رواد السيرة والتاريخ حتى
قيض الله سبحانه المهذب الغيور (محمد كاظم بن الحاج محمد صادق الكنتي)
صاحب المطبعة الحيدرية في النجف فأخرجه إلى القراء تلبية اطلبهم ونزولا
عند رغبتهم ولكن الأسراع في الأجابة وحرارة الظروف أثرت على
العناية في تصحيح الكتاب وتدقيقه غير ان الرغبة الاكيدة في الوقوف
على ما فيه من حقايق التي لم يحوها غيره من المؤلفات على كثرتها أوجب
تهافت القراء عليه ثقة بشيخنا المعظم لما أوتى من سعة في الحديث وثبتت
في النقل ومحص دقيق لقضايا التاريخ .

وبعد فقاد نسخ الطبعة الاولى اجتهد الناشر صاحب (المطبعة
الحيدرية) في عرض الكتاب على جماعة من أعلام المؤرخين فدققوا
النظر في الكتاب بعد المقابلة على نسخة العلامة المتبحر الشيخ علي نجل
الرحمة الشيخ محمد رضا بن آية الله الشيخ هادي آل الشيخ الاكبر كاشف
سطاء أيده الله وأدامه مساعداً ومروراً لأحياء مؤلفات علمائنا الأعلام .
ثم أن المساعدين للناشر لم يكتبوا بهذه النسخة وغيرها وإنما بذلوا
الجهد في تطبيق ما يذكره (المفيد) مع نصوص المؤرخين الاقدمين الذين
تعرضوا لقضية (الجمل) وحديث الناكثين وأضافوا إلى ذلك تعاليق في
هامش الكتاب كان بها الجدارة في الإثبات .

فالناس يشكر المساعدين له الآخذين بعضده في المحافظة على
 تصحيح هذا المؤلف القيم ، كما إنناشكر همته القعاء ونشخص إلى الميمن
 سبحانه مبتهين بأن يمد في عمره ويوفقه للمثابرة على إحياء هذه المؤلفات
 الجليلة ويفيض عليه من لطفه وجوده .
 ان رحمة الله قريب من المحسنين .
 ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

وفاة الأفيم :

توفي الشيخ (المفيد) ليلة الثالث من رمضان ببغداد سنة ٤١٣ هـ
 وصلى عليه علم الهدى السيد المرتضى بميدان الاثنان وحمل إلى مشهد
 الإمامين الكاظمين عليهما السلام فدفن عند رجليهما ، وكان يوم وفاته
 كما يحدث عنه الشيخ الطوسي في « انفهرست » ، يوماً مشهوداً عظيماً
 اجتمع تشييعه خلق كثير وبكاه المؤلف والمخالف ووجد على قبره مكتوب :

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل النبي عظيم
 إن كنت قد غيبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم
 والقائم المهدي يفرح كلنا تليت عليك من الدروس علوم

(١) المطبوع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف .

- ١٩ اختلاف الامة في فتنة الجمل .
- ١٩ رأى عمار بن ياسر فيمن حارب علياً عليه السلام .
- ٢٠ رأى سعد بن وقاص واسامة بن زيد وعبد الله بن عمر في الجلوس عن الحرب .
- ٢٤ رأى المعتزلة .
- ٢٩ رأى الخوارج : والشيعه .
- ٣٠ عصمة أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٣٢ تصدق أمير المؤمنين بالخاتم وهو في الصلاة .
- ٣٣ حديث المنزلة .
- ٣٥ أحاديث الرسول «ص» في فضل أمير المؤمنين «ع» .
- ٣٧ نظرة في الاحاديث .
- ٣٨ إنكار الخوارج والاموية فضل أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٣٩ قتال الناكثين .
- ٤٠ على عليه السلام في خيبر يوم الحصار .
- ٤٠ البيعة لامير المؤمنين عليه السلام بعد عثمان .
- ٤٣ تأخر سعد واسامة عن حرب البصرة .
- ٤٣ نظرية ابن العربي في جواز قتال من خرج على أمير المؤمنين .
- ٤٤ نظرية الجصاص في حلية قتال على عليه السلام لمن خرج عليه .
- ٤٥ رأى الحنابلة في قتال البايعين على الامام .
- ٤٦ الاسباب في تأخر سعد واسامة عن نصره على عليه السلام .

بيعة المهاجرين .	٥٠
بيعة الانصار .	٥١
بيعة الهاشميين .	٥١
بيعة باقى الشيعة .	٥٢
دعوى الاجبار فى البيعة .	٥٣
كراهة المسلمين استخلاف... .	٥٩
الصحابة يوم الشورى .	٦٠
خطبة على دع ، يوم البيعة .	٦١
فرار عثمان وعدم حضوره بيعة الرضوان .	٦١
اعتراض طلحة والزبير على أبى بكر فى توليته عمر .	٦٢
الخطبة الشقشقية .	٦٤
امتناع على من البيعة .	٦٥
بيعة طلحة والزبير .	٦٧
٦٩ الناكثان .	
اسباب الخروج على عثمان .	٧٠
عبد الله بن عمر يبرء علياً من قتل عثمان .	٧٠
إنكار عمرو بن العاص على عثمان احدائه .	٧٢
طلحة عن اعان على قتل عثمان .	٧٤
كان طلحة يوم الدار يرمى بالسهام على دار عثمان .	٧٦
إنكار عائشة على عثمان وإخراجها نعل رسول الله ص .	٧٧
تسميتها لرباه بنعتل .	٧٨
ندم طلحة والزبير من البيعة .	٧٩

- ١٠٤ خطبة عثمان وفيها أعتراه بالزلة واستغفاره .
- ١٠٥ ملاحظات بين امرأة عثمان وبين مروان .
- ١٠٦ استنصار عثمان معاوية وتأخر معاوية عن نصرته .
- ٨١ المرأة والحجاب .
- ٨٢ قول النبي «ص» لام سلمة وميمونة : «أفعمياوقان أتماه» .
- ٨٤ قصة الافك والمنافسة فيها .
- ٩١ اشارة ابن عباس على أمير المؤمنين بأن يحبس طلحة والزبير وامتناعه «ع» من أن يعاقب على الظنة .
- ٩٢ براءة أمير المؤمنين من دم عثمان .
- ٩٤ أقوال أمير المؤمنين بمظلوميته واستشهاده بفقرات من خطبته الشقشقية .
- ٩٦ بيان ما تقم به الناس على عثمان .
- ٩٦ الحدود لا تسقط بحال .
- ٩٧ صلاة الوليد بالناس وهو سكران .
- ٩٨ إقامة الحد على الوليد بن عقبة .
- ٩٩ أسباب تبعيد النبي «ص» للحكم بن أبي العاص عن المدينة .
- ... أعطى عثمان آل مروان الن الف دينار .
- ١٠١ ماجرى من عثمان على عمار حتى غشى عليه .
- ١٠٢ على عليه السلام ينصح عثمان .
- ١٠٣ خطبة عثمان .
- ١٠٢ مروان بن الحكم يهدد من حضر الخطبة ورد عثمان عليه .

- ١٠٧ الآراء في أحداث عثمان .
- ١٠٨ دفاع المصنف . ره ، عن أمير المؤمنين وتوجيه فعوده على قتلة عثمان .
- ١١٠ رأى الجاحظ . فى أمير المؤمنين ، ع ، ورد الشيخ المفيد عليه .
- ١١٢ رأى العثمانية فى أمير المؤمنين عليه السلام .
- ١١٤ شعر الوليد فى مطالبة بنى هاشم بدم عثمان .
- ١١٤ أشعار حسان فى مطالبة الزبير وطلحة بدم عثمان .
- ١١٧ النجائب والادراع التى أخذها أمير المؤمنين من عثمان كانت للسليين .
- ١١٧ الآية النازلة فى فسق الوليد بن عقبة .
- ١١٨ تسجيل المفيد ره ، على حسان من الاتفاق بأنه قذف عائشة .
- ١١٩ شعر حسان فى حق الامير عليه السلام يوم الغدير .
- ١٢٠ مبدء فتنة الجمل وما كان يرومه طلحة والزبير وعائشة .
- ١٢٣ إخراج عائشة ثوب النبي ، ص ، تقول انه لم يبل وقد أبلى عثمان سنته .
- ١٢٣ انحياز امويين إلى عائشة بمكة .
- ١٢٤ اجتماع الزبير وطلحة بعائشة وطلبها منها الخروج لحرب على .
- ١٢٥ كان ابن أبي ربيعة وابن منبه يجهزان الناس لحرب على ، ع ،
- ١٢٦ نهى أم سلمة عائشة عن الخروج مع الرجال .
- ١٢٩ كان النبي ، ص ، يأمر نساءه بالجلوس فى بيوتهن .
- ١٢٩ كانت سودة بنت زمعة بعد نزول آية الحجاب لم تصح مخافة العقاب .
- ١٣٠ مكانة أم سلمة بين الناس حتى خاف الناكثان منها .
- ١٣٠ رأى محمد بن أبى بكر فى مسير على ، ع ، إلى الكوفة .
- ١٣٠ مجاهدة أمير المؤمنين الناكثين .

- ١٣١ إشارة بعضهم على أمير المؤمنين باخراج أم سلمة معه وامتناعه منه .
 ١٣٢ كتاب أمير المؤمنين إلى أبي موسى الأشعري .
 ١٣٢ إعراف المأمون بأن أمير المؤمنين عند خلافته قدم جميع ولد
 العباس على بنى هاشم .
 ١٣٣ كتاب على « ع » إلى أهل الكوفة يستنفرهم .
 ١٣٤ خطبة الحسن « ع » ، وعمار وقيس بالكوفة .
 ١٣٦ خطبة أبي موسى الأشعري في تثبيت أهل الكوفة عن الخروج .
 ١٣٦ نهضة زيد بن صوحان في وجه الأشعري .
 ١٣٧ شعر لرجل بجلي في رد أبي موسى الأشعري .
 ١٣٨ الاشر إلى قصر الأمانة . ١٣٩ خطبة الاشر في جامع الكوفة .
 ١٤٠ خطبة حجر بن عدى في التحريض على الجهاد مع على « ع » .
 ١٤١ تمسك أبي موسى الأشعري بكتاب عائشة .
 ١٤١ كتاب أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة .
 ١٤٢ أمير المؤمنين في الطريق .
 ١٤٣ خطبة عمار بالكوفة .
 ١٤٤ خطبة الحسن « ع » ، بالكوفة .
 ١٤٤ مخادعة ابن عباس لابن موسى الأشعري .
 ١٤٥ خطبة أمير المؤمنين بذى قار .
 ١٤٥ خطبة اخرى له بذى قار وفيها دعاؤه على طلحة والزبير .
 ١٤٧ كلام الاشر بعد الفراغ من الخطبة وفيه تسكين لفقورة أمير المؤمنين ع
 ١٤٧ متابعة أبي التيهان وعدى بن حاتم للاشر في القول .

- ١٤٨ إظهار أبي زينب لأمير المؤمنين الطاعة وإن الموت معه أحب إليه من كل شيء .
- ١٤٩ الناكثون مع عثمان بن حنيف .
- ١٥١ فرح حفصة بكتاب عائشة إليها .
- ١٥١ أم كلثوم بنت علي ، ع ، مع حفصة .
- ١٥٢ خطبة عائشة بالمريد .
- ١٥٢ اعتراف المفسرين بما نزل في عائشة و حفصة من المظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- ١٥٣ الهدنة مع عثمان بن حنيف على أن يكون له بيت المال حتى يأتي على شهادة أسامة بن زيد بأن طلحة والزبير بايعا مكرهين وما فعله معه تمام بن العباس .
- ١٥٤ نقض الناكثين لشروط الهدنة وفعلهم التقيح بابن حنيف .
- ١٥٤ نهضة حكيم بن جبلة غيرة على ابن حنيف .
- ١٥٥ تغلب الناكثين على بيت المال .
- ١٥٥ نزاع طلحة والنزاع على ختم بيت المال .
- ١٥٦ ذهاب ابن حنيف إلى أمير المؤمنين مع ما صنع به .
- ١٥٦ أمير المؤمنين ، ع ، في بيت مال البصرة بعد الفتح .
- ١٥٧ الزبير شك في القتال .
- ١٥٩ أخبار أمير المؤمنين من يأتيه من أهل الكوفة فكان كما قال .
- ١٦٠ استئذان الاحنف بن قيس من أمير المؤمنين في الجلوس وتخذيل قومه
- ١٦١ حديث النبي (ص) لا أفلح قوم ولو أمرهم امرأة .

- ١٦٢ كتاب عائشة إلى المدينة والمامة
 ١٦٤ خطبة طلحة بالبصرة بعد حبس ابن حنيف .
 ١٦٥ رد عبد الله بن حكيم التيمي عليه .
 ١٦٥ خطبة أخرى لطلحة ورد رجال من أهل البصرة عليه
 ١٦٧ خطبة عائشة وفيها تطالب بدم عثمان
 ١٦٨ عمرو بن حصين يؤنب عائشة على الخروج
 ١٦٩ أمير المؤمنين ع ، ينصح أصحاب الجمل
 ١٧٠ ما جرى بين ابن عباس وطلحة من الكلام حول حصر عثمان
 ١٧٢ قول النبي ص ، لعائشة تذبك كلاب الحوآب
 ١٧٣ أمير المؤمنين ينظم الجيش
 ١٧٥ استنهاض عائشة لكعب بن شور
 ١٧٥ أبيات أحد بنى وهب يلوم كعباً على النهضة مع عائشة
 ١٧٦ تنظيم الناكثين لأصحابهم ١٧٦ خطبة ابن الزبير
 ١٧٦ ترجمة مالك بن مسمع ١٧٧ خطبة الحسن عليه السلام
 ١٧٨ خطبة طلحة ورد رجل حجازى عليه
 ١٧٩ خطبة أمير المؤمنين لما بلغه اجتماعهم على حربه
 ١٧٩ أبيات حكيم بن مناف بعد الفراغ من الخطبة يذكر فيها طاعته له ع ،
 ١٨٠ الحرب
 ١٨١ مقدار عمر محمد بن الحنفية يوم الجمل وعذره عن الخروج مع الحسين ع
 ١٨٢ ابن عباس يحمل الكتاب المجيد إلى الناكثين للحاكم اليه
 ١٨٣ مجيء ابن عباس إلى عائشة ومعه القرآن وإبائها عن القبول

- ١٨٣ الغلام من بني عبد القيس يحمل القرآن اليهم ثانياً وقد أخبره
أمير المؤمنين بالشهادة
- ١٨٤ أم الغلام تحمله قتيلاً إلى أمير المؤمنين ورثاتها له
- ١٨٤ وصية أمير المؤمنين أصحابه أن لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً
- ١٨٤ لواء رسول الله «ص»، يدفعه أمير المؤمنين إلى ابن الحنفية
وإخباره بأنه لا يرد منكسراً
- ١٨٥ أبيات قيس بن سعد لما رأى اللواء منشوراً
- ١٨٣ رجز أصحاب الجمل وأصحاب علي «ع»
- ١٨٧ مقدار عمر عمار بن ياسر يوم الجمل
- ١٨١ عائشة ترمي أصحاب علي «ع»، بكف من التراب
- ١٨٨ أبيات أم ذريح العبدية المنشيعة في ذم عائشة
- ١٩١ صفة درع أمير المؤمنين «ع»
- ١٩١ قوله «ع»، لا بن عباس لا تخف أن أوتى من ورأى
- ١٩٢ خطبة أخرى لأمير المؤمنين قبل الحرب
- ١٩٣ أخذه «ع»، الراية من ابنه وجعل يهزول بها
- ١٩٤ قاتل على يوم الجمل أشد القتال
- ١٩٥ ابن الزبير تداوى جراحته امرأة عثمانية
- ١٩٥ محمد بن أبي بكر يحمل ابن الزبير إلى عائشة
- ١٩٦ خاتم عبد الرحمان بن عتاب بن اسيد بيع بخمسمائة دينار
- ١٩٧ كان عمار بن ياسر يقول لمن يظفر الطالب بدم عثمان: عائشة والرجلان قتلوه
- ١٩٧ كان عمار يقول: لو ضربوا ناحتي نبلغ سعفات هجر لعلم: إنا على حق

- ١٩٩ أمير المؤمنين يطعن الهودج بالرح
٢٠٠ كانت عائشة بعد الهزيمة تسب علياً
٢٠٢ محل دفن طلحة ومن رماه بسهم
٢٠٤ ندم عائشة على فعلتها
٢٠٦ مقتل طلحة
٢٠٩ مقتل الزبير
٢١٣ الشهيد يحتج بدمه
٢١١ أمير المؤمنين يكلم القتلى
٢١٣ كتاب أمير المؤمنين إلى المدينة
٢١٤ كتابه د ع ، إلى اخته أم هاني بالفتح
٢١٥ كتابه د ع ، إلى أهل الكوفة
٢١٦ خطبة له د ع ، بالبصرة
٢١٦ زهده عليه السلام
٢١٧ خطبته بعد قسمة المال
٢١٨ سيرته في أهل البصرة
٢١٩ أمير المؤمنين يذم أهل البصرة
٢٢١ الاسباب التي كانت عائشة من أجلها تبغض علياً
٢٢٣ مسير عائشة إلى المدينة
٢٢٤ اعتراف مروان بالظلم
٢٢٥ ولاية ابن عباس على البصرة
٢٢٧ لما خرج أمير المؤمنين من البصرة توجه إليها وذكر كلاماً فيها
٢٣٠ أبيات ابن أم كلاب يذم بها عائشه
٢٣١ كتاب عائشة إلى زيد بن صوحان ورده عليها
٢٣٢ اخبار النبي عائشة بما يكون منها من حرب علي

الجليل

او
النصرة في حرب البصرة

تصنيف

الشيخ السعيد المفيد محمد بن النعمان العكبري

المتوفى سنة ٤١٣ هـ

(الطبعة الثالثة)



من منشورات

مكتبة الداغري

قم - ايران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ضمن النصره لناصره ، وأعان على الحق بتوقيفه متبعيه ، وخذل من أعند عن دينه والحد فيه ، وصلواته على صفوته من خلقه ومجتيه ، محمد وآله المخصوصين بالطهارة والتزيه ، أيديك الله بتوقيفه سألت أن أورد لك ذكر الاختلاف بين أهل القبلة في حديث الفتنة بالبصرة ، وما كان بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبين عائشة وطلحة والزبير من الحرب المهولة والقتال ، ومذهب كل فريق من الأمة فيه على شرح له وبيان ، وإثبات سبب هذه الفتنة والاختلاف التي جاءت فيما جرى بين القوم ، من القتال والفعال . فإن كل كتاب صنف في هذا الفن قد تضمن أخباراً تلتبس معانيها على جمهور الناس ولم يأت أحد من المصنفين بذكر الحرب في هذه الفتنة على الترتيب والنظام بل خلطوا الأخبار فيها خلطاً لم يحصل معه تصور الخلل فيما كان بين الجميع منه على الظهور والتبيان للذي جاء . فقد جمعت لك أيديك الله كلما صدر عنهم ، وأثبت في هذا الكتاب برهاناً يفضي الناظر فيه إلى صحة الاعتقاد في أحكام القوم بأسمائهم وأبغاطهم وما فيها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان والتبين والضلال . لتعلم وفقك الله

بالنظر والاعتبار وتخرج بذلك من التقليد الموبق لصاحبه ولتظفر بالحق ويزول عنك الاشتباه الذى التبس عليك أمره فيما كان هناك وأجبتك إلى مأسألت معتصما بالله عز وجل وسائلا لك التوفيق والرشاد وبالله أستعين .

(القول فى اختلاف الامة) فى فتنة الجمل وأحكام القتال فيها :
أما المتولون للقتال فى هذه الفتنة فقد أنبأنا عملهم فيها عن اعتقادهم ودلت ظواهرهم فى ذلك على بواطنهم فيه إذ العلم يحيط بأن أمير المؤمنين علياً دح ، وولده وأهله من بنى هاشم وأتباعه من المهاجرين والانصار وغيرهم من المؤمنين لم يسلوكوا فيما بشروه من الحرب وسعوا فيه من القتل واستباحة الدماء طريق المجرمين ، لذلك الطالين به العاجل ، والتاركين به ثواب الآجل ، بل كان ظاهرم فى ذلك ، والمعلوم من حالهم ، وقصدهم التدين والقربة إلى الله تعالى بعملهم ، والاجتهاد فيه وان تركه والاعراض عنه موبق من الأعمال والتقصير فيه موجب لاستحقاق العقاب .

ألا ترى الى ما أشتهر من قول أمير المؤمنين دح ، وقد سئل عن قتاله للقوم (لم أجد الا قتالهم أو الكفر بما أنزل الله على محمد دح ،) .
وقول عمار بن ياسر رحمه الله : أيها الناس والله ما أسلبوا ولكنهم أستسلموا وأسروا الكفر فلبا وجدوا له أعواناً أظهروه (١) فى أمثال هذين القولين من جماعة جلة من شيعة أمير المؤمنين دح ، يطول بشرحها الكتاب فهم يلائم معانى كلامهم فى ذلك ظواهر فعالهم . والمعلوم من قصودهم وهذا مالا مزيد فيه بين العلماء ، وإنما يشتهب الامر فيه على الجهلاء الذين لم يسمعوا الأخبار ، ولا اعتبروا بتأمل الآثار .
وكذلك الأمر يحيط بأن ظاهر عائشة وطلحة والزبير وكثير من
(١) نصر بن مزاحم فى كتاب صفين ص ٢٤٣ ط مصر .

كان في حيزهم التدين بقتال أمير المؤمنين «ع» ، وأنصاره والقربة إلى الله سبحانه وتعالى في استقراغ الجهد فيه ، وانهم كانوا يريدون على ما زعموا وجه الله والطلب بدم الخليفة المظلوم عندهم ، المقتول بغير حق وانهم لا يسعهم فيما أضمره في اعتقادهم إلا الذي فعلوه ، فوضح من ذلك ان كلا من الفريقين يصبو رأيه فيما فعل ويخطئه صاحبه فيما صنع ويشهد لنفسه بالنجاة ويشهد على صاحبه بالضلال والهلاك .

إلا أن أمير المؤمنين «ع» صريح بالحكم على محاربيه ووسمهم بالعدو والنكث ، وأخيراً أن النبي «ص» أمره بقتلهم وفرض عليه جهادهم ولم يحفظ عن محاربيه فيه شيء . ولا سمة له يمثل ذلك وان كان المعلوم من رأيهم التخبط له في القتال ، والحكم عليه في بقائه على الأمر والامتناع من رده شورى بينهم وتسليمه قتلة عثمان اليهم بالزلل عن الحق الواجب عندهم والصواب .

وكان مذهب سعد بن مالك بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد ابن مسلمة الأنصاري ، واسامة بن زيد وأمثالهم ممن رأى القعود عن الحرب والتبديع لمن تولاهما والحكم على أمير المؤمنين «ع» ، والحسن والحسين ومحمد بن علي «ع» ، وجميع ولد أبي طالب وكافة أتباع أمير المؤمنين من بني هاشم والمهاجرين والأنصار والمتدينين بنصرته المتبعين له على رأيه في الجهاد ، بالضلال والخطأ ، في المقال والفعال ، والتبديع لهم في ذلك على كل حال .

وكذلك كان مذهبهم في عائشة وطلحة والزبير ومن كان على رأيهم في قتال أمير المؤمنين «ع» ، وانهم بذلك ضلال عن الحق عادلون عن الصواب ، مبدعون في استحلال دماء أهل الاسلام ، ولم يحفظ عنهم في الطائفتين ولا في احديهما تسمية بالفسوق ولا اخراجهم بما تولوه من الحرب والقتال عن الأيمان .

اختلاف الفرق :

(فصل) الخلاف بعد النبي الذي حكيناه عن السلف في الفتنة المذكورة قد تشعب وزاد على ما أثبتناه عن سميناه في الخلاف ، فقالت العامة الحشوية المنتسبة الى السنة على ما زعموا في ذلك أقاويل مشهورة وذهبوا مذاهب ظهرت عنهم مذكورة .

فمنهم طائفة اتبعت رأى سعد بن أبي وقاص وشركائه المعتزلة عن الفريقين ومذهبهم في إنكار القتال وحكموا بالخطأ على أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي وابن عباس وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين وأبي أيوب الأنصارى وأبي الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة وامثالهم من وجوه المهاجرين وتقباة الأنصار . وعلى عائشة وطلحة والزبير وجميع من اتبعهم في الحرب واستحل معهم القتال ، وشهدوا عليهم جميعاً فيما صنعوه بالزلل عن الصواب ، ووقفوا فيهم مع ذلك ولم يقطعوا لهم بعقاب ، ورجوا لهم الرحمة والغفران ، وكان الرجاء لهم في ذلك أقوى عندهم من الخوف عليهم من العقاب .

وقالت فرقة منهم اخرى بتخطئة الجميع كما قالت الاولى منهم في ذلك وقطعوا على ان امير المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وخزيمة ذى الشهادتين ان كانوا قد زلوا بالقتال وسفك الدماء فانه مغفور لهم ذلك ، لما قدموا من عظيم اطاعتهم لله تعالى وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحبتهم له ، مواساتهم لايامه .

وكذلك قولهم في عائشة ، وطلحة والزبير ومن شركهم في القتال بمن له صحبة وسائف جهاد .

وأما من سوى الصحابة بين الفريقين منهم بقتالهم واستحلالهم
الدماء فن أهل النار ، وحكوا عن بعض مشيختهم وأئمتهم في الدين
انه كان يقول نجت القادة وهلك الأتباع ، وفرقوا بين الصحابي في
ذلك وغيره بحديث روه عن النبي « ص » انه قال لبعض المسلمين ممن
أدرکه ولم يكن له صحبته وقد سأل رجل من الصحابة : إياكم
وأصحابي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدى أحدهم ولا نصفه
وقالت فرقة أخرى منهم لا ينبغي لأحد أن يخوض في ذكر الصحابة
وما جرى بينهم من تنازع واختلاف وتباين وقتال ولا يتعرض بالنظر
في ذلك ولا الفكر فيه ويعرض عنه جانباً ، وأن استطاع أن لا يسمع
شيئاً من الاخبار الواردة به فيفعل ، فانه ان خالف هذه الوصاة وأصغى
إلى الخبر باختلاف الصحابة أو تكلم بحرف واحد ، وتبرع بالحكم عليهم
بشيء يشين المسلم فقد أبدع في الدين ، وخالف الشرع ، وعدل عن
قول النبي ولم يحذر مما حذره منه بقوله « ص » إياكم وما سيجرى
بين الصحابة .

وزعموا أن الرواية بذكر أخبار السقيفة ، ومقتل عثمان والجمل
وصفين بدعة ، والتصنيف في ذلك ضلال ، أو الاستماع إلى شيء من
ذلك يكسب الآثام .

وهذه فرقة مستضعفة من الحشوية يميل إلى قولها جمع كبير ممن
شاهدناه من العامة ويدعوا اليه المتظاهرون بالورع والزهد ، والصمت
وطلب السلامة ، وحفظ اللسان ، وهم بذلك بعداء عن العلم وأهله ،
جهال أغمار .

وقالت فرقة من العامة تختص بمذاهب الحشوية غير أنها تتعاطى
النظر ، وتدعى المعرفة بالفقه وتزعم أنها من أهل الاعتبار ، ان علي
ابن أبي طالب « ع » ، ومن كان في حيزه من المهاجرين والأنصار

وسائر الناس ، وعائشة وطلحة والزبير وأتباعه جميعاً معاً كانوا على صواب فيما اتهموا اليه من التباين والاختلاف والحرب والقتال وسفك الدماء ، وضرب الرقاب ، فإن فرضهم الذى يعين عليهم من طريق الاجتهاد هو ذلك بعينه دون سواه ، لم يخرجوا بشئ منه عن طاعة الله ولا دخلوا به فى شئ منه إلا انهم كانوا على الهدى والصواب ، ولو قصروا عنه مع الاجتهاد المؤدى لهم اليه ؛ لضلوا عن الحق ، وخالفوا السبيل والرشاد .

وزعموا أن انهم كانوا جميعاً مع الحال التى اتهموا اليها من سفك الدماء ؛ وقتل النفوس ؛ والخروج عن الاموال والديار على أتم مضافة ومودة وموالات ، ومخالصة فى الضاير والنيات ؛ واستدلوا على ذلك وزعموا بأن قالوا وجدنا كل فريق من الفريقين متعلقاً بحجة تمدره فيما أتاه وتوجب عليه العمل بما صنع ، وذلك ان علي بن أبى طالب كان مذهبه تحريم قتل الجماعة بالواحد وان اشتركوا فى قتله معاً وهو مذهب مشهور من مذاهب أصحاب الاجتهاد ؛ ولم يثبت عنده أيضاً ان المعروفين بقتل عثمان تولوا على ما ادعى عليهم من ذلك فلم يسعه تسليم القوم إلى من اتهمهم منه ليقتلوهم بعثمان ؛ ووجب عليه « د ع » فى اجتهاده الدفاع عنهم بكل حال ، وكان مذهب عائشة وطلحة والزبير قود الجماعة بالواحد من الناس ؛ وهو مذهب ابن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة وجماعة من التابعين ؛ وبه دان جماعة من الفقهاء وأصحاب الاجتهاد ، وثبت عندهم ان الجماعة يقتلون بالرجس الواحد وان أمير المؤمنين لم يسلمهم ليقتلوهم بعثمان ، وان الناس تولوا قتله واشتركوا فى دمه ؛ وكان إماماً مرضياً عندهم ؛ قتل بغير حق ؛ فلم يسعهم ترك المطالبة بدمه ؛ والاستفادة من قاتله وبذلك الجهد فى ذلك ؛ فاختلف الفريقان فى ذلك لما ذكروه من الاجتهاد ؛ وعمل كل فريق منهم على رأيه وكان

بذلك ماجوراً وعند الله مشكوراً ؛ وان كانوا قد سفكوا فيه الدماء
وبذلوا فيه الاموال وهذا مذهب جماعة قد شاهدتهم وكتبهم وهم في
وقتنا هذا خلق كثير وجم غفير .

ومن كتبهم فيه من مشيخة أصحاب المخلوق المعروف بأبي بكر التمار
الملقب بدرزان وكان في وقته شيخ أصحاب عبد الله بن سعيد بن
كلاب أكبرهم سناً ؛ وأشدهم تقدماً في مجالس الكلام ؛ ومنهم محارب
الصيدباني المكنى بابن العلاء خليفة أبي السائب في القضاء . ومنهم المعروف
بالوشعي ؛ ومن بعدهم المكنى بأبي عبد الله المعروف بابن مجاهد البصري
الاشعري صاحب الباهلي تلميذ علي بن أسماعيل بن أبي بشر الاشعري
ومنهم المعروف بأبي بكر بن الطيب المعروف بابن الباقلائي ومنهم
أبو العباس بن الحسين بن أبي عمر القاضي وجميع من سميت عن جاريته
في هذا الباب من أصحاب المخلوق ، وبعضهم كلابية وبعضهم أشعرية
واليه يذهب في وقتنا هذا جمهور أصحاب الشافعي ببغداد والبصرة
وخوزستان وبلاد فارس وخراسان وغيرها من الامصار ؛ لأعرف
شافعيًا له ذكر في قومه ويذهب الى هذا المذهب ليعبد به عن قول
الشعبة ؛ وأهل الاعتزال .

رأي المعتزلة :

واختلف في ذلك المعتزلة أيضا كاختلاف الحشوية ؛ فقال إمامهم
المقدمان وشيخاهم المعظان اللذان هما أصلان للاعتزال ، واقتحا لمعتقديه
فيه الكلام وهم نخر الجماعة منهم وجمالهم الذي لا يعدلوا عندهم سواه
واصل بن عطاء الغزالي ؛ وعمرو بن عبيد بن باب المكارى (١) ان
(١) قال ابن خلكان ترجمته هو عمرو بن عبيد بن باب بياطين
وانما ضبطته بذلك لثلاثي يشبهه بناب وفي تاريخ بغداد ج ١٢ ص -

أحد الفريقين ضال في البصرة مزل فاسق خارج من الايمان والإسلام
ملعون مستحق الخلود في النار ، والفريق الآخر هاد مهدي ، مصيب
مستحق للثواب والخلود في الجنان غير أنهم زعموا أن لادليل على تعيين
الفريق الضال ولا برهان على المهدي ولا بينة تتوصل بها إلى تمييز أحدهما
من الآخر في ذلك مجال من الأحوال .

وانه لا يجوز أن يكون علي بن أبي طالب «ع» ، والحسن والحسين
ومحمد بن علي وعبد الله وقثم والفضل وعبيد الله بنو العباس وعبد الله
ابن جعفر الطيار وعمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبو
أيوب الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان وكافة شيعة علي «ع» ، وأتباعه
من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وأهل الدين
المتحيزين إليه والمحققين بسمة الإسلام هم الفريق الضال ، والفاسق الباغي
الخارج عن الايمان والإسلام والمدو لله والبريء من دينه الملعون
المستحق للخلود في النار .

وتكون عائشة وطلحة والزبير والحكم بن أبي العاص ومر وان أبنه
وعبد الله بن أبي سرح والوليد بن عقبة وعبد الله بن عامر بن كريز
ابن عبد شمس ومن كان في حيزهم من أهل البصرة هم الفريق المهدي الموفق
إلى الله المصيب في حربه المستحق للاعظام والاجلال والخلود في الجنان .
قالا جميعاً نعم ما تنسكرك ذلك ولا تؤمن به إذ لا دليل يمنع من الحكم

— ١٦٦ — كان باب من سبى فارس وعبيد من سبى سجستان وكان عبيد
نسا جاً ثم صار من شرطة الحجاج على السجن وهو يقول إني أصبت
أم عمرو من غلول وكان عبيد يقول لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير
شهدوا عندى على شراك نعل ما أجزت شهادتهم وقد أحدث عمرو بدعة
قتل فيها الناس وفيه يقول يحيى بن معين انه رجل سوء مات سنة ١٤٤
ودفن بمران على ليال من مكة راجعاً إلى البصرة .

به على ما ذكرناه بحمل وكما أن قولنا ذلك في علي وأصحابه فكذلك هو في الفريق الآخر فإنا لسنا ننكر أنهم وأتباعهم على السوء ولسنا ننكر أن يكونوا هم الفريق الضال الملعون ، العدو لله ، البريء من دينه ، المستحق للخلود في النار ، وأن يكون علي «ع» ، وأصحابه هم الفريق الهادي المهتدي الولي لله في سنيله ؛ المستحق بقتاله عائشة وطلحة والزبير وقتل من قتل منهم الجنة وعظيم الثواب .

قالا ومنزلة الفريقين منزلة المتلاعنين فيها فاسق لا يعمله على التمييز والتعيين إلا الله عز وجل .

وهذه مقالة مشهورة عن هذين الرجلين قد سطرها الجاحظ عنها في كتابه الموسوم (بفضيلة المعتزلة) وحكاها أصحاب المقالات عنها ولم يختلف العلماء في صحتها عن الرجلين المذكورين وانهما خرجا من الدنيا على التدين بها والاعتقاد لها بلا ارتياب .

وحكى ابن يحيى أن أبا الهذيل العلاف كان على هذا المذهب في أمير المؤمنين «ع» ، وعائشة وطلحة والزبير متبعا فيه اماميه المذكورين ولم يزل عليه إلى أن مات قال شيخ المعتزلة أيضاً ومتكلميها في الفقه وأحكام الشريعة على اصولها الأصم المكشي بأبي بكر الملقب بجر يال أنا أقف في كل فريق من الفريقين فلا أحكم له بهدى ولا ضلال ولا أقطع على أحدهما بشيء من ذلك في التفصيل ولا الاجمال ولكني أقول أن كان علي بن أبي طالب «ع» قصد بحرب عائشة وطلحة والزبير كلف الفساد ومنع الفتنة في الأرض ودفعهم عن التغلب على الأمر والعدوان على العباد فانه مصيب مأجور ، وان كان أراد بذلك الجبرية والاستبداد بالأمر بغير مشورة من العلماء بل ليتأمر على الناس بالقهر لهم على ذلك والأضرار فهو ضال مضل من أهل النار ؛ قال وانما قلت ذلك لحفاء الامر لي فيه واستتار النيات في معناه واشتباه أسباب الباطل فيه باستتار الحق عند العقلاء

قال وكذلك قولي في الفريق الآخر ، أقول ان عايشة وطلحة والزبير ان كانوا قصدوا بقتالهم علي بن أبي طالب «ع» ، وأصحابه منعه من الاستبداد بالامر من دون رضى العلماء به ، وأرادوا الطلب بدم عثمان والاقتصاص له من ظالميه برد الأمر شورى ليختار المسلمون من يرون فهم بذلك هداة أبرار مستحقون للثواب وان كانوا أرادوا بذلك الدنيا والعصية والافساد في الأمر وتولى الامر بغير رضى العلماء فهم بذلك ضلال مستحقون لعنة والخلود في النار غير انه لا دليل لي على أعراضهم فيه ولا حجة تظهر في معناه من أعمالهم ولذلك وقف فيهم كما وقفت في علي وأصحابه كما بينت . وان كان طلحة والزبير أحسن حالا من علي فيما أتاه .

وقال هشام القوطي وصاحبه عباد بن سليمان الصيمري ، وهذان الرجلان من أئمة المعتزلة أيضاً ان علياً وطلحة والزبير وعائشة في جماعة من أتباع الفريقين كانوا على حق وهدى وصواب وكان الباقر من أصحابهم على ضلال وبوار وذلك ان عائشة وطلحة والزبير انما خرجوا إلى البصرة لينظروا في دم عثمان ويأخذوا بثاره من ظالميه وأرادوا بذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلبوا بوجه الله وخرج علي بن أبي طالب ليتفق معهم على الرأي والتدبير في مصالح الإسلام وأهله وكف السعي في الفتنة ومنع العامة بما ليس اليهم بل هو الى وجوه العلماء وليقع التراضي بينهم على انصاف واجتهاد في طلب الحق والاجتماع على الرأي فلما ترائى الجمعان تسرع غوغاؤهم إلى القتال فاتشبت الحرب بينهم على غير اختيار من القادة والرؤساء وخرج الامر عن ايديهم في تلافى ذلك فكان من الاتباع الفتنة وسفك الدماء ما لم يؤثره علي وطلحة والزبير وعائشة ووجوه اصحابهم من الفضلاء فهلك بذلك الاتباع ونجا الرؤساء وهذا يشبه ما قدما حكايته عن بعض العامة من وجه مخالفه

من وجه آخر يميز به الرجلان من الكافة ودفعاً فيه علم الاضطراب
وجحد المعروف كاليان .

وقال باقر المعتزلة كبشر بن المعتز وأبي موسى المراد وجعفر بن
بشر والاسكافي والخياط والشحام وابن مجالد البلخي والجبائي فيمن
اتبعهم من أهل الاعتزال وجماعة الشيعة من الامامية والزيدية ، ان
أمير المؤمنين «ع» ، كان محقاً في جميع حروبه مصيباً بقتال أهل البصرة
والشام والنهران مأجوراً على ذلك مؤدياً فرض الله تعالى عليه في
الجهاد وان كل من خرج عليه وحاربه في جميع المواطن ضلال عن
الهدى مستحقون بحربه والخلاف عليه النار غير أن من سميناه من المعتزلة
خاصة استثنوا عائشة وطلحة والزبير من الحكم باستحقاق العقاب وزعموا
أنهم خرجوا من ذلك الى استحقاق الثواب بالتوبة والندم على ما فرط
منهم في القتال فحكوا بصد الظاهر من الفعال والمعلوم منهم من المقال
وضعفوا في دعواهم عما هو صناعتهم من الحجاج وأظنهم اتقوا به من
العامه وتقربوا باظهاره الى أمراء الزمان إذ لا شبهة تعترض أمثالهم من
العلماء بالاخبار والنظار المتميزين بالكلام عن أهل التقليد في فساد هذا الاعتقاد
وخالف من سميناه من المعتزلة في هذا الباب (الاصح) خاصة فانه زعم
ان معاوية كان إماماً محقاً لاجماع الامة عليه فيما قال بعد قتل أمير المؤمنين
علي «ع» ، مع تظلمه بالشك في امامة أمير المؤمنين حسباً حكيمناه فيما
سلف قبل هذا المكان وكل من سميناه منهم سوى (الاصح) مع تصويبه
علياً وتفسيق محاربيه ويقطع على معاوية وعمرو بن العاص في خلافهما
أمير المؤمنين واستحلالهما حربه بالنار وانهما خرجا من الدنيا على
الفسق الموبق لصاحبه الموجب عليه دوام العقاب وأن جميع من مات على
اعتقاد امامة معاوية وتصويبه في قتال علي «ع» ، فهو عندهم ضال عن
الهدى خارج عن الإسلام مستحق الخلود في النار وقد وافق من سميناه

من المعتزلة وكافة الشيعة الخوارج في تخطئة معاوية وعمر بن العاص وتضليلهما في قتال علي .

وجماعة من المرجئة وأصحاب الحديث من المجبرة غير أن هذين الفريقين وقفا في عذابهما ولم يقطعا على دخولهما النار ورجوا لها ومحاربي علي وأصحابها من غيرهم ممن ظاهره الإسلام العفو من الله وقولهم في الخوارج كذلك مع حكمهم عليهم بالضلال .

رأي الخوارج :

وقال الخوارج : بأجمعهم أن علياً كان مصيباً في أهل البصرة وأهل الشام وانهم كانوا بقتاله ضلال كفسار مستحقين الخلود في عذاب النار وادعوا مع ذلك انه أخطأ بكفه عن قتال أهل الشام حين رفعوا المصاحف واحتالوا بذلك الكف عن قتاله وشهدوا على أنفسهم بالاثم لوفاقهم في ذلك الرأي وكفهم عن قتال البيعة إلا أنهم زعموا أنهم لما ندموا على ذلك وتابوا منه ودعوا إلى القتال خرجوا من عهدة الضلال ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الإسلام والايمان وان علياً لما لم يجبههم إلى القتال وأقام على المواعدة لمعاوية وأهل الشام كان مرتداً بذلك عن الإسلام خارجاً من الدين وشبهتهم في هذا الباب مضمحلة لا يلتبس فسادها على أهل الاعتبار وذلك أن علياً وع ، انما كف عن قتال القوم لخذلان أصحابه في الحال ، وتركهم النصرة له وكفهم عن القتال فاضطروه بذلك إلى الاجابة لما دعوه اليه من تحكيم الكتاب ولم يجزله قتالهم من بعد ، لمكان العهد لهم في مدة الهدنة التي اضطرت اليها وحظر الفساد ، بنقض العهد في كل ملة وخاصة في ملة الإسلام .

رأي الشيعة :

واجتمت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين ولكنهم لم

يخرجهم بذلك عن حكم ملة الإسلام اذ كان كفرهم من طريق التأويل
كفر ملة ولم يكفروا كفر ردة عن الشرع مع اقامتهم على الجملة منه
وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام
وان كانوا بكفرهم خارجين عن الايمان مستحقين لعنة والخلود والنار
حسباً قد مناه ، وكل من قطع على ضلال محاربي أمير المؤمنين (ع)
من المعتزلة فهو يحكم عليهم بالفسق واستحقاق الخلود في النار ولا يطلق
عليهم الكفر ولا يحكم عليهم بالاكفار، والخوارج تكفر أهل البصرة
وأهل الشام ويخرجونهم بكفرهم الذي اعتقدوه فيهم ووسمهم به عن
ملة الاسلام ومنهم من يسمهم بالشرك ويزيد على حكمه فيهم بالاكفار
فهذه جمل القول فيما اختلف فيه أهل القبلة ، من احكام
الفتنة بالبصرة والمقتولين بها من ذكرناه وأحكام صفين والنهر وان
وقد تحريت القول بالمحفوظ عن أرباب المذاهب المشهور عنهم عند
العلماء وان كان بعضها قد انقرض معتقده ، وحصل على فساد
القول به الاجماع وبعضها له ممتد قيل لم ينقضوا الى هذا الزمان
وليس ينعد على فساده لإجماع وان كان في بطلانه أدلة واضحة لمن
تأملها من ذوى الألباب وأنا بمشيئة الله وعونه أذكر طرفاً من
الاحتجاج على كل فريق منهم خالف الحق وأثبت من الأخبار الواردة
في صواب أمير المؤمنين (ع) ، وحقه في حروبه وأحكامه ، مختصراً
يفنى عن الاطالة بما يتيسر به الكلام وأشفع ذلك بما يتلوه ويتصل به
من ذكر أسباب الفتنة بالبصرة على ما ضمنت في ذلك بأول الكتاب .

عصمة أمير المؤمنين عليه السلام :

باب صواب أمير المؤمنين (ع) ، في حروبه كلها وحقه في جميع
أقواله وأفعاله والتوفيق للقر بآرائه وبطلان قول من خالف ذلك من

خصائه وأعدائه فمن ذلك وضوح الحجة على عصمة أمير المؤمنين «ع»، من الخطأ في السدين والزلل فيه والعصمة له من ذلك يتوصل اليها بضرين أحدهما الاعتبار والثاني الوثوق به من الاخبار فأما طريق الاعتبار الموصول إلى عصمته «ع»، فهو الدليل على امامته وفرض طاعته على الانام إذ الامام لا يبد أن يكون معصوماً كعصمة الانبياء بأدلة كثيرة قد أثبتناها في مواضع من كتبنا المعروفة في الامامة والاجوبة عن المسائل الخاصة في هذا الباب فمن ذلك ان الأئمة قدوة في الدين وان معنى الائتنام هو الاقتداء، وقد ثبت ان حقيقة الاقتداء هو الاتباع للبقدي به فيما فعل وقال من حيث كان حجة فيه دون الاتباع لقيام الادلة على صواب ما فعل وقال بسوى ذلك من الاشياء إذ لو كان الاقتداء هو الاتباع للبقدي به من جهة حجة سواه على ذلك كان كل وفاق لذى نحلة في قول أو فعل لامن جهة قوله وفعله بل لحجة سواه اقتداء به وإتباعاً وذلك باطل لو فاقنا الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الباطل والضلال في بعض أقوالهم وأفعالهم؛ من حيث قامت الادلة على صواب ذلك فيهم لامن حيث مارأوه وقالوه وفعلوه وذلك باطل بلا ارياب ولان أحد أسباب الحاجة الى الأئمة هو جواز الخلط على الرعية وارتفاع العصمة عنها لتسكون من ورائها تسدد الغالط منها وتقومه عند الاعوجاج وتنهبه عند السهو منه والاعغال ويتولى إقامة الحد عليه فيما جناه، فلو لم تكن الأئمة معصومون كما أثبتناه لشاركت الرعية نيماله اليها وكانت تحتاج إلى الأئمة عليها ولا تستغني عن دعاء وساسة تكون من ورائها، وذلك باطل بالاجماع على أن الأئمة أغنياء عن امام وغير ما ذكرناه من الادلة على عصمتهم كثيرة وهي موجودة في أما كتبنا من كتبنا على بيان الوجوه واستقصائها وأنها تثبت عصمة الأئمة «ع»، حسباً وصفناه وأجمعت الامة على انه لو كان بعد النبي «ص»، امام على

الفور تجب طاعته على الانام وجب القطع على أنه أمير المؤمنين على ابن أبي طالب دون غيره من ادعت له الامامة في تلك الحال للاجماع على أنه لم يكن لواحد من ذكره العصمة التي أوجبناها بالنظر الصحيح لأئمة الإسلام واجماع الشيعة الامامية على عليّ (ع)، كان مخصوصاً صائبها من بين الانام إذ لو لم يكن الأمر كذلك لخرج الحق عن اجماع أهل الصلاة وفسد مافى العقول من وجوب العصمة لأئمة المسلمين بما ذكرناه وإذا ثبتت عصمة عليّ (ع)، من الخطأ ووجب مشاركته للرسول في معناه ومساواته فيها ثبت انه كان مصيباً في كل ما فعل وقال ووجب القطع على خطأ مخالفيه وضلالهم في حيرة واستحقاقهم بذلك العقاب وهذا بين لمن تدبر والله الموفق للصواب .

دليل آخر على إمامة عليّ عليه السلام فيما يدل على إمامته الموجبة بالحكم بعصمة على ما قدمناه بثبوت الحاجة إلى الأدلة باتقان وفساد ثبوت الامامة من جهة الشورى والآراء. وإذا فسد ذلك وجب النص على الأئمة وفي وجوبه لثبوت إمامة عليّ (ع)، إذ الأمر بين رجلين أحدهما يوجب الامامة بالنص ويقطع على إمامة عليّ به ومن جهته دون ماسواها من الجهات والآخرى يمنع من ذلك ويجوزها بالرأى وإذا فسد هذا الفريق لفساد ما ذهبوا اليه من عقد الامامة بالرأى ولم يصلح خروج الحق عن أئمة الإسلام ثبتت إمامته (ع)،

التصدق في الصلاة :

بما يدل على إمامته (ع)، من نص القرآن قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راکعون (١) .

(١) سورة المائدة : ٥٥ ، والآية نزلت في أمير المؤمنين (ع) ، —

وهذا الخطاب موجه إلى جماعة جعل الله لهم أولياء اضيفوا اليهم بالذكر والله وليهم ورسوله ومن عبر عنه بأنه من الذين آمنوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وهم راكعون ، يعنى حال ركوعهم بدلالة انه لو أراد سبحانه بالخطاب جميع المكلفين لكان هو المضاف ومحال اضافة الشيء إلى نفسه وإنما يصح اضافته إلى غيره ؛ واذا لم تكن طائفة تختص بكونها أولياء لغيرها وليس لذلك الغير مثل ما اختصت به فى الولاء وتفرد من جملتهم من عناء الله تعالى بالايان والزكوة حال ركوعه لم يبق إلا ما ذهب اليه الشيعة فى ولاية علي «ع» على الامة من حيث الامامة له عليها وفرض الطاعة ولم يكن أحد يدعى له الزكوة فى حال ركوعه إلا علي «ع» ، وقد ثبتت امامته بذلك على الترتيب الذى رتبناه فصح انه مصيب فى جميع أقواله وأفعاله وتخطئة مخالفيه حسبما شره حناه

حديث المنزلة :

دليل آخر وهو أيضاً ما أجمع عليه أهل القبلة ولم ينازع فى صحة الخبر به من أهل العلم بالرواية والآثار من قول النبي «ص» منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى فأوجب له بذلك جميع ما كان لهرون من موسى فى المنازل إلا ما استثناه من النبوة وفى ذلك أن الله تعالى قد فرض طاعته على أمة محمد كما كان فرض طاعة هرون على

— حين تصدق بخاتمته على السائل وهو راكع فى الصلاة ولما شاهد الرسول الاعظم هذه المكرمة رفع طرفه إلى السماء وقال : ان أخى موسى سألك وقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الآية فأنزل عليه قرآناً : سنشد عضدك بأخيك ، الآية ، اللهم انى محمد نبيك وصىك فأشرح اللهم صدرى ويسر أمرى وأجعل لى وزيراً من أهلى علياً أخى أشدد به ظهري ؛ فنزلت الآية ، نص عليه السبط فى تذكرة —

أمة موسى وجعله إماماً لهم كما كان هرون إماماً لقوم موسى وإن هذه المنزلة واجبة له بعد مضي النبي كما كانت تجب لهرون لو بقي بعد أخيه موسى ولم يجز خروجه عنها بحال وفي ذلك ثبوت إمامة أمير المؤمنين والامامة تدل على عصمة صاحبها كما ينه في سلف ووصفناه والعصمة تقضى فيمن وجبت له بالصواب بالأقوال والأفعال على أثبتناه فيما تقدم من الكلام وفي ذلك بيان صواب أمير المؤمنين في حروبه كلها وأفعاله بأجمعها وأقواله بأسرها وخطأ مخالفته وضلالهم عن هداه ولأهل الخلاف من المعتزلة والحشوية والخوارج أسئلة قد أجبنا عنها في مواضعها من غير هذا الكتاب وأسقطنا شبهاتهم بدليل البرهان لم نوردنا هنا لغنائنا عن ذلك بثبوتها فيما سواه وإنما اقتصرنا على ذكر هذه الأدلة ووجوهها وعدلتنا عن إيراد ما في معناها والمتفرع عليه عن اثبات رسم الحجاج في صواب علي (ع) ، وفساد مذهب الناكثين فيه والائمة إلى أصول ذلك ليقف عليه من نظر في كتابنا هذا ويعلم العمدة بما فيه ويستوفى معانيه فإن أحب ذلك يجده في مواضعه المختصة به لنا ولغيرنا من متكلمي عصابة الحق ولأن الغرض في هذا الكتاب مالا يفتقر إلى هذه الأدلة من براهين اصابة علي (ع) في حروبه وخطأ مخالفته ومحاربه وانا سنذكر فيما يلي هذا الفصل من الكلام وتوضيح الحجة فيه على اصول مخالفينا أيضاً في طريق الامامة وثبوتها عندهم من جهة الآراء إنكارهم ما نذهب اليه من قصور طريقها

— الخواص ص ٩ والمحج الطبري في ذخائر العقبي ص ١٠٢ وفي الرياض النظرية (ج ٢ ص ٢٢٧) والرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٤٣١) وابن جرير الطبري في تفسيره (ج ٦ ص ١٦٥) والحازن في تفسيره (ج ١ ص ٤٩٦) ومثله البخوي في التفسير بهامشه إلى كثيرين ذكرهم العلامة الاميني في كتاب (الغدیر) (ج ٢ ص ٤٨) .

على النص كما قدمناه وبيناه عن الغرض فيه ووصفناه من الدليل على أن أمير المؤمنين «ع»، كان مصيباً في حروبه كلها وإن مخالفه في ذلك على ضلال، وهو ما تظاهرت به الرواية عن النبي (ص) من قوله (حربك يا علي حربى وسلك يا علي سلبى) وقوله يا علي (أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك) وهذان القولان مرويان من طريق العامة والخاصة، والمنتسبة من أصحاب الحديث إلى السنة المنتسبين منهم للشيعة، لم يعترض أحد من العلماء الطعن على سندهما ولا ادعى إنسان من أهل المعرفة بالآثار كذب روايتهما ومن كان هذا سبيله وجب تسليمه والعمل به، إذ لو كان باطلاً لما خلت الأمة من عالم منها ينكره ويكذب روايته، ولا سلم من طعن فيه ولعرف سبب تخمره واقعاله وأقام دليل الله على بطلانه، وفي سلامة هذين الخبرين من جميع ما ذكرناه حجة واضحة على ثبوتها حسبما بيناه.

ومن ذلك الرواية المستفيضة عن النبي (ص)، انه قال لعلي «ع»: (تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) (١).

وقوله لسهيل بن عمرو ومن حضر معه لخطابه على ردم من أسلم من مواليهم (لتنتهين يا معشر قريش أبيعث الله عليكم رجلاً يضربكم على وتأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله) فقال له بعض أصحابه من هو يارسول الله؟ هو فلان قال لا قال فلان؟ قال لا ولكنه خاف النعل في الحجرة فنظروا فإذا به علي «ع»، في الحجرة يخفف نعل النبي، وقوله لعلي: (تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين) والقول في هذه الرواية كالأخبار التي تقدمت، قد سلمت من طاعن في سندها بحجة ومن قيام دليل على بطلان ثبوتها وسلم روايتها الفريقان فدل على صحتها.

(١) مسند أحمد بن حنبل (ج ٣ ص ٣٣).

ومن ذلك قوله « ص » ، (على مع الحق والحق مع على) (١) .
 وقوله « ص » ، (اللهم أدر الحق مع على حيث ما دار) (٢) .
 وهذا أيضاً خبر قد رواه محدثوا العامة وأثبتوه في الصحيح عندهم
 ولم يعترض أحدهم لتعليل سنده ، ولا أقدم منهم مقدم على تكذيب
 ناقله وليس توجد حجة في العقل ولا السمع على فساده فوجب
 الاعتقاد بصحته وصوابه .

ومن ذلك قوله « ص » ، (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
 من نصره واخذك من خذله) وهذا في الرواية أشهر من أن يحتاج
 معه إلى جمع السند له وهو أيضاً مسلم عند قلة الأخبار وقوله (ص) :
 (فإتلى الله من قاتلك وعادى الله من عاداك) والخبر بذلك مشهور وعند
 أهل الرواية معروف مذکور .

ومن ذلك قوله (ص) من أذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد
 آذى الله (فحکم أن الأذى له أذى الله والأذى لله جل اسمه ضلال
 مخرج عن الإيمان) .

قال الله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
 والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) . وأمثال ما أثبتناه من هذه الأخبار
 في معانيها الدالة على صواب على (ع) وخطأ مخالفه كثيرة أن عملنا
 على إيراد جميعها طال به الكتاب وانتشر الخطاب ، وفيما أثبتناه منه
 دليلاً للحق منه كفاية في الغرض الذي نأمله انشاء الله .

-
- (١) تاريخ بغداد (ج ١٤ ص ٣٢١) ومستدرک الحاكم (ج ٣ ص ١١٩)
 والذخیر للذهبی بهامشه .
 (٢) مستدرک الحاكم النيسابوری (ج ٣ ص ١٢٤) .

(فصل وسؤال) فان قال قائل انكم ان كنتم قد اعتمدتم على هذه الاخبار في عصمة علي . دع ، وهي آحاد ليست من المتواترة الذي يمنع على قائلية الاعتقال فما الفضل بينكم وبين خصومكم فيما يتعلقون به من أمثالها عن النبي . ص ، في فضل فلان وفلان ومعاوية بن أبي سفيان ؟ (الجواب) قيل له : الاخبار التي يتعلق بها أهل الخلاف في دعوى فضائل من سميت على ضريين : أحدهما لا تنكر صحته وان خصومنا منفردين بنقله إذ ليس فينا مشارك لهم في شيء منه كما شاركنا الخصوم في نقل ما أثبتناه من فضائل علي . دع ، إلا أنهم يغلطون في دعوى التفضيل لهم به على ما يتحيلون في معناه والآخر مقطوع بفساده عندنا بأدلة واضحة لا تخفى على أهل الاعتبار وليست بما تساوى أخبارنا التي قدمناها لقطعنا على بطلان ما يقرؤا به من ذلك طعننا في روايتها واستدلنا على فسادها وأجمع مخالفونا على رواية ما رويناها مما قد بيناه وتسلیمه وتحليلهم صحفهم كما ذكرناه وعدولهم عن الطعن في شيء منه حسبما وصفناه وان كان هذا سبيله ليس يكون الأمر فيه كذلك الا لا اعتقاد القوم وتسخيرهم لنقله والتسليم لرواياته إذ كانت العادة جارية بأن كل شيء يتعلق به في حجاج مخالفيه ونصرة مذهبه والمنفرد به دون خصمه وكان في الاقرار به شبهة على صحة مقالته المبين لمقال مخالفيه ، فانه لا يخلو من دافع له وجاخذ وطاعن فيما يروم به ابطاله إلا أن لا تلزم الحجة في صوابه وأن يكون ملطوقاً له في اعتقاده ، أو مسخراً للاقرار به حجة الله تعالى في صحته ودليلاً على ثبوته وبرهانه من على نصرته والمحتج به وتبديل للحق فيه بلطف من لطائفه وإذا كان الأمر في هذا الباب على ما بيناه وثبت تسليم

الفريقين لاجبارنا مع اختلافهم في الإعتقاد على ما ذكرناه ، وصح
الاختلاف بيننا وبين خصومنا في الاحتجاج بالاخبار وبراهينها حسبما
اعتمدنا سقط توهم المخالف لما يحيله من المساوات بين الأمرين .

إنكار الخوارج والاموية فضل علي :

فان عارض الخوارج وقالوا هم يدفعون ما آتيتموه من الاخبار الدالة
على عصمته وذكروا الاموية ، وما يعرف من ضلالهم وظاهر أمرهم
في جحد ما روينا قلنا حكمهم في جحد اخبارنا حكمهم في جحد
أخباركم سواء . وإلا فالفضل بين الأمرين فانه يقال لهم الفضل بيننا
وبين من عارضتم به من الخوارج في دفع النقل ظاهر للنوى . الاعتبار
وذلك لان الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية ولا يعرفون حفظ
الآثار ولا الاعتماد على الاخبار لا كفارهم الامة جميعا واتهام كل فريق
منهم فيما يروونه واعتبادهم لذلك على ظاهر القرآن وانكارهم ما خرج
عنه القرآن من جميع الفرائض والاحكام ومن كان هذا طريقة دينه
وسيله في اعتقاده ومذهبه في النقل والاخبار ولم يعتقد بخلافه فيها
على حال .

فاما الاموية والعبانية فسبب جحودهم لفضائل علي (ع) ، معروف
وهو الحرص لولتهم والعصية لملوكهم وجبايرتهم وهم كالخوارج في
سقوط الاعتراض بهم فيما طريقه النقل ابعدهم عن عمله وتأنيمهم عن فهمه
واطراحهم للعمل به وقد انقضوا مع ذلك بحمد الله ومنه حتى لم
يبق منهم أحد ينسب إلى فضل علي ولا منهم من يذكر في جملة العساء
بخلافه في شيء من الاحكام فسقط الاعتراض بهم كسقوط الاعتراض
بالمارقة فيما تعتمد فيه من الاخبار مع أن الخوارج متى تعاطت الطعن في
اخبارنا التي أثبتناها في الحجة على عصمة أمير المؤمنين (ع) ، فإنما

يقطعونها بالطعن روايتها في دينها المخالف كما تدين به من اكفار
 علي « د ع » ، عثمان وطلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر ومن تولى
 واحداً منهم واعتقد انه من الإسلام وذلك طعن يعم جميع قلة الدين
 من الملة فسقط لذلك قدحهم في الأخبار وليس كذلك طعوننا في نقل
 ما ترددت به الناصبة في الحديث لاننا لا نطعن في رواية إلا لكذبهم فيه
 وقيام الحجة على بطلان معانيه دون الطعن في عقايدهم وان كانت عندنا
 فاسدة فوضح الفرق بيننا وبين من عارضنا في الخصومة برأيه في الاخبار
 على ما شرحناه .

جواز قتل الناكثين :

باب آخر الكلام في صواب أمير المؤمنين وحرابه وخطأ مخالفيه
 ضلالهم عن الحق في الشك فيه : قد بينا أن الحكم على محاربي أمير
 المؤمنين « د ع » ، باضلال والقضاء له في حربهم بالصواب اذا بنى القول
 فيه على امامته المنصوصة وعصمته الواجبة له بما قدمناه ثبت القطع على
 حقيقة كل ما فعل وقال واذا صحت الأخبار اثبتناها فيما قبل هذا
 المكان ومضمونها من حكم النبي « د ص » ، على محاربيه بالفسق المخرج عن
 الايمان لم يكن طريق إلى الشك في صوابه وخطأ مخالفيه على ما بيناه
 وفيما أسلفناه في ذلك مفتح لذوي الالباب وغنى لهم في الحجة على خصومهم
 فيما سواه ونحن نبين القول فيه أيضاً بعد الذي تقدم في معناه على مذاهب
 خصومنا في الأئمة وثبوت البعید لهم من ذوى الرأي حسب اختلافهم
 في عدديتهم به العقد واجتماعهم على ما اتفقوا عليه في هذا الباب ليعلم
 الناظر في كتابنا هذا قوة الحق وتمكن ناصر به من الاحتجاج له والله
 الموفق للصواب .

البيعة لأمر المؤمنين بعد عثمان :

(فصل) قد ثبت بتواتر الاخبار ومظاهر الحديث والآثار أن أمير المؤمنين «ع»، كان منزلاً للفتنة بقتل عثمان وانه بعد عن منزله في المدينة (١) لئلا تطرق عليه الظنون برغبته في البيعة بالامر على الناس وان الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوه وبحثوا عن مكانه حتى وجدوه فصاروا اليه وسألوه القيام بأمر الامة وشكوا اليه ما يخافونه من فساد الامة فكره اجابتهم إلى ذلك على الفور والبدأ لعله بعاقبة الامور وإفدام القوم على الخلاف عليه والمظاهرة له بالعداوة له والشنتآن فلم يمنعهم باؤه من الاجابة عن الالحاح فيما دعوه اليه ذكره بالله عز وجل وقالوا له انه لا يصلح لإمامة المسلمين سواك ولا نجد أحداً يقوم بهذا الامر غيرك فائق الله في الدين وكافة المسلمين فامتنحهم عند ذلك ، يذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاها بيده على الإيثار وإماماً لهم إلى مبايعة أحد الرجلين ، وضمن النصر لها متى أرادوا اصلاح الدين وحياطة الإسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عاداه وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا اليه راغبين في بيعته منتظرين للرضا بتقدمه عليهما وإمامته عليهما فامتنع فألحا عليه في قبول بيعتهما له ، وانفقت الجماعة كلها على الرضا به وترك العدول عنه إلى سواه ، وقالوا أن تجنبا إلى مادعونك اليه من تقليد الامر وقبول البيعة وإلا اتفقت في الإسلام

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ ص ١٥٤) حصر عثمان وعلى بختيار وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٤٠٠) كتب عثمان إلى علي فان كنت مأكولاً فكنت خير آكل وإلا فأدركني ولما امرق وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٨) مثله .

مالا يمكن رتقه وانصدع في الدين مالا يستطيع شعبه فلما سمع ذلك منهم
 بعد الذي ذكرناه من الاباء عليهم والامتناع لتأكيد الحجّة لنفسه بسط
 يده لبيعتهم قنّدا كوا عليه تذاك الابل على حياضها يوم ورودها حتى
 شقوا أعطافه ووطّوا ابنه الحسن والحسين بأرجلهم لشدة ازدحامهم
 عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على يده رغبة بتقديمه على
 كافتهم وتوليته أمر جماعتهم لا يجدون عنه معدلا ولا يخطر ببالهم سواء
 لهم موثقتهم بيعة المهاجرين والبدريين والانصار العقبين المجاهدين
 في الدين والسابقين إلى الإسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع
 النبي «ص» من الخيرة البررة الصالحين ولم تكن بيعته «ع» مقصورة
 على واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوها في العدد كما كانت بيعة أبي بكر
 مقصورة عن بعض أصحابه على بشر بن سعد فتست بها عنده ثم اتبعه
 عليها من تابعه عليها من الناس وقال بعضهم بل تمت ببشر بن سعد وعمر
 ابن الخطاب وقال بعضهم بل تمت بالرجلين المذكورين وأبي عبيدة بن
 الجراح وسالم مولى أبي حذيفة واعتمدوا ذلك في أن البيعة لا تتم بأقل
 من أربعة نفر من المسلمين ، وقال بعضهم بل تمت بخمسة نفر : قيس
 ابن سعد واسيد بن خضير من الانصار وعمر وأبو عبيدة وسالم من
 المهاجرين ثم تابعهم الناس بعدها بالخمسة المذكورين ومن ذهب إلى هذا
 المذهب الجبائي وأبيه والبقية من أضحا بهما في هذا الزمان .

وقالوا في بيعة عمر بن الخطاب مثل ذلك فزعم من يذهب الآن
 البيعة تتم بواحد من الناس وهم جماعة من المتكلمين منهم الخياط والبلخي
 وابن مجالد ومن ذهب مذهبهم من أصحاب الاختيار أن الإمامة تمت
 لعمر بأبي بكر وحده وعقد له إياها دون من سواه .

وكذلك قالوا في عثمان بن عفان والعقد له انه تم بعبد الرحمن بن
 عوف خاصة وخالفهم على ذلك من أضاف إلى المذكورين غيرهما في العقد

وزعم أن بيعة عمر اقررت من الاختيار له عن الامام وعثمان انما تم له الامر ببيعة بقية أهل الشورى وهم خمسة نفر ، أحدهم عبد الرحمن فاعترفت الجماعة من مخالفتنا بما هو حجة عليهم في الخلاف على أئمتهم وبشذوذ العاقدين لهم وانحصار عددهم بمن ذكرناه .

وثبتت البيعة لامير المؤمنين «ع» باجماع من حوته مدينة الرسول من المهاجرين والانصار وأهل بيعة الرضوان ومن انضاف اليهم من أهل مصر والعراق في تلك الحال من الصحابة والتابعين باحسان ولم يدع أحد من الناس انه تمت له بواحد مذكور ولا انسان مشهور ولا بعدد يحصى محصور فيقال تمت بيعته بفلان واحد وفلان وفلان كما قيل في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان .

وإذا ثبت بالاجماع من وجوه المسلمين وأفاضل المؤمنين والانصار والمهاجرين على إمامة أمير المؤمنين «ع» ، والبيعة له على الطوع والايثار وكان العقد على الوجه الذي ثبت به إمامة الثلاثة قبله عند الخصوم بالاختيار وعلى أوكد منه بما ذكرناه في الرغبة اليه في ذلك والاجماع عليه ممن سميناه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان حسبما بيناه ثبت فرض طاعته وحرمة على كل أحد من الخلق التعرض لخلافه ومعصيته ووضع الحق في الحكم على مخالفته ومحاربه بالضللال عن هدايته والقضاء بباطل مخالفة أمره وفسقهم بالخروج عن طاعته لما أوجب الله تعالى من طاعة أولياء أمره في محكم كتابه حيث يقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فمقرن طاعة الأئمة بطاعته ودل على أن المعصية لهم كعصيته على حد سواء في حكمه وقضيته وأجمع أهل القبله مع من ذكرناه على فسق عاربي أئمة العدل ولجورهم بما يرتكبونه من حكم السمع والعقل وإذا لم يكن أمير المؤمنين «ع» ، أحدث بعد البيعة العامة له يخرج عن العدالة

ولا كان قبلها على الظاهر بخيانة في الدين ولا خرج عن الإمامة كان المارق عن طاعته ضالاً فكيف إذا أضاف له بذلك حرباً واستحلالاً لدمه ودماء المسلمين معه ويبنى بذلك في الأرض فساداً يوجب عليه التنكيل بأنواع العقاب، المذكور في نص من قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (١).

هذا بين أن لم يحجب الهوى ويبعد عن فهمه العمى والله نسأل التوفيق.

تأخر سعد واسامة عن حرب البصرة:

(فصل وسؤال) فان قال قائل كيف تم لكم دعوى الاجماع على بيعة أمير المؤمنين (ع)، وقد علمتم ان الاخبار قد ثبتت بتخلف سعد بن

(١) ذكر أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي المتوفى سنة ٤٤٢هـ في (أحكام القرآن) ج ٢ - ص ٢٢٤ أن علياً (ع)، كان إماماً لأنهم اجتمعوا عليه ولم يمكنه ترك الناس لأنه كان أحق الناس بالبيعة قبلها حوطة على الأمة وان لانسفك دماءها بالتهارج ويتخرق الأمر وربما تغير الدين وانقض عمود الإسلام وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان فقال لهم علي (ع)، ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه وكان علي (ع)، أسداه رأياً وأصوب قولاً لأنه لو تعاطى القود لتمصبت لهم قبائلهم فتكون حرباً نائلة قانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامة ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء ولا خلاف بين الأمة انه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشيت الكلمة.

وحينئذ فكل من خرج على علي (ع)، باغ وقتال الباغي واجب حتى ينيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح وأن قتاله لأهل الشام الذين -

أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأسامة بن زيد ؛ ومحمد بن مسلمة ؛ ومظاهرتهم له بالخلاف فيما راقبه بالقتال .

(الجواب) : قيل له أما تأخر من سميت عن الخروج مع أمير المؤمنين «ع» ، إلى البصرة فمشهور ورأيهم في القعود عن القتال معه ظاهر معروف وليس ذلك بمناف لبيعتهم له على الايثار ولا مضاد للتسليم لإمامته على الاختيار والذي ادعى عليه الامتناع في البيعة وأشكل عليه الأمر فظن انهم لو تأخروا عن نصرته كان ذلك منهم لامتناعهم عن بيعته ، وليس الأمر كما توهموا إلا أنه قد يعرض للانسان شك فيما يتقن سلطانه في صوابه ، ولا يرى لسلطان حمله على ما هو شك فيه لضرب من الرأي يقتضيه الحال في صواب التدبير وقد يعتقد الانسان أيضاً صواب غيره في شيء يحمله الهوى على خلافه فيظهر فيما صار اليه من ذلك شبهة تعذره عند كثير من الناس فعالة وليس كل من اعتقد طاعة إمامه كان مضطراً إلى وفاؤه بل قد يجمع الاعتقاد لحق الرئيس

— أبو الدخول في البيعة وأهل الجمل والنهر وان الذين خلعوا بيعته حق وكان حق الجميع أن يصلوا اليه ويجلسوا بين يديه ويطلبوه بما رأوا فلما تركوا ذلك بأجمعهم صاروا بغاة فتناولهم قوله تعالى :
(قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) .

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقاص بعدم مشاركته له فقال سعد راداً عليه لقد ندمت على تأخري عن قتال الفتنة الباغية يعني بها معاوية ومن تابعه اه .

وفي أحكام القرآن للجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ (ج ٣ ص ٤٩٢)
أن علياً كان محقاً في قتاله الفتنة الباغية لم يخالف فيه أحد .

وفي (روح المعاني) للالوسي (ج ٢٦ - ص ١٥١) عن الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر انه قال ما وجدت في نفسي من شيء —

المقدم في الدين مع العصيان له في بعض أوامره ونواهيهِ ولولا أن ذلك كذلك لما عصى الله من يعرفه ولا خالف نبيه «ص»، من يؤمن به وليس هذا من مذاهب خصومك في الإمامة فتوضح عنه بما يـكسر شبهة مدعيه على أن الاخبار قد وردت باذعان القوم بالبيعة مع اقامتهم على ترك المساعدة والنصرة وما تضمنت ذكر أعدائهم زعموها في ذلك وجاءت بما كان من أمير المؤمنين فيما أظهره وإنكاره له بحسب ما اقتضته الحال في مثله من الخطأ فيما ارتكبه .

فروى أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه الذي صنّفه في حرب البصرة عن أصحابه ، وروى غيره من أمثاله الرواة للسيرة عن سلفهم أصحاب أمير المؤمنين «ع» ، لما هم بالمسير الى البصرة بلغه عن سعد ابن ابى وقاص وابن مسلمة واسامة بن زيد وابن عمر ثناقلهم عنه فبعث اليهم فلما حضروا قال لهم قد بلغني عنكم هنات كرهتها وأنا لا أكرهكم على المسير معي على بيعتي : قالوا بلى ، قال فما الذي يقعدكم عن صحبتي ؟ فقال له سعد إنى أكره الخروج في هذا الحرب فأصيب مؤمناً فان أعطيته سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك .

وقال له اسامة أنت أعز الخلق على ولكنى عاهدت الله أن لا اقاتل أهل لا إله إلا الله ، وكان اسامة قد أهوى برمحه في عهد رسول الله إلى رجل في الحرب من المشركين يخافه الرجل فقال لا إله إلا الله فنجره

— ما وجدت في نفسي من هذه الآية وهي قوله تعالى : فقاتلوا التي تبغي الخ حيث أنى لم اقاتل الفئة الباغية يعنى معاوية ومن معه من الباغيين على علي «ع» اهـ ، ولم يتعقبه الالوسى بشئ . ،

ثم ذكر الالوسى عن بعض الحنابلة التصريح بوجود قتال الباغيين احتجاجاً بأن علياً «ع» اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغيين دون الجهاد فهو إذاً أفضل من الجهاد .

بالرمح فقتله فبلغ النبي « ص » خبره فقال يا اسامة أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله ؟ فقال يا رسول الله إنما قالها تعوذاً ، فقال له ألا شفقت عن قتله فزعم اسامة أن النبي « ص » أمره أن يقاتل بالسيف من قاتل المشركين فإذا قوتل به المسلمون ضرب بسيفه الحجر فكسره .
وقال عبد الله بن عمر لست أعرف في هذه الحرب شيئاً أسألك أن لا تحملي على ما لا أعرف .

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام ليس كل مفتون معاتب السم على بيعتى قالوا بلى قال انصرفوا فسيغيبني الله عنكم فاعترفوا له « د » ، بالبيعة وأقاموا في تأخرهم عند عندا لم يقبله منهم وأخبر أنهم بتركهم الجهاد مفتنون ولم ير الإنكار عليهم في الحال بأكثر مما أبداه من ذكر المهيم عن الصواب في خلاقته والشهادة بفتنتهم بترك وفاقهم له .

ولأن الدلائل الظاهرة على حقه « د » ، تغني عن حاجتهم بالكلام ومعرفة بياطن أمرهم الذي أظهروا خلافه في الاعتذار يسقط عن فرض التنبيه الذي محتاج إليه أهل الرقدة عن البيان وقد قال الله عز وجل في تأكيد ما ذكرناه وحجة على ما وصفناه (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره .)

وقد ذكر بعض العلماء أن الأسباب في تأخر القوم عن نصره أمير المؤمنين « د » ، بعد البيعة له معروفة وإن الذي أظهروه من الاعتذار في خلافه خداع منهم وتمويه وستر على أنفسهم ما استبطنوه منه خوفاً من الفضيحة فيه ، فقال أما سعد بن مالك فسبب قعوده عن نصره أمير المؤمنين « د » ، الحسد له والطمع كان منه في مقامه الذي يرجوه فلما خاب من أمه حمله الحسد على خذلانه والمباينة له في الرأي قال والذي أفسد سعداً طمعه فيما ليس له بأهل وجرأة على مسامات أمير المؤمنين بإدخال عمر بن الخطاب إياه في الشورى وتأهيله إياه للخلافة وإيهامه

لذلك انه عمل الإمامة فقدم عليه وأفسد حاله في الدنيا والدين حتى
خرج منها صغراً مما كان يرتجيه .

وأما اسامة بن زيد فان النبي «ص» كان ولده في مرضه الذي توفي
فيه على أبي بكر وعمر وعثمان فلما مضى رسول الله لسيله انصرف
القوم عن معسكره وخدموه بتسميته مدة حياتهم له بالأمره مع تقدمهم
عليه في الخلافة وصانعوه بذلك بما خالفوه فيه من السمع له والسير معه
والطاعة واغتر بخدمتهم وقبل منهم مصانعتهم وكان يعلم ان أمير المؤمنين
لا يسمح له بالخداع ولا يصانمه مصانعة القوم ويحذر من التسمية التي
جعلوها له ولا يرفعه عن منزلته ويسير به سيرته في عبيده وموالي نعمته
إذ كان ولده له بالعق الذي كان من انزاعه التي «ص» لأبيه بعد
استرقاقه فصار كذلك بعد النبي «ص» غير انه منه في الولاء فكره
الانحطاط عن رتبته التي رتبها القوم فيه ولم يجد إلى التخلص من ذلك
إلا بكفر النعمة والمباينة لسيدته والخلاف لمولاه فحمل نفسه على ذلك
لما ذكرناه .

وأما محمد بن مسلمة فانه كان صديق عثمان بن عفان وخاصته وبطائه
فحملته المعصية له على معاونة الطالبين بثاره وكره أن يتظاهر في
الكون في حيز المحاربين لهم المباينين طريقهم ولم ير بمقتضى الحال
معاونة أعدائهم ولا سمحت نفسه بذلك فأظهر من العذر بتأخره
عن نصره أمير المؤمنين بخلاف باطنه منه بما كرهه وسترأ لقيح سريرته .
وأما عبد الله بن عمر فانه كان ضعيف العقل كثير الجهل ماقماً
لايمير المؤمنين ورائة الخلف عن السلف ما يرثونه من المودة والعداوة
وكان أمير المؤمنين «ع» مع ذلك قد شجاء بهدردم أخيه عبيد الله لقتله
الهرمزان وأجلاه عن المدينة وشرده في البلاد لا يأمن على نفسه من
الظفر به فيسقط قوداً فلم تسمع نفسه بطاعة أمير المؤمنين «ع» ولا

أمكنه المقت من الاقياد له لنصرته وتجاهل ما أبداه من الخيرة في قتال البغاة والشك في مسه ذلك وحجته .

روى هذا الكلام بعينه عن أمير المؤمنين في أسباب تأخر القوم عنه فان صحت الرواية بذلك فهو أوكد بحجته وان لم تثبت كفى في برهانه أن قائله ليس من أهل العلم له صحة فكر وصفاء فطنة .

على أنا لو سلنا لخصومنا ما ادعوه من امتناع سعد وابن مسله واسامة وابن عمر من بيعة أمير المؤمنين وكراهتهم لها باعتزالهم إياها وأضفنا اليهم في ذلك أمثالهم ممن ظاهر عليه بالعداوة كزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ومروان بن الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن الزبير وولد عثمان بن عفان وجماعة ممن كان معهم في الدار يوم الحصار بنى امية المعروفين بمقت بنى هاشم وعداوتهم والمباينة لهم في الجاهلية والإسلام بالآلاف لما قدح فيما اعتمدنا من دليل إمامته «ع» الذي بينا القول فيه على مذاهب الخصوم من الحشوية والمرجئة والخوارج وأهل الاعتزال وقاعدتهم في ثبوت البيعة بالاختيار من أهل الرأي إذ كنا لم نعتمد في ذلك على إجماع كافة أهل الإسلام وإنما اعتمدنا ما ثبت به العقل على أمور القوم في بيعة أهل الفضل منهم والاجتهاد واستظهرنا في التأكيد لذلك بذكر إجماع المهاجرين الاولين وعميون الأنصار وفضلاء المسلمين ممن حوته المدينة يومئذ والتابعين بأحسان والخيرة الصالحين من أهل الحجاز والعراق ومصر وغيرها من البلاد والذين كانوا حاضرين بالمدينة يومئذ بأجمعهم سوى من يعتصم بخلافة الخصوم محصور عددهم لقتلهم رضوا بإمامة أمير المؤمنين «ع» ورغبوا في تولى الأمر وسألوه ورأوا أن لا يستحق له سواه وتابعوه على الطوع منهم والايثار وبنلوا نفوسهم من بعد البيعة معه في جهاد أعدائه واعتقدوا أن التأخر عن طاعته في قتال أعدائه ضلال موبق وفسق مخرج عن

الإيمان والبيعة عند مخالفينا تم ببعض من ذكرناه إذ كانوا خمسة نفر على قول فريق منهم أو أربعة على قول آخرين أو اثنين على مذهب فريق آخر بل تتم عند أكثرهم بواحد حسبنا ذكرناه فكيف يحل مع ذلك بدليلنا الذي ذكرناه في إمامته «ع» خلاف النفر الذين تعلق بذكرهم في القعود عن القتال من تعلق أو بما ظهر بعد البيعة من خلاف مرتكبها . ومباينة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص بعد الذي كان من مراسلتها أمير المؤمنين «ع» بالبيعة والطاعة بشرط أقرارهما على ما ولاهما عليه عثمان من الاعمال فلما أتى ذلك خوفاً من الله تعالى ظاهروا عليه بالخلاف وان خصومنا جهال أغمار لا معرفة لهم بوجوه النظر ولا علم لهم بالاخبار .

ونحن نذكر الآن جملة من بايع أمير المؤمنين «ع» الراضين بإمامته الباذلين لانفسهم في طاعته بعد الذي أجهلناه من الخبر عنهم عن يعترف المنصف بوقوفه على أسمائهم تحقيقاً ما وصفناه عن عنايتهم في الدين وتقدمهم في الإسلام ومكانتهم من نبي الهدى وان الواحد منهم لو ولي العقد لإمام لانعقد الامر به اصة عند خصومنا فضلاً عن جماعتهم وعلى مذهبهم فيما يدعونه من ثبوت الإمامة بالاختيار وآراء الرجال وتضمحل بذلك عنده شبهات الاموية فيما راموه من القدح في دليلنا بما ذكروه من خلاف من سموه حسبنا قدمنا ومن بايع أمير المؤمنين بغير ارياب ودان بإمامته على الاجماع والاتفاق ، واعتقد فرض طاعته والتحریم لخلافه ومعصيته والحاضرون معه في حرب البصرة الف وخمسةائة رجل من وجوه المهاجرين الاولين والسابقين إلى الإسلام والانصار البدرين العقيبين وأهل بيعة الرضوان من جملتهم سبعمائة من المهاجرين وثمانمائة من الانصار سوى أبنائهم وحلفائهم ومواليهم وغيرهم من بطون العرب والتابعين باحسان على ما جاء به الثبت من الاخبار .

فن جملة المهاجرين عمار بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ ، وحببيه وأخص الأصحاب كان به والثقة قبل البعثة وبعدها وأنصر الناس له وأشدهم اجتهاداً في طاعته المعنّب في الله أبوه وامه في أول الإسلام الذي لم يكن لأحد من الصحابة في المحنة ما كان له ولا نال أحد منهم في الدين من المكروه والصبر على الإسلام كما ناله ، لم تأخذه في الله لومة لائم ، مقيم مع شدة البلاء على الإيمان الذي اختص من رسول الله ﷺ بمدح لم يسبقه فيها سواه من الصحابة كلها ، مع شهادته له بالجنة مع القطع والبيان لانذاره من قتله والتبشير لقاتله بالنار على ما اتفق عليه أهل النقل من حملة الآثار فمن ذلك قول رسول الله ﷺ ، ان الجنة لتشتاق إلى عمار فانها اليه أشوق منه إليها ، وقوله بشر قاتل عمار وسالبه بالنار ، وقوله ﷺ ، عمار جلدة بين عيني وأنتي ، وقوله لا تؤذوني في عمار ، وقوله عمار ملاً إيماناً وعلماً ، في أمثال ذلك من المدائح والتعظيمات التي اختص بها على ما ذكرناه .

ثم الحصين بن الحرث بن عبد المطلب والطفيل بن الحرث المهاجران البديان ومسطح بن أناته وحجار بن سعد الغفاري وعبد الرحمن بن جميل الجمعي وعبد الله ومحمد ابنا بديل الخزاعي والحرث بن عوف وأبو عابد الليثي والبراء بن عازب وزيد بن صوحان ويزيد بن نورة الذي شهد له رسول الله ﷺ ، بالجنة وهاشم بن عتبة المر قال وبريدة الأسلمي وعمر بن الحق الخزاعي وهجرته إلى الله ورسوله معروفة ومكانه منه مشهور ومدحه له مذكور والحرث بن سراق وأبو أسيد ابن ربيعة ومسعود بن أبي عمر وعبد الله بن عقيل وعمر بن محسن وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر ومن في عدادهم ممن أدرك عصر النبي ﷺ .

كحجر بن عدى الكندى وشداد بن أوس في نظر أئمة من الأصحاب
وأمثال من تقدم ذكره من المهاجرين على طبقاتهم في التقى ومراتبهم
في الدين من يطول تعداد ذكره والكلام فيه .

بيمة الأنصار :

ومن الأنصار أبو أيوب وخالد بن زيد صاحباً رسول الله «ص»،
وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان وأبو سعيد
الخدري وعبادة ابن الصامت وسهل وعثمان ابنا حنيف وأبو عباس
الزرقى فارس رسول الله «ص»، يوم احد وزيد بن أرقم وسعد وقيس
ابن سعد بن عبادة وجابر بن عبد الله بن حزام ومسعود بن أسلم وعامر
ابن أجبل وسهل بن سعيد والنعمان بن حجلان وسعد بن زياد ورفاعة
ابن سعد ومخلد وخالد ابني أبي خلف وضرار بن الصامت ومسعود بن
قيس وعمر بن بلال وعمار بن أوس ومرة الساعدي ورفاعة بن مالك
الزرقى وجبله بن عمرو الساعدي وعمر بن حزم وسهل بن سعد
الساعدي في أمثالهم من الأنصار الذين بايعوا البيعتين وصلوا القبلين
واختصوا من مداخل القرآن والثناء عليهم من نبي الهدى عليه وآله
السلام مما لم يختلف فيه من أهل العلم اثنان ومن لو أنبتنا أسماءهم لطال
بها الكتاب ولم يحتمل استيفاء العدد الذي حددناه .

بيمة الهاشميين :

ومن بني هاشم أهل بيت النبوة ومعادن الرسالة ومهبط الوحي
ومختلف الملائكة الحسن والحسين سبطا الرحمة وسيدا شباب أهل
الجنة عليهما السلام ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر ومحمد وعون ابنا
جعفر الطيار وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله

والفضل وثم وعبيد الله بنو العباس وعبد الله بن أبي لهب وعبد الله
ابن الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن
عبد المطلب وكافة بني هاشم وبني عبد المطلب .

يبعة باقي الشيعة :

ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعليه شيعتهم وأهل الفضل
في الدين والإيمان والعلم والفقه والقرآن المنقطين إلى الله تعالى بالعبادة
والجهاد والتسك بحقائق الإيمان : محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين
وحبيبه ومحمد بن أبي حذيفة وإيه وخاصته المستشهد في طاعته ومالك
ابن الحرث الأشتر النخعي سيفه ، المخلص في ولايته وثابت بن قيس
النخعي وكيل بن زياد وصعصعة بن صوحان العبدى وعمر بن زاررة
النخعي وعبد الله بن أرقم وزيد بن الملق وسليمان بن صرد الخزاعي
وقبيصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بديل الخزاعي وعبد الرحمن بن
عديس السلولى وأويس القرنى وهند الجلي وجندب الأزدي والأشعث
ابن سوار وحكيم بن جبلة ورشيد الهجرى ومعمل بن قيس بن
حنظلة وسويد بن الحارث وسعد بن مبشر وعبد الله بن وال ومالك
ابن ضمرة والحارث الهمداني وحنة بن جويرة العرنى ممن كانوا بالمدينة
عند قتل عثمان وأطبقوا على الرضا بأمر المؤمنين (ع) ، فبايعوه على حرب
من حارب وسلم من سالم وأن لا يولوا في نصرته الأديار وحضروا
مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته
ويبقى المتأخر منهم على حجته حتى مضى أمير المؤمنين (ع) ، لسيله وكان
من بقى منهم بعده على ولايته والاعتقاد بفضله على الكافة بامامته وإذا
كان الأمر في بيعته حسب ما ذكرناه واجماع من سميناه ونعتناه على
الرضا به والطاعة له والاعتقاد كما وصفناه بطل اعتراض المعترض في

ثبوت إمامته بتأخر من سميانه من البيعة وتفردهم عن الحرب معه ووضع
 حصر عددهم وقلت ان الاجماع كان من كافة أهل الهجرة عليه إذ لو
 كان هناك سوى نفر المعدودين في خلاف أمير المؤمنين دع، اشركهم
 في الرأي وذكرهم الناس في جملتهم وأحصوهم في عددهم وألحقوهم بهم
 فيما انفردوا به من جماعتهم ولم يكن لغيرهم ذكر في ذلك فصح ما حكيناه
 من اتفاق المهاجرين والانصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان
 والتابعين باحسان على إمامته كما قدمناه فيما سلف وذكرناه والمثمة لله .

الاجبار في البيعة :

فان قال قائل قد وجدتم فيما احتججتم به على مخالفيكم في إمامة
 على دع، وثبوتها الموجب لضلال مخالفيه وخروجهم بجره عن الإيمان
 عقد الصحابة على الاختيار ورغبتهم اليه في تولى امورهم ومسائلته في
 ذلك وإبائوه له حتى اجتمع المسلمون والالحاح بمن بايعه طوعاً من
 المهاجرين والانصار وقد جاءت الاخبار بصد ذلك وانه كان قاهراً
 للامة مجبراً لها على البيعة مكرهاً في ذلك الناس . فروى الواقدي عن
 هاشم بن عاصم عن المنذر بن الجهم قال سألت عبد الله بن تغلبه كيف
 كانت بيعة علي عليه السلام قال رأيت بيعة رأسها الاشر يقول من لم
 يبايع ضربت عنقه وحكيم بن جبلة وذووهما ماظنك بما يكون أجبر
 فيه جبراً ثم قال أشهد رأيت الناس يحشرون بيعته فيتفرقون فيوثق بهم
 فيضربون ويعسفون فبايع من بايع وانفلك من انفلك، وروى أيضاً
 عن سعيد بن المسيب قال لقيت سعد بن زيد بن نفيقل فقلت بايعت ؟
 فقال ما أصنع إن لم أفعل قتلني الاشر وذووه قال وقد عرف الناس
 من طلحة والزبير كانا يقولان بايعنا مكرهين، وروى عنها انها قالا
 بايعناه بأيدينا ولم تباعه قلوبنا، والخبر مشهور عن طلحة بن عبد الله

إنه كان يقول بأبعت مع علي وإلا رقتي ، قالوا وإذا كان البيعة لعلي
بقهر وإصرار وإكراه الناس وإجبار لم تثبت إمامته ولم يثبت نظيرها
في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ،

الجواب : فيقال للمعتز لما حكيناه ، لسائل عما ذكرناه ، فاما
الواقدي فعثمانى المذهب بالميل عن علي أمير المؤمنين (ع) ، والذي روى
عنه ما رواه من إكراه الناس علي البيعة لأمير المؤمنين (ع) ، والتخصر
عليه بإضافة الإباطيل اليه وقد ثبت ان شهادة المشاجر مردودة بالاجماع
وحديث الحضم فيما قده به عدالة خصمه مطروح بالاتفاق وقول
المتهم الظنين غير مقبول بلا اختلاف فلا حجة في الحديث المذكور
عن ابن تغلبه .

ولو سلم من جميع ما وصفناه من الطعن فيه إذا كان فانه خبر واحد
يضاد التواتر الوارد بخلاف معناه فكيف وهو من الوهن عل ما بيناه .
وأما خبر ابن المسيب عن سعيد بن زيد بن تقييل فقد صرح فيه
بأقرار سعيد بالبيعة ودعوام انه بايع خوفاً من الاشر باطلة إذا كان
ظاهره بخلاف ما ادعاه فيه وليس كل من خاف شيئاً فقد وقع خوفه
موقعه بل أكثر من يخاف متوهم للبعد ظان للباطل متخيل للفاسد ولم
يذكر سعيد شيئاً من إمارات خوفه فيكون له حجة فيما ادعاه ولم يقل
أحد ان الاشر ولا غيره من شيعة أمير المؤمنين (ع) ، كلوا ممتعاً من
بيعته في الحال ولا ضربوا أحداً منهم بالسوط ولا نهروه فضلاً عن
القتل وضرب الرقاب فكيف يخاف سعيد من الاشر مع ما ذكرناه وأن
يكون لخوفه وجه صحيح على ما قلناه وهذا يدل على كذب الواقدي .
فيما أضافه إلى سعيد بن زيد من الخوف وأخبر عنه أو على تمويه
سعيد فيما ادعاه .

وأما قول طلحة والزبير إنهما بايعا مكرهين فالكلام فيه كالكلام

على ابن المسيب عن سعيد والتهمة لهما في ذلك أو كد لانهما جملا ذلك
عذراً في نكشهما البيعة والخروج عن الطاعة وطلب الرياسة والأمرة فلم
يجدا إلى ذلك سبيلا مع ما كان منهما في ظاهر الحال من البيعة على الطوع
بلا اجبار إلا بدعوى الاكراه والاحالة في ذلك على الضائر والبواطن
التي لا يعلنها إلا الله وقد ثبت في حكم الاسلام الاخذ بها بمقتضى الاقرار
منها في البيعة والقضاء عليها بلزوم الطاعة لهما لمن بايعاه والخلاف عليهما
لامامهما الذي اعترفا ببيعتهما له وصفقا له بأيديهما على يده بالعقد له على
ظاهر الرضا والايثار وسقوط دعواهما للباطن المضاد للحكم الظاهر من
ذلك ومازعماه من حكم الكراهة في قلوبهما على ما ادعياه .

مع أن ظهور مشاحتها لامير المؤمنين د ع ، ومظاهرتها له بالعداوة
وبلوغها في ذلك الغاية من ضرب الرقاب وسفك الدماء يبطل دعواهما
على ما يقدر في عدالته ويؤثر في إمامته ويمنعه حقاً له على كل حال .
على أنه لو ثبت الاكراه في البيعة لامير المؤمنين لمن ادعى المخالفون
إكراهه لم يقدر ذلك في إمامته د ع ، على أن اصول شيعته الداينين
بالنص عليه من رسول الله د ص ، تقتضى ذلك لان الإمام المنصوص
عليه المفترض طاعته على الانام أن يكره من أبي طاعته ونصرته
بالسوط والسيف على ذلك حتى يفنيء إلى أمر الله والانتقاده ويزول
بذلك ما يحذر من فسادهم وقتهم ولا يؤثر أيضاً في إمامته على مذهب
المخالفين القائلين بالاختيار لانه إذا بايع عندهم من أهل الفضل عدد
محصور ثبت له العقد ووجبت له الطاعة وكان له إكراه من أبي البيعة
ورام الخلاف والعصيان واعمال السوط والسيف في رده عن ذلك
ولاكراهه على الطاعة والدخول مع الجماعة ومعلوم ان أمير المؤمنين
قد بايعه على الرضا به من لا يحصى عددهم كثرة ممن جاهد معه في حروبه
وبذل دمه في نصرته من المهاجرين البدرين والانصار العقبيين وأهل

بيعة الرضوان ، والتابعين باحسان من أثبتنا أسماء بعضهم فيما سبق هذا الفصل في الكتاب فبطل ما تعلق به الخصم من دعوى الاكراه لمن سموه والخبر في ذلك على ما ادعوه والاعتماد على أخبار شواذ به يبطله الظاهر المنتشر في خلافها من الاخبار .

لإنكار جماعة بيعة أبي بكر :

على أنه يقال للخصم ان كان الخبر باكراه قوم على بيعة أمير المؤمنين يفتح في إمامة عدل فقد جاءت الاخبار المتواترة باكراه من اكراه على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان فيجب أن تقطع على فساد إمامتهم بذلك ولا كنت مناقضاً عند العقلاء ، ألا ترى ان المعلوم المنتشر بعد بلا ارياب من مباينة الانصار في بيعة أبي بكر ودعائها إلى البيعة لسعد ابن عباد وإنكاره بيعة سواه وتضمن على حرف الامر عن قريش وشروعها في ذلك حتى اختلف كتبهم وأفسد أمره بشر بن سعد منهم وبايع أبا بكر حسداً لابن عمه وظناً عليه بالرياسة وكراهة الاتباع له والتقدم على نفسه ف وقعت الفتنة وسلك السيوف ودعا عمر بن الخطاب إلى قتل سعد بن عباد وحرص عليه في ذلك وقال اقتلوا سعداً قتل الله سعداً تخافت الانصار من ظفرها والجناية عليها فحملوا سعداً من السقيفة بين جماعتهم لضعفه عن النهوض بنفسه لمرض كان به في الحال وانحاز إليه أهل بيته كارهين لبيعة من عقدت له منكرين لما تم لابى بكر متوعدين فيه بالخلاف .

وجاءت الاخبار متظافرة بانكار الزبير بن العوام لبيعة أبي بكر وخروجه بالسيف مصلاً للقتال فتكاثر القوم عليه حتى أخذوه من يده وضربوه بالاحجار فكسروه وجلّوا به ملبياً لابى بكر حتى بايع مكرهاً على غير اختيار منكرأ ولما حضر سلمان رضى الله عنه لامرهم

متكلماً في ذلك بلسانه ومفصلاً فيه بلسان العرب وما كان من إنكار
 العباس بن عبد المطلب عم رسول الله «ص»، صرف الأمر عن بني
 هاشم ويصعقهم لمن بايعوا ودعائه أمير المؤمنين «ع»، إلى بسط يده لبايعه
 على الأمر فقال له أمدد يدك يا ابن أخي. أبايعك ليقول الناس عم رسول
 الله «ص»، بايع ابن عم رسول الله فلا يحتلف عليك اثنان وقول أبي
 سفيان حرب بن صخر بأعلى صوته: يا بني هاشم أرضيتم أن يبلى
 عليكم ابن تميم مرة حاكماً على العرب ومتى طمعت أن تتقدم على بني
 هاشم في الأمر انهضوا لدفع هؤلاء القوم عما تماثلوا اليه ظلاً لكم أما
 والله لئن شتمت لأملأنها عليهم خيلاً ورجالاً ثم قال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تميم بن مرة أو عدى
 فإ الأمر إلا فيكمم واليكمم وليس له إلا أبو حسن على
 أبا حسن فاشدد بها كف فاتفك فانك بأأمر الذي يرتجي ملي (١)

ولما اجتمع من اجتمع في دار فاطمة من بني هاشم وغيرهم للتحيز
 عن أبي بكر وإظهار الخلاف أنفذ عمر بن الخطاب قنفاً وقال له
 اخرج من في البيت فان خرجوا وإلا فاجمع الأحطاب على بابه واعلمهم
 انهم ان لم يخرجوا للبيعة أضرمت البيت عليهم ناراً.

ثم قام بنفسه في جماعة منهم المغيرة بن شعبة الثقفي وسالم مولى حذيفة
 حتى صاروا إلى باب علي فنادى يافاطمة بنت رسول الله «ص»، اخرجي
 من اعتم بيتك لبايع ويدخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا والله
 أضرمت عليهم ناراً في حديث مشهور (٢).

(١) رواها اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ - ص ١٠٥) ط النجف
 بزيادة بيت رابع:

وان امرأ أرمى قصياً وراه عزيز الحى والناس من غالب قصى.

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٥٢) ان عمر بن الخطاب -

ولما عرف أهل البصرة تقلد أبي بكر أنكروا أمره وامتنعوا من حمل الزكاة حتى أخذ اليهم الجيوش فقتلهم وحكم عليهم بالردة عن الإسلام وفي إنكار أهل البصرة بيعة أبي بكر يقول :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فياقوم ماشأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام عمر مكانه وذلك لعمر الله قاصمة الظهر (١)
وكان عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خارجاً عن
المدينة فدخلها وقد بايع الناس أبا بكر فوقف في وسط المسجد وأنشأ
يقول (٢) :

ما كنت أحسب هذا الأمر منتقلاً عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
ليس أول من صلى لقبيلتهم وأعرف الناس بالآثار والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي ومن جبريل عون له بالنسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن
فما الذي ردكم عنه فنعله ها ان يبعثكم في أول الفتن

— جاء إلى بيت فاطمة بقبس من نار يريد أن يحرقه علي من فيه
فخرجت إليه فاطمة دح ، تقول يا ابن الخطاب جئت لتحرق دارنا ؟
قال نعم اه ، والقبس في نص أهل اللغة شعلة نار مضمرة .

(١) في تاريخ الطبري (ج ٣ - ص ٢٢٣) ذكر سبعة آيات منها
البيتين ونسبها للخليل بن أوس أخو الحطيئة وفي روايته عجز البيت
الأول : (فيا لعباد الله ما لأبي بكر) و صدر البيت الثاني : (أبو رثنا
بكر إذا مات بعده) .

(٢) في تاريخ يعقوبي (ج ٢ - ص ١٠٣) ط النجف نسبت إلى
عتبة بن أبي لهب ولم يذكر الخامس وفي روايته الصدر الاول :
(ما كنت أحسب أن الامر منصرف) والبيت الثاني :

عن أول الناس إيماناً وسابقة وأعلم الناس بالقرآن والسنن

رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي عن محمد بن اسحق الكلبي
وآبي صالح ورواه أيضاً عن رجله زائدة بن قدامة قال كان جماعة
من الاعراب قد دخلوا المدينة ايتاروا منها فشغل الناس عنهم بموت
رسول الله ص ، فشهدوا البيعة وحضروا الأمر فأتقذ اليهم عمر
واستدعاهم وقال لهم خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله
واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبيعوا فن امتنع فاضربوا رأسه
وجبينه ، قال والله لقد رأيت الاعراب تحزموا ، واتشحوا بالازر
الصنمانية وأخذوا بأيديهم الخشب وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطاً
وجلوا بهم مكرهين إلى البيعة وأمثال ما ذكرناه من الاخبار في قهر
الناس على بيعة أبي بكر وحلمهم عليها بالاضطرار كثيرة ولو رما ارادها
لم يتسع لهذا الكتاب فان كان الذي ادعاه المخالف من إكراه من أكره
على بيعة أمير المؤمنين دع ، دليلا على فسادها مع ضعف الحديث بذلك
فيكون ثبوت الاخبار بامسرخاه من الادلة على بيعة أبي بكر موضحة
عن بطلانها .

كراهة المسلمين استخلاف عمر :

هذا والامة مجتمعة على أن أبا بكر لما أراد استخلاف عمر بن
الخطاب حضره وجوه المهاجرين وفيهم طلحة والزبير وسعد بن أبي
وقاص فقالوا ما تقول لربك إذا وليت علينا هذا الفض الغليظ وأنا لم
نكن نعليقه وهو رعية لك فكيف إذا ولي الأمر ، فاتق الله في الإسلام
وأهله ولا تسلطه على الناس ، فغضب أبو بكر وقال اجلسوني فاجلس
واستند إلى صدور الرجال من ضعفه ثم قال لهم : أبا لله تخوفوني ان
كل واحد منكم قد طمع في هذا الأمر ، فلما سمع ما اریده اممر ورم
لذلك أنه قال وقد رأيتم ما جاءته فعملتم على التأمم واستعمال الستور

ونضائد الدياج لتتخذوها كسوية لا والله لا أجتكم الى ما تريدون
 انى إذا لقيت ربي فسألنى من استخلفت عليهم قلت استخلفت عليهم
 خير أهلهم ، وهذا خبر مشهور لاتنازع فيه العلماء (١) وهو متضمن
 اعقد أبى بكر الامر لعمر على كراهية من ذكرناه وقهرأ لهم وإجباراً
 عليهم فيجب على غلبة الخصم أن تكون إمامة عمر بن الخطاب فاسدة
 أكرامتها من أعدناه .

الصحابة يوم الشورى :

قال ولما كان فى يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رحمه الله فقام
 فى الناس وقال ان وليتموها علياً (ع) سمعنا وأطعنا وان وليتموها
 عثمان سمعنا وعصينا فقام الوليد بن عقبة وقال : يامعشر الناس أهل
 الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا وان وليتموها علياً سمعنا
 وعصينا فانتهره عمار وقال له متى كان مثلك بافاسق يعترض فى أمور
 المسلمين وشتات جمعها ، وتساها جميعاً وتناوشاً حتى حيل بينهما فقال
 المقداد من وراء الباب : يامعشر المسلمين ان وليتموها أحداً من القوم
 فلاتولوها من لم يحضر بديراً وانهمزم يوم احد ولم يحضر بيعة الرضوان (٢)

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٤ - ص ٥٢) والعقد الفريد (ج ٢ -
 ص ٢٥٧) وشرح النهج لابن أبى الحديد (ج ١ - ص ٥٥) ان أبى
 بكر ذكره - هذا عند مجيء المهاجرين اليه وتذمره منهم وفى تاريخ
 الخيس (ج ٢ - ص ٢٩٩) ان طلحة والزبير قالوا له أتولى علينا فضلاً
 غليظاً ما تقول لربك .

(٢) فى شرح النهج لابن أبى الحديد (ج ١ - ص ٦٦) ان عبد
 الرحمن بن عوف أرسل إلى عثمان يذكره بفراره يوم احد وعلم
 حضوره بديراً ولا بيعة الرضوان فلم يتكر عليه .

وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان أما والله لئن أيتها لأردنك إلى ربك الأول ، ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان نهض أمير المؤمنين دع ، وقال مال الرجل إلى صهري ونبذ دينه وراء ظهره وأقبل على عبد الرحمن فقال والله ما أمكت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه تق الله بينكما عطر منشم (١) وانصرف مظهراً للتكبير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان وقد عرفت الخاصة والعامة ما أظهره أمير المؤمنين دع ، من كراهته من تقدم عليه وظلمه منهم .

فقال في مقام بعد مقام : اللهم انى أستعيدك على قريش فانهم ظلموني حتى ومنعوني ارثى وتمالوا على .

وقال دع ، لم أزل مظلوماً منذ قبض رسول الله ص .

وقال وقد عهد إلى رسول الله ان الامة ستغدر بي من بعده .

وقال اللهم أجز قريشاً عنى الجوازي فقد قطعت رحى ودفعتنى عن

حتى وأغرقت بى سفهاء الناس وخاطرت بدى (٢) .

خطبة علي يوم البيعة :

فصل : ولما أفضى الامر اليه رقى المنبر فحمد الله وأتى عليه ثم قال

(١) فى تاج العروس (ج ٩ - ص ٧٩) بمادة نشم ان امرأة صنعت لزوجها طيباً تطيب به ثم أنها صادفت رجلاً فطيبته فلقىه زوجها فشم طيب زوجته فقتله فاقتل الحيان من أجله فضرب به المثل وقالوا أشام من عطر منشم ، وقيل ان المنشم حب عطر شاق الدق وهو موسم ساعة وفيه يقول زهير :

تدار كتما عبساً وذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

(٢) البيان والتبيين (ج ٢ - ص ٥٢) ط سنة ١٣٣٢ هـ

قد كانت امور كثيرة لم تكونوا عندي فيها محمودين أما اني لو اشاء
 لقلت عنى الله عما سلف سبق الرجلان ، وقام الثالث كالغراب همت
 بطنه وفرجه ، باويح لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له .
 إلى آخر الخطبة وفيها عجائب من فصيح الكلام وغرائبه والعباء
 متفقون عليها عنه «ع» ، وقد ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى وفسر
 غريب الكلام فيها وأوردها المدائني في كتبه وذكرها الجاحظ مع
 نصبه وعداوته لامير المؤمنين «ع» ، في كتابه الموسوم (بالبيان
 والتبيين) (١) .

الشَّقَشِقِيَّة :

فاما خطبته عليه السلام التي رواها عبد الله بن عباس فهي أشهر من
 أن ندل عليها لشهرتها وهي التي يقول «ع» ، في أولها :
 والله لقد قمصها ابن أبي قحافة وانه يعلم ان محلي منها محل القطب
 من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرق إلى الطير فسدلت دونها ثوباً
 وطويت عنها كشحاً .

أرى ترائي نهباً فصبرت وفي العين قذى ، وفي الخلق شحى ، إلى
 فرله «ع» : فجعلني عمر سادس ستة زعم اني أحدم فيا لله وللشورى
 متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر
 ولكني أسففت إذا سفوا ، وطرت إذا طاروا ، في كلام طويل
 اختصرناه هنا (٢) فدل ما ذكرناه عنه عليه السلام على كراهيته من

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ٢ - ص ٤٩٦) ان
 الاخبار قد تواترت عنه عليه السلام في هذا وذكر ما نص عليه المفيد .
 (٢) ذكر شيخنا الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قدس سره
 في رسالته مدارك نهج البلاغة ص ٧٠ المطبوعة مع مؤلفه المستدرك —

تقدم عليه ، وإنكاره ما صنعوه في ذلك ، وخصومنا لعنادهم الحق
 وتجاهلهم يحملون الاخبار الشاذة في كراهة نفر معبودين لبيعة أمير
 المؤمنين دع ، قسما في إمامته ولا يجعلون ما ذكرناه من خلاف وجوه
 المسلمين وعامة المؤمنين والانصار والمهاجرين في إمامة الثلاثة نفر
 المذكورين حجة في بطلانها ولا إنكارهم لذلك وكراهتهم لما قدحاً فيها
 ويدعون مع ذلك بحجبتهم وجرأتهم وقلة أمانتهم لإجماع الأمة عليهم
 (ان هذا الشيء محجوب) مع اني مثبت طرفاً من الاخبار التي جاءت ببيعة
 أمير المؤمنين دع ، وانها كانت على وفاق ما ذكرت في أول الباب
 من الرغبة اليه في قبولها منهم والايثار لتقدمه عليهم والاختيار ما قصدنا
 به الايضاح عنه من ثبوت إمامته على اصول الواقفين من شيعته
 والمخالفين لهم في ذلك حسب ما بيناه ان شاء الله تعالى .

امتناع علي من البيعة :

فمن روى خبر البيعة وما كانت عليه الحال أبو مخنف لوط بن يحيى
 الأزدي في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد
 ابن عبد الله بن سواده وطلحة بن الاعلم وابني عثمان أجمع قالوا بقيت
 المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها العافق بن حرب العكي (١)
 والناس يلتمسون من يجيهم لهذا الامر فلا يجدون فيأتي المصريون
 علياً فيختبئ عنهم ويلوذ بحيطان المدينة فاذا لقوه يأبى عليهم ، قال
 وروى اسحق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن اثيري

 — على نهج البلاغة — أقوال العلماء في الاعتراف بوجود الخطبة
 الشفعية في مؤلفات كتبت قبل أن يوجد السيد الرضى وأبوه فراجعوه
 فانه نافع جداً .

(١) الطبرى (ج ٥ - ص ١٠٣ و ص ١٥٥) .

قال ألا احداثك بما رأت عيناى وسمعت اذناى لما التقي الناس عند بيت
المال قال على «ع» لطلحة أبسط يدك ابايعك فقال طلحة أنت أحق
بهذا الامر منى وقد اجتمع لك من هؤلاء الناس (١) لم يجتمع لى فقال
له «ع» ما خشينا غيرك فقال طلحة لا تخشى فوالله لاتوتى من قبلى وقام
عمار بن ياسر والهيثم بن التيهان ورفاعة بن أبى رافع ومالك بن مجلان
وأبو أيوب خالد بن زيد فقالوا لعلى «ع» ان هذا الامر قد فسد وقد
رأيت ماصنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة فابسط يدك
لنبايعك لتصلح من أمر الامة ماقد فسد فاستقال على «ع» وقال قد
رأيتم ماصنع بنى وعرفتم رأى القوم فلا حاجة لى فيهم فاقبلوا على الانصار
وقالوا يامعاشر الانصار أتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله
أكرمكم الله وقد علمتم فضل على وسابقته فى الاسلام وقرابته ومكاتبته
من النبى «ص» وان ولى بنى لكم خيراً فقال القوم نحن أَرْضَى الناس
به ما نزيد به بدلا ثم اجتمعوا عليه وما يزالوا به حتى بايعوه .

وباسناده عن ابن أبى الهيثم بن التيهان ؛ قال يامعشر الانصار قد
عرفتم رأى ونصحى ومكاتبى من رسول الله «ص» واختياره إياى
فردوا هذا الامر الى أقدامكم اسلاماً واولاكم برسول الله «ص» لعل
الله أن يجمع به لفتكم ويحقن به دماءكم فأجابهم القوم بالسمع والطاعة
وروى سيف عن رجاله قال اجتمع الناس الى على وسألوه ان
ينظر فى امورهم وبذلوا له البيعة فقال لهم التمسوا غيرى فقالوا له نشدك
الله أما ترى الفتنة ألا تخاف الله فى ضياع هذه الامة فلما ألحوا عليه
قال لهم انى لو أجبتكم حملتكم على ما أعله وان تركتمونى كنت
لاحكم قالوا قد رضينا بحكمك وما فينا مخالف لك فاحملنا على ماتراه
ثم بايعته الجماعة .

(١) الطبرى (ج ٥ - ص ١٥٦) .

بيعة طلحة والزبير :

وروى أبو اسحاق بن ابراهيم بن محمد الثقفى عن عثمان بن أبي شيبة عن ادريس عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم قال جاء طلحة والزبير إلى عليّ «ع» ، وهو متعوذ بحيطان المدينة فدخلا عليه وقالا ابسط يدك نبايعك فإن الناس لا يرضون إلا بك ، فقال لهما لا حاجة لى فى ذلك ولئن أكون السكا وزيراً خير لكما من أن أكون أميراً فليبسط قرشياً منكماً يده ابايعه ، فقالا ان الناس لا يؤثرون غيرك ولا يعدلون عنك إلى سواك فابسط يدك نبايعك أول الناس ، فقال ان يبعى لا تكون سرأ فامهلا حتى اخرج إلى المسجد فقالا بل نبايعك هنا ثم نبايعك فى المسجد فبايعاه أول الناس ثم بايعه الناس على المنبر أولهم طلحة بن عبيد الله وكانت يده سلاء فصعد المنبر اليه فصفق على يده ، ورجل من بنى أسد يزجر الطير قائم ينظر اليه فلما رأى أول يده صفقت على يد أمير المؤمنين يد طلحة وهى سلاء قال إنا لله وإنا اليه راجعون أول يد صفقت على يدي سلاء بوشك أن لا يتم هذا الأمر (١) ثم نزل طلحة والزبير وبايعه الناس بعدهما ، وهذه الأخبار مع كثرتها وانتشارها فى كتب السير وكافة كتب العلماء وظهورها واستفاضتها تتضمن تقيض ما ادعاه المخالف من إكراه أمير المؤمنين «ع» ، على البيعة ويبطل ما تعلق به من ذلك من شك فى الخبر الذى أورده الواقدى عن العثمانية المتظاهرة بعداوة أمير المؤمنين «ع» .

على أن الواقدى قد أثبت فى كتابه الذى صنفه فى حرب البصرة ما يوافق الأخبار التى قدمنا ذكرها ويضاد ما خالفها فى معناه ، فقال حدثني عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد قال لما قتل عثمان أقبل الناس

(١) العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٦٩) والطبرى (ج ٥ ص ١٥٣)

على علي إبيابوه قتأبي عليهم وقالوا بايعنا لا نخلف أمرك فأبي عليهم
فبوا يده وبسطوها وقبضوها فقالوا بايعنا لا نجد غيرك ولا نرضى إلا
بك ؛ وروى اسماعيل بن محمد عن محمد بن سعد عن أبيه قال أرسل علي
ابن أبي طالب دع ، إلى أبي إبيابح فقال له إذا لم يبق غيري بايعتك فقال
علي دع ، خلوا سعداً وأرسل إلى اسامة بن زيد فقال له اسامة أنا لك
طوع ولكن اعفني الخروج بالسيف فقال له علي لم أكره أحداً على بيعته
وان جميع من بايعه كان مؤثراً له داعياً إليه في ذلك على ما قدمناه والحمد لله .
قال الشيخ المفيد أدام الله تأييده : وقد دللنا على إمامة أمير المؤمنين
عليه السلام من جهة النص عليه بها من رسول الله (ص) وباختصاره له
من ذوى العقول والعلم والفضل والرأى على ما يذهب إليه المخالفون
في ثبوت الإمامة وانعقادها وأنبأنا عن عصمته دع ، بما سلف وشرحنا
القول في طريقها وأوضحناه وذكرنا الأخبار الواردة من طريق الخاصة
والعامة في وجوب حقه وبرهان صوابه وتحريم خلافه وفي ذلك إبطال
ما ذهب إليه كافة خصومنا على اختلافهم في تصويب محاربه والوقوف
في ذلك والشك فيه وفي ما أصلناه من ذلك ورسمناه في معناه غنى عن
تكليف كلام في فساد مذهب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على
ما شرحناه عنها في صدر هذا الكتاب من شبهات المذهب الرذل وإبطال
مذهب الأصم وأتباعه ونقض شبهات الحشوية في تصويب الجماعة
وإفساد ما ذهب إليه كل فريق منهم في تخطئتهم بأسرهم وإقامة البرهان
على صحة ما ذهب إليه الشيعة ومن شاركهم من قبائل المعتزلة والمرجئة
والخوارج على أمير المؤمنين وضلال أهل البصرة وتخطئة محاربه
في هذين المقامين وضلالهم في ذلك عن طريق الرشاد وفيما أثبتناه عن
عصمته (ع) وحقه أيضاً دليل مقنع في إبطال مذهب الخوارج
المبدعة في إنكار التحكيم وترك القتال عند المواقعة حسب ما قدمناه

ونحن نشفع ذلك بأسباب فتنة البصرة على ما بطن منها عن كثير من الناس وظهر منها للجمهور ونورد بعد هذا الباب الذي ذكرناه الأخبار الواردة بصورة الأمر في القتال وكيفية ما جرى فيه على ترتيب ذلك في مواضعه المقتضية لذكره فيها ونأتي به على الترتيب والنظام إن شاء الله تعالى .

الناكثان :

فصل : فأما ظاهر الفتنة بالبصرة فهو ما أحدثه طلحة والزبير من نكث البيعة التي بذلها لأمر المؤمنين (ع) طوعاً واختياراً وإشارة وخروجها عن المدينة إلى مكة على اظهار منها ابتغاء العمرة فلما وصلها اجتمعوا مع عائشة وعمال عثمان الهاريين بأموال المسلمين الى مكة طمعاً فيما احتججوه منها وخوفاً من أمير المؤمنين (ع) واتفاق رأيهم على الطلب بدم عثمان والتعلق عليه في ذلك بانحياز قتلة عثمان وحاصريه وخاذليه من المهاجرين والأنصار وأهل مصر والعراق وكونهم جنداً له وأنصاراً واختصاصهم به في حربهم منه ومظاهرتهم بالجميل وقوله فيهم الحسن من الكلام ؛ وترك إنكار ما صنعوه بعثمان والأعراض عنهم في ذلك ، والمصيب معهم في جنده إلى ما ذكرناه وشبهوا بذلك على الضعفاء واغتروا به السفهاء وأوهومهم بذلك لظلم عثمان والبراءة من شيء يستحق به ما صنع به القوم من إحصاره وخلعه والمنازعة إلى دمه فأجابهم إلى مرادهم من الفتنة بمن استغفروه بما وصفناه وقصدوا البصرة لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان وأصحاب عامله وابن عمه كان بها وهو عبد الله بن كريز بن عامر وكان ذلك منهم ظاهراً وباطناً بخلافه كما تدل عليه الأخبار ويوضح عن صحة الحكم به الاعتبار ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة باجماع العلماء بالسيف والآبار هم الذين

كانوا أو كد السبب لخلع عثمان وحصره وقتله وان أمير المؤمنين «ع» لم يزل يذمهم عن ذلك (١) ويلطف في منعم عنه ويبذل الجهد في إصلاح حاله مع المنكرين عليه ، العائين له ؛ المحتجين عليه بأفعاله وأحداثه فن أنكر ما ذكرناه أو شك في شيء مما وصفناه فهو بعيد عن علم الأخبار ناء عن معرفة السير والفتن والآثار ومكابر يحمل نفسه على جحد لا على اضطراب وهذا باب لا يحسن مكالمة الخصوم فيه إلا مع الإنصاف والإطلاع على ماجات به الأخبار ومخالطة العلماء من أهل الأخبار في الإسلام وأما من لا معرفة له بالروايات أو منقطع عنها إلى صناعة الكلام أو عامى له غفلة أو مترف مشغول باللذات فلا وجه لمجاراته في هذا الباب وأمثاله فيما طرقة السمع والأخبار وسيله ملاقة الخاصة والعلماء والإستفادة مما عندهم من علمه على ما ذكرناه .

أسباب الخروج على عثمان :

فصل ونحن ثبت بتوفيق الله مختصراً من الأخبار فيما ذكرناه من كون طلحة والزبير وعائشة فيما صنعوه في أيام عثمان من أوكد أسباب ماتم عليه من الخلع والحصر وسفك الدم والفساد فن ذلك مارواه أبو حذيفة اصحاق بن بشر القرشي وأثبتته في كتابه الذي صنغه في مقتل عثمان وكان هذا الرجل أعنى أبا حذيفة من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين الى السنة والمباينين للشيعة يهتم فيما يروونه لمفارقة خصومه ولا يظن تخمراً فيما يجتنيه من جميع الأخبار ، فقال حدثني محمد بن اصحاق عن الزهري لما قدم أهل مصر في سبائة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري فزلوا ذا خشب وفيهم كنانة بن بشير

(١) في شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ١ - ص ٢٥٦) كان

عبيد الله بن عمر بن الخطاب يمدح علياً بأن لم يشترك في قتل عثمان .

الكناني وأبو عمر بن بديل بن ورقاء الخزاعي وأبو عروة الليثي واجتمع معهم حكيم بن جبلة العبدى في طائفة من أهل البصرة وكسيل بن زياد ومالك الأشتر وصمصمة بن صوحان وحبر بن عدى في جماعة من قراء الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان منها إلى الشام حين شكوا أحداثه التي أنكرها عليه المهاجرون والأنصار (١٠) ، فاجتمع القوم على عيب عثمان وجهروا بذكر أحداثه فربهم عمر بن عبد الله الأصم وزياد بن النظر فقالا إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبي (ص) فإن أمرنكم أن تقدموا فاقدموا فقالوا لها لافعلوا واقصدوا علياً آخر الناس فانطلق الرجلان فبدأ بعائشة وأزواج النبي بعدها ثم أنبأ أصحابه (ص) ، فأخبرهم الخبر فأمرهم أن يقدموا المدينة وصاروا إلى أمير المؤمنين فأخبره واستأذناه للقوم في دخول المدينة فقال لها أتيتنا أحداً قبلي؟ قال نعم أتينا عائشة وأزواج النبي (ص) ، بعدها وأصحابه من المهاجرين والأنصار فأمرهم أن يقدموا فقال علي الكنى لا أمرهم إلا أن يستغيثوا بمن قرب فإن أغاثهم فهو خير لهم وإن أبي فهم أعلم ، فخرج الرجلان إليهم جميعاً وتسرع إليهم جماعة من المدينة واجتمعوا مع أهل حسب وذو مروءات فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى علي (ع) ، وقال :

أخرج يا أبا الحسن إلى هؤلاء القوم وردم عما جاؤا إليه .

فخرج إليهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له قد عدلت يا أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثة وما يلقاه المسلمون منه ومن عماله وكنا اتقيناها واستعقبناهم فلم يعتبنا وكنناهم فلم يصغ إلى كلامنا وأغراء ذلك بنا وقد جئنا نطالبه بالإعتزال عن إمرة المسلمين واستأذنا في ذلك الأنصار والمهاجرين وأزواج النبي أمهات المؤمنين فأذتوا لنا

١٠ ، ذكر الطبري (ج ٥ ص ٨٥) وابن الأثير (ج ٣ ص ٥٣)

تفسير الجماعة إلى الشام وفي رسائل الخوارزمي ص ٧٧ إشارة إليه ،

في ورود المدينة ونحن على ذلك ، فقال لهم أمير المؤمنين يا هؤلاء تريثوا لا تسرعوا الى شيء لا تعرف عاقبته فانا كنا قد عتبنا على هذا في شيء وانه قد رجع عنه فارجعوا ؛ فقالوا هيبات يا أبا الحسن لا تقنع منه إلا بالإعتزال عن هذا الأمر ليقدم به من يوثق بأمانته ، فرجع أمير المؤمنين إلى عثمان وأخبره بمقاتلتهم فخرج عثمان حتى أتى المنبر فخطب الناس وجعل يتكلم ويدعو الى نصرته ودفاع القوم عنه فقام اليه عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد زكبت بالتهمة وقد ركسوها منك فقب إلى الله ، فقال له عثمان وإنك لها هنا يا بن النابغة (١) ، ثم رفع يده إلى السماء وقال أتوب الى الله اللهم إني أتوب اليك ؛ فأنفذ أمير المؤمنين (ع) ، إلى القوم بما جرى من عثمان وما صار اليه من التوبة والإفلاح فساروا إلى المدينة بأجمعهم وسار اليهم عمرو بن معدى كرب في ناس كثيرين فجعل يحرض على عثمان ويذكر إثرته فقال :

أما هلكنا ولا يبكي لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير
والحر في الصيف قد تدمي جوارحه نعطي السوية بما أخلص الكبير
نعطي السوية يوم الضرب قد عدلوا ولا سوية إذ كانت دنسانير
وانظم اليهم من المهاجرين طلحة والزبير وجهور الأنصار على ذلك
فخرج اليهم أمير المؤمنين (ع) ، فقال لهم يا هؤلاء اتقوا الله ما لكم
وللرجل أما رجع عما أنكرتموه أما تاب على المنبر توبة جهر بها ، ولم
يزل عليه السلام يلفظ بهم حتى سكنت فورتهم .

ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل عبد الله بن سعيد بن أبي سرح
عنهم واقترح أهل الكوفة عزل سعيد بن العاص عنهم وسأل أهل
النهروان أن يصرف ابن كرز عنهم ويعدل عما كان عليه من منكر

(١) ، في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١) وشرح النهج الحديدي

(ج ١ - ص ١٦٣) ذكر انكار عمرو ، على عثمان وما قاله فيه .

الأفعال فدخّل عليه أمير المؤمنين «ع»، ولم يزل حتى أعطاه ما أراد القوم من ذلك وبذل لهم العهد والأيّمان .

فخرج أمير المؤمنين إلى القوم بما ضمنه له عثمان ولم يزل بهم حتى تفرّقوا فلما سار أهل مصر ببعض الطريق نظروا وإذا برأكب على الطريق مسرع فلما دنا تأملوه فاذا هو غلام عثمان على ناقته من نوقه فاسترابوا به فقالوا له أين تذهب ؟ فقال بعثني عثمان في حاجة له قالوا إلى أين بعثك ؟ فارتج عليه وتلعثم في كلامه فنهروه وزبروه فقال أنفذني إلى مصر فقالوا فيما أنفذك ؟ قال لا أعلم لي فزاد استرابهم فيه ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً فأخذوا أدواته ففتشوها وإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وهو إذا أتاك كتابي هذا فاضرب عنق عمرو بن بديل وعبد الرحمن البكري واقطع أيدي وأرجل علقمة وكنانه وعروة ثم دعهم يتشحطون في دماهم فاذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخل .

فلما رأوا ذلك قبضوا على الغلام وعادوا إلى المدينة فاستأذنوا عليّ ابن أبي طالب «ع»، ودفعوا إليه الكتاب ففزع عليه السلام لذلك فدخّل على عثمان فقال إنك وسطتني أمراً بذات الجهد فيه لك وفي نصيحتك واستوهبت لك من القوم فقال عثمان فماذا ؟ فأخرج إليه الكتاب ففضه وقرأه فأنكره فقال له عليّ أتعرف الخط ؟ قال الخط يتشابه ، قال أتعرف الختم ؟ قال الختم ينقش عليه ، قال فهذا البعير الذي على باب دارك تعرفه ؟ قال هو بعيري ولم أمر أحداً ولا يركبونه قال فغلامك من أنفذه ؟ قال انفذ بغير أمرى .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أما أنا فمترلك وشأنك وأصحابك وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه باباً ولم يأذن لأحد من

القوم في الوصول اليه . ١٥٠ ،

وخرج اليهم طلحة والزبير وقال لهم قد اعتزل علي بن أبي طالب
واتدبنا معكم على هذا الرجل فاجتمع القوم على حصره فلما علم أن
القوم قد حصروه وحقق العزيمة على خلعه كتب الى معاوية يستدعيه
بجنود الشام ، وكتب الى عبد الله بن عامر يستدعيه بجنود البصرة
وفارس لينتصر بهم ويدفعهم عن نفسه وعرف أهل مصر وأهل العراق
والحجاز انه قد استغفر عليهم أهل الشام وشيعته من أهل البصرة وفارس
وخوزستان لجذوا في حصاره وتولى ذلك منه طلحة والزبير ومنعاه
الماء وضيقا عليه وكان طلحة على حرس الدار يمنع كل أحد يدخل
اليه شيئاً من الطعام والشراب ويمنع من في الدار أن يخرج عنها إلى
غيرها ٢٠٢ .

فصل : فهل يخفى على عاقل براءة أمير المؤمنين (ع) ، مما قرفوه به
ناكثوا عهده من التأيب على عثمان والسعي في دمه مع ما روينا من
الحديث عن سميانه ، أم هل يرتاب عاقل فيما فعله طلحة والزبير فيما
توليا من حصر عثمان حتى آل ذلك إلى قتله وهما من بعده يقران علياً
بما توليا ويدعيان لأنفسهما البراءة بما صنعاه ويجعلان شبهتهما في استحلال
قتاله عليه السلام دعوى الباطل المعروف بهتاناً ممن ادعاه وهذا يكشف
ان الامر فيما ادعياه وأظراه من الطلب بدم عثمان كان بخلافه على
ما بيناه مما جاءت به الاخبار فيما تولاه طلحة والزبير في عثمان ما رواه
أبو اسحاق جبلة بن زفر قال رأيت طلحة والزبير يرفلان في أدرعهما

١٥٠ ، الطبري (ج ٥ - ص ١٠٧ إلى ص ١١٢) .

٢٠٢ ، في تاريخ الطبري (ج ٥ - ١٢٢) وشرح النهج لإبن

أبي الحديد (ج ١ - ص ١٦٧) والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٦٧)
ان طلحة ممن أعان على عثمان وأب الناس عليه .

في عثمان ثم جاء من بعد إلى علي «ع» ، فبايعاه طابعين غير مكرهين
ثم صنعا ما صنعا ، وروى أبو حذيفة القرشي عن الحصين بن عبد الرحمان
عن عمرو بن جاران عن الأحنف بن قيس قال قدمت المدينة وساق
حديثاً طويلاً من أمر عثمان إلى أن قال لما لقيت الفتنة والناس قد
اجتمعوا على حصر عثمان وهو على خطر فأتيت طلحة والزبير فقلت لهما
ما أرى هذا الرجل إلا مقتولاً فن تأمراني أن أبايع وتروضونه لي فقالا
علياً نخرجت حتى أتيت مكة وبها عائشة فدخلت عليها فقلت إني لأحسب
هذا الرجل مقتولاً فن تأمريني أن أبايع فقالت بايع علياً فقضيت حتى
ثم مررت بالمدينة وقد قتل عثمان فبايعت علياً ثم عدت إلى البصرة فإذا
عائشة وطلحة والزبير قد جئونا يطلبون بدم عثمان ويأمروننا بقتال علي
ابن أبي طالب فطال تعجبي من ذلك « ١ » .

وروى أبو حذيفة عن رجاله انه لما اجتمع الناس على عثمان أنفذوا
إليه اخلع نفسك فقال لا أخلع سربالاً سربلنيه الله « ٢ » ، وكتب إلى
معاوية يستدعيه بمجنود الشام وإلى عبد الله بن عامر بن كريز يستدعيه
بمجنود البصرة وخرج عثمان حتى صعد المنبر فلما بدأ بالخطبة قام إليه رجل
من الأنصار وقال له أقم كتاب الله يا عثمان فقال هو لك ثم أعادها
ثانية فقال هو لك فأعادها ثالثة ففزع وأجلس فقام ناس من الأنصار
فخلصوه وحصب عثمان بالحصى حتى سقط مغشياً عليه فحمله بنو أمية حتى أدخلوه
الدار وجاءه علي «ع» ، يسأله عن خبره فثارت بنو أمية إليه بصوت واحد
يا علي كدرت علينا العيش وعملت بنا العمل والله ائن بلغت الذي تريد
انخبثن عليك الدنيا فخرج علي مغضباً فقال القوم للعباس بن الزرقان
« ١ » ، رواه ابن حجر الهيثمي في تطهير الجنان بهامش الصواعق المحرقة

ص ١١٣ ط سنة ١٣١٢ هـ والعقد الفريد (ج ٢ - ص ٢٨٢) .

« ٢ » ، تاريخ الطبري (ج ٥ - ١١٨) .

وكانت اخته تحت الحارث بن الحكم أخى مروان بن الحكم اتبع الرجل
وقل له مالك ولإبن عمك فاتبعه وقال له ذلك فقال عليه السلام وهو
مغضب فعل الله وفعل ينجى ما ينجى وأسأل عن أمره واتهم مع ذلك أما
والله لو لا مكانى لأحتر الذى فيه عيني عثمان .

إنكار طلحة على عثمان :

ولما أبى عثمان أن يخلع نفسه تولى طلحة والزيير حصاره والناس
معهما على ذلك فحصره حصاراً شديداً ومنعوه الماء وأتخذ إلى علي يقول
ان طلحة والزيير قد قتلتانى من العطش، والموت بالسلاح أحسن فخرج
معتداً على يد المسور بن مخزومة الزهرى حتى دخل على طلحة بن عبيد الله
وهو جالس فى داره يسوى نبلا وعليه قميص هندى فلما رآه رحب،
به ووسع له على الوسادة فقال له علي عليه السلام ان عثمان قد أرسل إلى
إنكم قد هلكتموه عطشاً وان ذلك ليس بالحسن والقتل بالسلاح أحسن
وكنيت آليت على نفسى أن لا أردعنه أحداً بعد أهل مصر وأنا
أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه ، فقال طلحة لا والله
لا ننعمة عيناً ولا تتركه يأكل ولا يشرب ، فقال علي دع ، ما كنت
أظن أن أكلهم أحداً من قريش فيردنى دع ما كنت فيه ياطلحة فقال
طلحة ما كنت أنت يا علي في ذلك من شيء فقام علي دع ، مغضباً وقال
ستعلم يا بن الحضرمية أكون فى ذلك من شيء أم لا ثم انصرف .

وروى أبو حذيفة بن اححاق بن بشير القرشى أيضاً قال حدثنى
يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال والله إنى لأنظر إلى
طلحة وعثمان محصور وهو على فرس أدهم ويده الرمح يحول حول
الدار وكأنى انظر إلى بياض ما وراء الدرع (١٠) .

(١٠) فى شرح النهج لإبن أبى الحديد (ج ٢ - ص ٤٠٤) كان
طلحة يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب يرى الدار بالسهم وأنه حمل الذين -

وروى أبو اسحاق قال لما اشتد الحصار بعثان عمداً بنو أمية على إخراجهم ليلاً إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرساً وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان ، قال واطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظماً من العطش فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء واطعمونا بما رزقكم الله فناداه الزبير بن العوام : يا نعمتل لا والله لا تذوقه .

وروى أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني قال أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياهم من قبل انهم كانوا في شك مريب فهذه الأحاديث في جملة كثيرة في هذا المعنى وهي كاشفة عما ذكرناه من أدغال القوم من التظاهر بطلب دم عثمان وهم تولوا سفكه ولم يظهر أحد منهم إلا الذم عليه ، ولما بايع الناس علياً أظهروا الندم على ما فرط منهم وقرفوا بما صنعوا وأثاروا الفتنة التي رجع عليهم ما كانوا آملوه فيها منه وهو الظاهر منهم والباطن كان مخالفاً للظاهر فيما ادعوه بعثمان .

لأنكار عائشة على عثمان :

فأما تأليب عائشة على عثمان فهو أظهر مما وردت به الأخبار من تأليب طلحة والزبير عليه ، فمن ذلك ما رواه محمد بن اسحاق صاحب السيرة عن مشايخه عن حكيم بن عبد الله قال دخلت يوماً بالمدينة إلى المسجد فإذا كف مرتفعة وصاحب الكف يقول : أيها الناس العهد قريب هذان نعلان رسول الله (١) ، وقيسه وكأني أرى ذلك القميص — حاصروه إلى دار بعض الأنصار فتسوروا منها على عثمان فقتلوه والزبير يقول اقتلوه فقد بدل دينكم وأنه لجيفة على الصراط .

(١) في الأغانى (ج ٤ - ص ١٧٨) ان جماعة من أهل الكوفة -

يلوح تقول وان فيكم فرعون هذه الامة فاذا هي عائشة وعثمان يقول لها
اسكتي ثم يقول للناس انها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصفوا إلى
قولها ، وروى الحسن بن سعد قال رفعت عائشة ورقة من المصحف بين
عودتين من وراء حجلها وعثمان قائم ثم قالت يا عثمان أقم ما في هذا
الكتاب فقال لتتتهين عما أنت عليه أولاد دخان عليك جمر النار فقالت
له عائشة أما والله لئن فعلت ذلك بنساء النبي يلعنك الله ورسوله وهذا
فيص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعلتي (١٠٤) .

وروى الليث بن أبي سليمان عن ثابت الأنصاري عن ابن أبي عامر
مولى الأنصار قال كنت في المسجد فر عثمان فنادته عائشة يا غدر يا فجر
أخفرت أمانتك وضيعت رعيتك ولولا الصلاة الخمس لمشي إليك الرجال
حتى يذبحوك ذبح الشاة فقال عثمان : (ضرب الله مثلا للذين كفروا
إمرأة نوح وإمرأة لوط كاتتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخاتتاها
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

وروى محمد بن اسحاق والمدائني وحذيفة قال لما عرفت عائشة ان
الرجل مقتول تجهزت إلى مكة جاءها مروان بن الحكم وسعيد بن
العاص فقالا لها انا انظن ان الرجل مقتول وأنت قادرة على الدفع عنه
فان تقمى يدفع الله بك عنه قالت ما أنا بقاعدة وقد قدمت ركابي
وغريت غراي وأوجبت الحج على نفسي فخرج من عندها مروان
- شهدوا على الوليد بن عتبة وأخافهم عثمان فاستجاروا بعائشة فأخرجت
نعل رسول الله إلى المسجد تقول :

ترك عثمان سنة صاحب هذا النعل .

(١٠٤) في كامل ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٠) والنهاية (ج ٤ - ص ١٦٦)

بمادة نعل وتاج العروس ان عائشة سمت عثمان نعلا وهو أما رجل
يهودي أو الشيخ الاحق أو رجل طويل اللحية بمصر .

يقول : (زخرف قيس على البلاد حتى إذا اضطربت) فسمعت عائشة فقالت : أيها المتمثل لهم قد سمعت ما تقول أتراني في شك من صاحبك والله لوددت أنه في غرارة من غرايري حتى إذا مررت بالبحر قدفته فيه فقال مروان قد والله تبنيت قد والله تبنيت قال فسارت عائشة فاستقبلها ابن عباس بمنزل يقال له الصلعاء وابن عباس يريد المدينة فقالت يا ابن عباس إنك قد أوتيت عقلاً وبياناً وإياك أن ترد الناس عن قتل الطاغية ، وهذه أيضاً جملة من كثير ورد بها أخبار في تأليب عائشة على عثمان والسعي في دمه اقتصرنا عليها كراهة الإملال بالتطويل وفيها أوضح دليل على أن تظاهرها من بعد بطلب دمه ومباينة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع الجموع لحربه والاجتهاد في نقض عهده وأمرها بسفك دمه لم يكن الباطن فيه كالأظهر بل كان تغير ذلك فيما اشتهر عند المعتبرين لأعمال القوم قديماً وحديثاً وأغراضهم في الأفعال وما فيه من بصرح القول عنهم في عداوتها له دع ، فليتأمل أولوا الأبصار بما رويناہ وليعين النظر فيما ذكرناه ويمجد الأمر فيه على ما وصفناه والله المستعان .

ندم طلحة والزبير من البيعة :

فصل : قد قدمناه من القول فيما كان قد عمد عليه طلحة والزبير في خلاف أمير المؤمنين دع ، والمباينة له والتحيز عنه وهو لما كرها ولايته وأنكرا إمرته ولم يؤثر من الناس بيعته لما كانا عليه من الطمع في الولاية للأمر دونه والتأمر على الناس بذلك وفاتهما منه ما أملاه وندما على افراطهما فيما صنعاه مع التسخير لهما من الله تعالى في بذل بيعتهما له دع ، طوعاً واختياراً سنع لهما الاعتلال في تسويغ خلافهما له بدعوى إكراههما على البيعة فتعلقا بذلك وجعلاه حجة لهما في خلافه

فظن به تمام الشبهة التي قصدناها بعدم الأمر على الجهل فلما وضع لها
 تفاوت ما اعتمدها من ذلك بظهور اختيارها ابيعتها وإثارها لتقدمه عليهما.
 والرضا بامامته واشتهر ذلك عند الكافة من الخاصة والعامة وعلمنا أنه
 لا حجة لهما في دفع الظاهر بدعوى الباطن وأنه لو تم لهما التلبيس بدعوى
 الكراهة الباطنية لم يتم لهما حجة لأنه لا يسع أحد كراهة بيعة الحق ولا
 يسوغ لأحد خلاف المهاجرين والأنصار في الرضا بما يجتمعون عليه
 من الرضا بامامة المرتضى عليه السلام في ظاهر الحال فكيف بمن يرضى
 برضاء الله له في الباطن والظاهر على كل حال ولأنهما لم يجدا شبهة
 يتعلقان بها في كراهة إمامة أمير المؤمنين (ع) ، مع جمعه للفضل وتقدم
 الإيمان والذب عن الإسلام والجهاد في الدين والبلاء الحسن مع الرسول
 والعلم الظاهر الذي لا يختلف فيه اثنان من العلماء مع الزهد في الدنيا
 والورع عن محارم الله وحسن التدبير وصواب الرأي والرحم المناسبة
 منه برسول الله (ص) وما كان منه فيه من الامور الدالة على استحقاقه
 التقدم على كافة الانام من الامة فلم يولّ عليه والياً قط ولا أفضده في
 سرية إلا وهو أميرها وسيدها ورئيسها وقائدها وعظيمها وأنه لم
 يفسد أحد على عهد النبي أمراً إلا نذبه اليه فقوى تلافياً فارطه به (ع)
 وكان الامر إذا أعضل في شيء ناطه به وأبجزه وكفى به وأغناه
 ورفع اليه من بعده صلى الله عليه وآله من تقدمه في مقامه عند معضل
 الامور فاستعملوا منه ما كان خافياً عليهم من أحكام الملة وصواب
 التدبير في مصالح الامة فعلم طلحة والزبير ان التعلق في خلافه بكراهة البيعة
 شبهة داحضة لا يثبت لهما به حجة عند أحد من الفضلاء والعقلاء وأنه
 لو ثبت ما ادعياه من إكراههما على البيعة لكان أسوأ لالحاهما عند الامة
 وكان له (ع) في حكم الشريعة ذلك إذ الأمام القهر على طاعته
 والإكراه على الإجابة إلى ما يلزم للامة كف الفتنة وشمول المصلحة

فلما علم الرجلان ذلك ووضع لهما ما ذكرناه في معانيه ولم يكونا بمن يحيل عليهما فساد الدعوى لما ادعياه وقصورهما عن غرضها فيه عدلا إلى التظاهر بطلب دم عثمان وزعما ان الذي كان منهما قد بانا منه وادعيا ان التوبة لا تصلح أن تتم لهما إلا ببذل الجهد في طلب قاتليه والإقتصاص من ظالميه فاشتبه الامر بما سارا اليه مما ذكرناه عنهما على المستضعفين واستغويا به كثيراً من العامة البعداء عن فقه الدين وسلكت عائشة في خلافها لأمر المؤمنين «ع» مسلكتها في ذلك فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والإقتصاص من قاتله ومعلوم في شريعة المسلمين ان ذلك ليس لهما ولا اليهما وانهما فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين لانهما لم يكونا أولياء لدم عثمان ولا بينه وبينهما نسب يسوغها للتخاصم في دمه.

المرأة والحجاب :

ولا إلى النساء أيضاً الدخول في شيء من ذلك على وجه من الوجوه إذ ليس عليهن جهاد ولا لهن أمر ولا نهى في البلاد والعباد مع ما خص به الله أزواج النبي في الحكم المضاد ولما صنعتها هذه المرأة وتبينت فيه بالخلاف فيه للدين وقص الله تعالى في حكم التنزيل حيث يقول جل اسمه : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن) وفرض عليهن سبجانهن التحصن والتجليب ولا يتعرفن إلى أحد لئلا يفضد ذلك من التبرج وهتك الحجاب واطراح الجلباب وإظهار الصورة وإبداء الشخص والتهمت بين العامة فيما لا عند لها فيه مع ما ارتكبه من قتال ولي آفة الذي فرض عليها لإعظامه وإجلاله وأوجب عليها طاعته وحرم عليها معصيته وسفكت فيما صنعت دماء المؤمنين وأثارت الفتنة التي شانت بها المسلمين وأنى يواطىء ذلك ما أمرها الرسول به في الحديث المشهور

دخل ابن أم كلثوم وهو أعمى على النبي (ص) فقال لها قبل دخوله ادخلي الحجاب يا عائشة فاسترى به من هذا الرجل فقالت يا رسول الله انه أعمى ولن يراني فقال (ص) إن لم يراك فانك تريه (١٤٠) .

وقال سبحانه فيما أدب به أصحاب نبيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتوهن متاعاً فاسألهن من وراء حجاب ذلك أظهر ألقوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً) (٢٤٠) .

فبين الله غز إسمه أن خطاب المؤمنين من أصحابه لأزواج نبيه يؤذيه وإن الإنبساط لهن يشق عليه ويؤله وصانهن لصيافته واحتراسه فنهى أن يأنس بهن أحد أو يسألن متاعاً إلا من وراء حجاب ونهى عن اللبث في بيته بعد نيل الحاجة من طعامه وغير ذلك لئلا يطول مقامهم فيه فتأنس أزواجه بهم أو يأنسون بكلامهن فكيف هذا يوافق لما فعلته المرأة من مخالطتها للقوم ومسافرتها معهم وإطالة التجوى لهم وكونها بمحمل من لا يحتشم في خطاب ولا كلام ولا أمر

١٤٠ مثل هذا الحديث ما رواه الخازن في تفسيره (ج ٥ ص ٥٧) والبغوي في تفسيره بهامشه كلاهما عن الترمذي وأبي داود عن أم سلمة قالت : كنت وميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم كلثوم فدخلى على رسول الله (ص) وذلك بعد ما نزل الأمر بالحجاب فقال رسول الله احتجاجاً منه فقلنا انه أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال (ص) أفعميأوتان أنتما ألستما تبصرانه .

٢٤٠ سورة الأحزاب : ٥٣ .

ونهى ويؤنس بها في كل حال وتصير بذلك كما مير العسكر وقائد الجيش الذي لا يتمكن من الإستخفاء عن أصحابه بحال وان هذا لعجيب عند من فكر فيه ، والحكم بالعصيان لله عز وجل والإطراح والإستخفاف بنواهيه غير مشكل على كل ذى عقل ومن اشتبه عليه ضلالها فهو يعد من الأموات هذا مع قول الله عز وجل : (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وعند كل ذى لب عرف الشرع ودان بالإسلام ان أزواج عثمان وبناته وبنات عمه من بنى امية الذين هم أمس رحماً من عائشة لو كلفن ما تكلفن للقتال وان كن عاصيات خارجات عن شريف الإسلام فما ظنك بالبعيدة نسباً النائبة عنه عقلاً ومنهياً المقررة على قتله الساعية فى دمه الداعية إلى خلعه المانعة عن نصرته وما الذى أحدثه بعد إنكارها عليه مما يوجب رجوعها عما كانت عليه معتقدة فهل تراه أحدث عملاً صالحاً بعد قتله أو أحياء الله لها فسألها نصرته أم أوحى الله اليها من باطن أمره ما كان مستوراً عنها ، كلا . لكن الأمر فيما قصدته من حرب أمير المؤمنين دح ، وتظاهرت عليه به من عداوته كان أظهر من أن تخفيه بالعلل والأباطيل وقد أجمع أهل النقل عنها على ما ذكرناه فى باطن الأمر وأوضحناه فى وجوه الحجاج وبيناه .

عائشة تبغض علياً :

فصل : فمن ذلك ما رواه كافة العلماء عنها انها كانت تقول : لم يزل بينى وبين علي من التباعد ما يكون بين بنت الاحماء ، وقالت فى خبرها عن قصة الذين رموها بصفوان بن المعطل وما كان منها فى غزوة بنى المصطلق وهجر رسول الله لها واعراضه عنها واستشارته فى اسامة بن

زيد قالت وكان عبداً صالحاً مؤمناً وذكر له قذف القوم بصفوان فقال له اسامة لا تظن يا رسول الله إلا خيراً فان المرأة مأمونة وصفوان عبد صالح ثم استشار علياً عليه السلام فقال له يا رسول الله النساء عليك كثيرة سل عن الخبر بريرة خادمتها وابحث عن سر خبرها منها فقال له رسول الله فتول أنت يا علي تقريرها فقطع لها علي دح، خشباً من النخل وخلصها يسألها ويتهددها ويرهبها لا جرم أني لا احب علياً أبداً ١٠٠ .

فهذا تصريح منها بيفضها له ومقتها إياه ولم يكن منه ذلك عليه السلام إلا النصيحة لله ولرسوله واجتهاده في الرأي ونصحه وامتناله لأمر النبي (ص) ومسارعة طاعته .

ومن ذلك ما رواه كافة العلماء من حديث عكرمة وابن عباس وان عكرمة اخبره عن حديث حدثته عائشة في مرض رسول الله (ص) الذي توفي فيه حتى انتهت من ذلك إلى قولها فخرج رسول الله متوكئاً على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر فقال

١٠٠ روى المفسرون وأرباب الحديث قصة الافك النازل فيها قوله تعالى : (ان الذين جاؤا بالافك) الآية . وارتاحوا لتزيه (صاحبة الجمل) عما قيل فيها؛ روى ذلك البخاري (ج ٣ - ص ٣٣) ومسلم (ج ٢ - ص ٤٥٥) والحازن في تفسيره (ج ٥ - ص ٤٦) والبخاري بهامشه وابن جرير الطبري في التاريخ (ج ٣ - ص ٦٧) بالإسناد إلى عروة بن الزبير عن عائشة والى سعيد بن المسيب عنها وإلى علقمة بن وقاص عنها وإلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عنها فالمصدر لنقل الحديث عائشة فقط وأصبحت هذه الإشاعة حديث أندية المدينة ذلك نبي الله (ص) لأنه لم يتفق ومقامه الطافح بالعظمة القدسية هنا يقول ابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن (ج ٢ - ص ٩٤) -

عبد الله بن العباس لعكرمة فلم تسم لك الآخر قال لا والله ما سمته فقال أتدرى من هو؟ قال لا، قال ذلك علي بن أبي طالب وما كانت والله أمنا تذكره بخير وهي تستطيع .

والرواية المشهورة عن ابن عباس حين أنفذه أمير المؤمنين «ع» إلى عائشة وهي بالبصرة نازلة في قصر ابن خلف يأمرها بالرحيل إلى وطنها والرجوع إلى بيتها والحديث مشهور مثبت في كتب «الجل»، وغيرها أن ابن عباس قال لها إن أمير المؤمنين بأمرك أن ترتحلي إلى بيتك فقالت رحم الله أمير المؤمنين وإن تربدت له وجوه ورغمت له معاطس؛ هذا مع الأخبار التي لا ريب فيها ولا مرية في صحتها لإتفاق الرواة عليها أنها لما قتل أمير المؤمنين جاء الناعي فنعى أهل المدينة فلما سمعت عائشة بنيه استبشرت وقالت متمثلة :

— شاور النبي (ص) أسامة بن زيد وعلياً «ع» في أمرها فقال له أمير المؤمنين إن الله تعالى لم يضيق عليك والنساء كثير فاسأل الجارية تصدق ،

هذا كل ما في علبه القوم وما ادري ولا المنجم يدري كيف تغافل المسلمون عن نقل هذا الحادث الشائع الذي نزل القرآن في اقتضاح من أشاعه فلم يذكر أحد ما روته عائشة وانفردت بنقله مع شدة حرصهم على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث، أكلهم تواصلوا بالكتمان والعادة تبعده أم أن للقصة تخريجاً آخراً ولم تكن بذلك الظهور .

نعم، أوقفنا الشيخ الجليل الثبت علي بن إبراهيم القمي من علماء القرن الثالث على حقيقة سترتها الأحقاد فروى في تفسيره (ص ٤٥٣) عن رجال أجلاء ثقة عن زرارة بن عيين قال سمعت الباقر «ع» يقول لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي (ص) فقالت له عائشة ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطى فبعث النبي علياً ليقتله .

فان يك ناعياً فلقد نعاها انا من ليس في فيه التراب
فقال لها زينب بنت أبي سلمي العلي تقولين ؟ قضا حكت ثم
قالت أنسى فاذا نسيت فذكروني ثم خرت ساجدة شكراً على ما بلغها من
قتله ورفعت رأسها وهي تقول « ١ » :

فأقمت عصاها واستقر بها النوى كما قرعينا بالإياب المسافر
هذا وقد روى عن مسروق انه قال دخلت عليها فاستدعت غلاماً
باسم عبد الرحمن قالت عبدى قلت لها . فكيف سميتيه عبد الرحمن قالت
حياً لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي .

- يخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فاذا ليس
له ما للرجال فرجع علي دع ، إلى رسول الله (ص) واخبره بما رأى فقال
(ص) الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية:
(إن الذين جاؤا بالافك) وفي ص - ٦٤٠ - من التفسير روى عن
الصادق أن رسول الله كان عالماً بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل
عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٥٧) كانت
اماتشة جراءة على رسول الله حتى كان منها في أمرارية ما كان من
الحديث الذي أسرته إلى الزوجة الأخرى وأدى إلى تظاهرها عليه فنزل
فيها قرآناً يتلى في المحاريب يتضمن وعيداً غليظاً عقيب تصريح
بوقوع الذنب .

ولم تخف هذه الظاهرة على شيخنا المفيد ولكنه مشى في نقل القصة
عنها مع المؤرخين ليسجل عليها اعترافاً بالمباينة لأمير المؤمنين التي
لا يستحق فيها شيئاً جاء به من قبل نفسه وإنما هو يمثل أمر رسول الله
في تعقيب المرأة لتعترف بالحقيقة ويستبين الحال .

« ١ » ، البيتان في تاريخ الطبري (ج ٦ ص ٨٧) .

والخبر مشهور أنه لما بعث إليها أمير المؤمنين بالبصرة أن ارتحلي عن هذه البلدة قالت لا أريتم مكاني هذا فقال لها أمير المؤمنين أم والله لترتحلين أو لأبعثن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشغار حداد فقال لرسوله ارتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من مكان يكون هو فيه ، وأمثال هذا مما لو أثبتناه لطلال به الكتاب وما يؤكد ما ذكرناه من أن غرض القوم كان في مباينة أمير المؤمنين (ع) ومظاهرة بالخلاف وإنه لم يكن لإقامة حق واجتهاد ورأى في إصابة طاعة وحوز مشوبة بل كان لضغائن بينه وبينهم لأسباب سالفة وآفة أو طمع في عاجل أو حسد له وبغى عليه .

عائشة تفرح وتحزن :

وان حكم المرأة لما ذكرناه ظاهر لذوى الاعتبار ، وما أجمع على نقله رواة الآثار ؛ ونقله السير والأخبار انه لما قتل عثمان بن عفان خرج البغاة إلى الآفاق فلما وصل بعضهم إلى مكة سمعت بذلك عائشة فاستبشرت بقتله وقالت قتلته أعماله انه أحرق كتاب الله وأمات سنة رسول الله فقتله الله ، ومن بايع الناس ؟ فقال لها الناعى لم ارح المدينة حتى أخذ طلحة بن عبد الله نعاجماً لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك ان الناس قد بايعوه فقالت أي هذا الاصيبيع وجدوك لها محسناً وبها كافياً ثم قالت شدوا رحلي فقد قضيت عمرتي لأنوجه إلى

١٥ ، في شرح النهج لإبن أبي الحديد (ج ٢ - ص ٤٦٠) كانت عائشة أشد الناس عليه تأليماً وتحريضاً فلما سمعت بقتله قالت أبعده الله وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الإمرة تيمية فلما سمعت أن البيعة تمت اعلى (ع) صاحت واعثماناه قتل عثمان مظلوماً ؛ ونقل ذلك عن شيخه المعتزلي أبي يعقوب يوسف اللعاني .

منزلي فلما شدوا رحالها واستوت على مركبها سارت حتى بلغت (سرفا) موضع معروف بهذا الاسم اقيها ابراهيم بن عبيد بن ام كلاب فقالت ما الخبر؟ فقال قتل عثمان قالت قتل نعثل؟ ثم قالت اخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟ فقال لها أحاط الناس بالدار وبه ورأيت طلحة بن عبد الله قد غلب على الأمر واتخذ مفاتيح على بيوت الاموال والخزائن وتهايم ليبايع له فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب «ع» ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره وخرجوا في طلب علي يقدمهم الاشر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر رحمه الله حتى أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه فقالوا له بايعنا على الطاعة لك فتفكر ساعة فقال الاشر يا علي ان الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن تختلف الناس .

قال وكان في الجماعة طلحة والزبير فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي كلام قبل ذلك فقال الاشر لطلحة قم باطلحة فبايع ثم قم يا زبير فبايع فما تنتظران فقاما فبايعا وأنا أرى أيديهما على يد علي يصفقانهما بييمته ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر فتكلم بكلام لا احفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر وبايعوه من الغد فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم ما جرى بعدي .

فقالت يا أبا بني بكر أنت رأيت طلحة بايع علياً؟ فقلت اي والله رأيت بايعه وما قلت إلا رأيت طلحة والزبير أول من بايعه فقالت إنا لله اكره والله الرجل وغضب علي بن أبي طالب أمرهم وقتل خليفة الله مظلوماً ردوا بغالى ردوا بغالى فرجعت إلى مكة .

قال وسرت معها فجعلت تسألني في المسير وجعلت اخبرها ما كان فقالت لي هذا بعهدى وما كنت اظن ان الناس يعدلون عن طلحة مع بلائه يوم احد قلت فان كان بالبلاء فصاحبه الذي بويح ذو بلاء وعناء فقالت يا أبا بني بكر لا تسلك غير هذا فاذا دخلت مكة وسألك الناس ما رد

ام المؤمنين قتل القيام بدم عثمان والطلب به .
وجاءها يعلى بن منبه فقال لها قد قتل خليفتك الذى كنت تحرضين
على قتله فقالك برأت إلى الله من قتله .

قال الآن ؛ ثم قال لها اظهري البراءة ثانياً من قاتله فخرجت إلى
المسجد فجعلت تتبرء من قتل عثمان ، وهذا الخبر يصرح مضمونه عما
ذكرناه من أنها لم تزل مقيمة على رأيها فى استحلالها دم عثمان حتى بلغها
أن أمير المؤمنين قد بويع وبايعه طلحة والزبير فقلبت الأمر وأظهرت
ضد الذى كانت عليه من رأى وأنه لو تم الأمر لطلحة لأقامت
ما كانت عليه وإن طلحة والزبير كانا فى الاول على عثمان وإنما رجعا
عنه لما فاتهما بما كانا يأملانه من ذلك ولم يرجعا عنه لما أظهره من بعد
الندم على قتل عثمان والدعاء إلى قتله ولا رجعا عنه استبصاراً بضلالة
ما كانا يأملانه فى ذلك وان الذى ادعته الحشوية لهم من اجتهاد الرأى
باطل ومنحل وان دعوى المعتزلة فى الشبهة عليهما فيما صارا اليه من
خلاف أمير المؤمنين عليه السلام ايس بصحيح .

بل الحق فى ذلك ما ذهب اليه الشيعة فى تعمدتها خلافه وأسباب
ذلك العداوة له والشنآن مع الطمع فى الدنيا والسعى فى عاجلها والميل
للتأمر على الناس والتملك لامرهم وبسط اليد عليهم وان الرجلين خاصة
لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين
أحداً وعرفا رأى المهاجرين والانصار فن أرادا الخطوة عنده
بالدار إلى بيعته وظنا بذلك شركاه فى أمره فلما استويا بالحال من بعد
وصح لهما رأيه (ع) وتحققا انها لا يليان معه أمراً فامتحننا ذلك
مع ما غلب فى ظنهما بما ذكرناه بأن صارا اليه بعد استقرار الامر ببيعة
المهاجرين والانصار وبنى هاشم وكافة الناس إلا من شذ من بطانة
عثمان وكانوا على خفاء لاشخاصهم مخافة على دماهم من أهل الإيمان

فصارا إلى أمير المؤمنين فطلب منه طلحة ولاية العراق وطلب منه الزبير ولاية الشام فأمسك علي عن إجابتهما في شيء من ذلك فانصرفا وهما ساخطان وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه (ع) فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صارا إليه واستأذنا عليه فأذن لهما وكان في عليّة داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه وقالا يا أمير المؤمنين قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا ونقضى به حقوقاً علينا فقال عليه السلام قد عرفتما مالي (ينيح) فان شئتما كتبت لكما منه ما تيسر فقالا لا حاجة لنا في مالك (ينيح) فقال لهما ما اصنع ؟ فقالا له اعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية فقال سبحان الله وأى يد لي في بيت المال وذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم فان شئتما رقيتيا المنبر وسألتما ذلك ما شئتما فان اذنوا فيه فعلت وأتى لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم لكني ابدى لكما عذراً فقالا ما كنا بالذي نكلف ذلك ولو كلفناك لما اجابك المسلمون فقال لهما ما اصنع ؟ قالوا قد سمعنا ما عندك ثم نزلنا من عليّة وكان في أرض الدار خادمة لأمير المؤمنين سمعتها يقولان والله ما بايعنا بقلوبنا وإن كنا بايعنا بألسنتنا فقال أمير المؤمنين عليه السلام ان الذين بايعونك إنما بايعون الله يد الله فوق أيديهم فن نكت فانما ينكت على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ، فتركاه يومين آخرين وقد جاءهما الخبر باظهار عائشة بمكة ما أظهرته من كراهة أمره وكراهة من قتل عثمان والدعاء إلى نصره والطلب بدمه وان عمال عثمان قد هربوا من الامصار إلى مكة بما احتجبهوا من أموال المسلمين ولخوفهم من أمير المؤمنين ومن معه من المهاجرين والانصار وان مروان بن الحكم بن عم عثمان ويعلى بن منبه خليفته وعامله كان باليمن وعبد الله بن عامر بن كريز ابن عمه وعامله كان على البصرة وقد

اجتمعوا مع عائشة وهم يدبرون الامر في الفتنة ، فصار إلى امير المؤمنين عليه السلام وتيما وقت خلوته فلما دخلا عليه قال يا امير المؤمنين قد استأذناك للخروج في العمرة لانا بعيدان العهد بها لإنذن لنا فيها فقال واهه ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الصدرة ، وانما تريدان البصرة فقالا اللهم غفراً ما نريد إلا العمرة فقال عليه السلام احلفا لي بالله العظيم انكما لا تفسدان علي امر المسلمين ولا تنكثان لي ببيعة ولا تسعيان في فتنة فبذلا الستة بالايامن المؤكدة فيما استحلفها عليه من ذلك فلما خرجا من عنده لقيهما ابن عباس فقال لهما اذن لكما امير المؤمنين ؟ قال نعم .

فدخل على امير المؤمنين فابتداء عليه السلام فقال يا ابن عباس أعندك الخبر قال قد رأيت طلحة والزبير فقال (ع) انهما استأذناني في العمرة فأذنت لهما بعد ان استوثقت منها بالايامن ان لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً واهه يا ابن عباس وانى اعلم انهما ما قصدا إلا الفتنة فكأنى بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربى فان يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك وسيفسدان هذان الرجلان على امرى ويسفكان دماء شيعتى وانصارى .

قال عبد الله بن عباس إذا كان ذلك عندك يا امير المؤمنين معلوماً فلم اذنت لهما وهلا حبستهما واوثقتهما بالحديد وكفيت المسلمين شرهما .

فقال له عليه السلام يا ابن عباس اتأمرنى بالظلم ابدأ وبالنيئة قبل الحسنة واعاقب على الظنة والتهمة واوآخذ بالفعل قبل كونه كلا واهه لا عدلت عما اخذ الله على من الحكم والعدل ولا ابتدأ بالفصل . يا ابن عباس اننى اذنت لهما واعرف ما يكون منهما ، ولكنى استظهرت بالله عليهما والله لا قتلنهما ولاخين ظنهما ولا يلقيان من الامر مناها وان الله يأخذهما بظلمهما لي ونكشهما يعنى وبنيهما على وهذا الخبر الذى تقدم مع ما ذكرناه من وجودهما في اثر مصنفات اصحاب السيرة وقد اورد

ابو مخنف لوط بن يحيى في كتابه الذي صنفه في حرب الجمل وجاء به الثقتى عن رجال الكوفيين ، والشاميين ، وغيرهم ولم يورد احد من اصحاب الآثار تقيضه في معناه ولا ثبت ضده في فحواه ، ومن تأمل ذلك علم ان القوم لم يكونوا فيما صنعوه على جميل طوية في الدين ولا للسليين ، وان الذي اظهروه من الطلب بدم عثمان انما كان تشبيهاً وتليسياً ، على العامة والمستضعفين ولولا ما جعلوه من شعارهم بدعوى الانتصار بعثمان ، والتظاهر بتظيم قاتليه وغاذليه والندم على ما فرط منهم فيه لما اختلف اثنان من العلماء واتباعهم في صواب رأى المسلمين بما كان في عثمان وانهم انما اجتمعوا على خلعه وقتله باستحقاقه ذلك بالاحداث التي احدثها في الدين واسكنهم ضلوا بما اظهروه وافسدوا افساداً عظيماً بما اظهروه ، ولم يثر المستضعفين في هذا الباب إلا لتأييمهم عن معرفة الاخبار وتدبير الآثار واشتبه الامر فيه على جماعة النظار بجهلهم بما اثبتناه في ذلك من الحديث ، وبعدهم عن معرفة طرقة واهل جمهورهم لم يسمع بشيء منه فضلاً عن تدبره وكل من ضل عن سبيل الحق إنما ضل بالتقليد ، وحسن الظن بمن لا يحسب حسن الظن لله فيه واعتقاد فضل من قد خرج عنه بسوء الرأى ، وطريق الانصاف ، فيما ذكرناه والنظر فيما وصفناه والتأمل لما اثبتناه من الاخبار فيه وشرحناه والرجوع إلى اهل السير وإلى اختلافهم في الآراء والمذهب والى كتبهم المصنفة في الفتن تعرف ذلك منها ومن تدبر الامر يجده على ما وصفناه وانه ولى التوفيق .

براعة أمير المؤمنين من الدم :

باب آخر في القول فيما يتصل بالمقدم من الكلام في معانيه ثم قد اشتبه الامر في رأى امير المؤمنين عليه السلام ومذهبه في حصر عثمان

وقتله وتشعب اقوال المختلفين في ذلك ، فلم اجد أحداً من متكلمي
 اصحابنا الامامية حصر القول في ذلك ، ولا كلاماً في معناه يوضح
 عن الغرض الملتبس على العقلاء وكان كل فريق عدا الامامية من اهل
 القبلة يقولون في ذلك بظن او ترجيم ، ولا يضع يده في شيء منه على
 معرفة ويقين ، والذي تدل الدلائل عليه من رأى امير المؤمنين (ع)
 فيما صنعه القوم بعثان من الحصار ومطابته بالخلع ، ومنعه الطعام
 والشراب ، لعدم الاجابة لهم على ما دغوه اليه من اعتزال الامر ثم
 الهجوم عليه بالقتل والقائه على بعض المزابل لا يريدون الصلوة عليه
 ولا الدفن له ويمنعون من ذلك على ما اجمعت عليه رواة الآثار والاختبار
 والمتفق على صحته العلماء بالسير من الآثار فقد ذكره (ع) بجملة من ذلك
 وعزّل القوم فيه غير انه لم يواطى على كراهة غيره ، على نيته فيه ولا
 وافق سواء من مخالفه على طويتهم في معناه ، وذلك انه عليه السلام
 لم يشرع مع القوم في دعاء عثمان إلى الاعتزال ، ولا رأى ما رأوه من
 حصاره وما ولى ذلك من افعالهم به وانه عليه السلام علم عاقبة الامر
 في ذلك وتحققها ولم يخف عليه ما يكون في مستقبل الاوقات في الفتنة
 بذلك ، والاختلاف والحروب ، وسفك الدماء ، فان مخالفه لتقديم
 العداوة له والبخضاء منهم له (ع) والشنآن والحسد والبغى عليه
 بالطغيان سيقرفونه بقتل عثمان ، والسعى في دمه بهتاناً له في ذلك على
 ما ذكرناه من الظفناء في الدين البعداء عن علمه ، ولم يصر إلى الاعتزال
 مما صنعه القوم بالرجل لولائه ولاعتقاد الجليل فيه ؛ وكيف يكون
 اعتزاله لهم فيما رأوه من خلعه وحصره وقتله واعتقاد الحق له عليهم
 وثبوت إمامته بحكم الله في ذلك كما ظنه اولياء الرجل وهو عليه السلام
 يعلم انه مظلوم بدفعه عن الامر بعد النبي (ص) وتقدم عليه من لا يستحق
 ذلك والتصغير من شأنه والحط بذلك له عن قدره والاعراء في السعاية

بذلك في جحد فضله وإنكار فضله وتظلمه من القوم جميعاً في مقام على التلويع والتصريح والتحقيق والتعريض .

بقوله (ع) اللهم انى استعديك على قريش فانهم ظلونى ومنعونى حتى وصفروا شأنى ومنعونى حتى اى ار فى مقام مشهور .
وقوله (ع) فى مقام آخر اللهم اجز قريشاً عنى الجوازى فقد ظلونى ومنعونى حتى وصفروا شأنى ومنعونى ارئى .

وقوله (ع) فى مقام آخر لم ازل مظلوماً منذ قبض رسول الله .
وقوله (ع) اللهم اجز عمراً اقد ظلم الحجر والمدر .
وقوله (ع) والذى فلق الحبة وبرأ النسمة اقد عهد النبى (ص) الى ان الامة ستغدر بك من بعدى .

وقوله (ع) فى مقام آخر لما قبض الله نبيه لم يكن يرى أحداً بهذا الامر منا اهل البيت حتى قوى عليه غيرنا فابترنا حقنا منه .
وقوله (ع) لما مضى نبينا (ص) وتقلدها ابو بكر والله اعلم لانى اولى بها منه كقميصى هذا وقبض قميصه بيده .

وقوله (ع) فى خطبته المشهورة اما والله لقد تقمصها ابن قحافة وانه اعلم ان محلى منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى الى الطير ، فسدلت دونها ثوبا ، وطويت عنها كشحا ، وطفقت ارتأى بين ان اصول بيد جزاء ، او اصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن ، حتى يلتقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احببى فصبرت وفى العين قذى ، وفى الحلق شحى ، ارى ترائى نهياً ، حتى إذا حضر أجله جعلها فى صاحبه عمر فياجبأ بينا هو يستقبلها فى حيوته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .

وفى كلامه المشهور حتى انتهى الى الشورى فذكر عمر وقال لجعلها شورى فى ستة اذعهم فى الله وللشورى متى اختلج الريب

في مع الاولين حتى صرت اقرن إلى هذه النظائر .
ثم انتهى في كلامه إلى بيعة عثمان فذكر عبد الرحمن في اختياره
لعثمان عليه وقال ونهض واحد اضغنه ومال الآخر اصهره وكان
عبد الرحمن صهراً لعثمان على اخته في الكلام الثابت في الخطبة الى آخرها
وقوله (ع) في اول خطبة خطبها بعد قتل عثمان وبيعة الناس له
قد مضت امور كنتم فيها غير محمودى الرأى اما لو اشاء انقلت ولكن
عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه
وفرجه ياريله لو قص جناحه وقطع رأسه لكان خيراً له حتى انتهى
إلى قوله وقد اهلك الله فرعون وهامان وقارون .
فيما يتصل بهذه الخطبة إلى آخرها .

وقوله (ع) عند بيعة عبد الرحمن لعثمان يوم الشورى والله
ما املت إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم (١)
ثم انصرف في امثاله لهذا الكلام كثيراً ان قصدنا إثباته اطال به
الكتاب وفي ثبوت النص على امير المؤمنين بالامامة في القرآن والايخبار
المتواترة عن النبي (ص) اوضح دليل على انه (ع) لم يكن قاضياً
بتقديم أحد عليه في مقام النبوة ولا مصوباً لهم في ادعاء الامامة فكيف
وقد تضافرت الاخبار بما ذكرناه وما كشف به عن عقيدته فيه ورأيه
في القوم على ما بيناه ولو لم يكن نص عليه بالامامة ولا ورد عنه مقال
في إنكار ما صنعه القوم في التقديم عليه في الامر لكان الدليل القاهر
على فضله (ع) بثبوتهم عن جماعتهم بذلك كافياً في كراهة امرهم
وإنكاره عليهم ولو فسد الطريق في ذلك اجمع واشتبه الامر فيه لم
يعترض ريب في إنكاره احداث عثمان بن عفان التي اجمع على إنكارها
المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وما تظاهرت به الاخبار من

(١) تقدم بيان هذا المثل .

مواليه «ع» على الانكار في مقام بعد مقام .

ما نقم به على عثمان :

ألا ترى إلى ما جاءت به الاخبار من إنكاره (ع) ادراء الحد عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقد استحق القود بقتله الهرمزان ومن قتل معه من اهل العهد بغير حق بمقتضى شريعة الاسلام ولما طالبه القوم للقود منه تعلق عثمان ، تارة بأن اباه قتل ولا يرى قتله اليوم اثن لا يجترأ المسلمون بذلك وتواتر عليهم الهموم والغموم ولما خاف من الاضطراب له والفساد فرد عليه امير المؤمنين (ع) هذا الرأي وأعله ان حدود الله لا تسقط ولا يجوز تطبيقها بمثل هذا الاعتلال (١) فعدل عثمان إلى تعلق آخر بأن في إسقاط الحد عن ابن عمر خلافاً على رأى امير المؤمنين فيه ومضادته فيما دعاه اليه وأشار به عليه في حكم الله تعالى وقال الهرمزان رجل غريب لا ولى له وانا ولى من لا ولى له وقد رأيت العفو عن قاتله فقال له امير المؤمنين ليس للامام ان يعفو عن حق يتعلق بالمخلوقين إلا ان يعفو الاولياء عنه وليس له ان يعفو عن ابن عمر ولكن ان اردت ان تدرأ الحد عنه فأد الدية الى المسلمين الذين هم اولياء الهرمزان او اقسما مع ما في بيت المال على مستحقه فلما رأى امير المؤمنين دفاع عثمان عن الحد الواجب في حكم الله وتعلقه في ذلك قال له اما انت فطالب بدم الهرمزان يوم يعرض

- (١) في صحيح البخارى (ج ٢ - ص ٢٦٢) وصحيح مسلم (ج ٢ - ص ٣٢) والمستدرک عليهما للحاكم (ج ٤ - ص ٣٧٩) ومسنده احمد (ج ٣ - ص ٣٨٦) وسنن ابى داود والسجستاني (ج ٤ - ص ١٣٢) ان النبي (ص) قال الحدود لا تسقط بحال فلم يقبل شفاعة احد في سارقة الخلى حتى قطع يدها .

الله الخلق للحساب واما انا فاقسم بالله فاني لان وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لاخذت حق الله منه وان رغم انف من رغم فاستدعى عثمان عبيد الله ليلا وأمره بالهرب من أمير المؤمنين (ع) فخرج من المدينة ايللا وقد أصبحه عثمان كتابا أقطعه فيه قرية من قرى الكوفة وهي (كويفة ابن عمر) فلم يزل بها حتى ولي أمير المؤمنين (ع) فكان من جملة المعاندين له واجتهد في حربه مع جند الشام فقتله الله بغيضه ولقاه أعماله وكفى المسلمين شره .

ولما ورد أهل الكوفة يتظلمون من الوليد بن عقبة بن أبي معيط ويشهدون عليه بشرب الخمر وسكره وصلوته فيها بالناس الفجر وهو سكران وانه قاء بالخمر ونام في موضعه حتى حمل منه وجعل مواضع القرآن شعراً مشهوراً ، فاغتاظ عثمان من الشهود وتغير عليهم وأمر بضربهم فصاروا إلى أمير المؤمنين (ع) يشكون اليه أمرهم وما حل بهم من عثمان فقام (ع) حتى دخل عليه فلما رآه عثمان قال مالك يا ابن أبي طالب أحدث أمر؟ قال نعم حدث أمر عظيم ، قال وما ذلك؟ قال عطلت الحدود وضربت الشهود ، فقال عثمان فما ترى؟ قال أرى أن تعزل أحاك عن الكوفة وتستدعيه وتقيم عليه الحد قال أنظر في هذا (١) .

ولما كان من إنكار أبي ذر وإجداث عثمان ما كان ودخل عليه في بعض الأيام وعنده قوم يمدحونه بالأباطيل فأخذ بيده كفاً من التراب وضرب وجوههم فقال له عثمان ويلك ما هذا تضرب وجوه المسلمين بالتراب قال انه لم أفعل إلا ما أمر به رسول الله (ص) بقوله إذا رأيتم

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٤٠) حوادث سنة ٣٠ ، والأغانى (ج ١ - ص ٢٠ و ج ٤ ص ١٧٦) وتاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٤٢) .

المداحين فاحشوا في وجوههم التراب وقد رأيت هؤلاء يتقربون
بالأباطيل اليك ويمدحونك بما ليس فيك فقال عثمان كذبت فهو إذا
يكذبه ويغلظ له في القول وأبو ذر يخاصمه إذ دخل أمير المؤمنين
فقال له عثمان يا علي أما ترى هذا الكذاب كيف يكذب على رسول الله
فقال له علي إنزل له يا عثمان فيما قال بمنزلة مؤمن آل فرعون قال الله تعالى
(إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم)
فغضب عثمان وقال اسكت بفيك التراب فجاء «ع» على ركبته ثم قال
بل بفيك التراب سيكون (١) ولما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ
عثمان السوط فالتفاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب
من شاء منكم فليقم الحد على أخي فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير
المؤمنين (ع) ويده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه
ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشمته الوليد
فسبه علي «ع» بما كان أهله وتعتته حتى أثبت إقامة الحد عليه
فاستشاط عثمان من ذلك وقال له ليس لك أن تعنفه يا علي ولا لك أن
تسبه فقال له عليه السلام بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سبته
إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقاً ثم ضربه بالسوط وكان له رأسان
أربعين جلدة في الحساب بثمانين ففقدتها عليه عثمان .

ولما ورد عثمان طريد رسول الله وهو الحكم بن أبي العاص الذي
لعنه الله وقد كان نفاه النبي من المدينة إلى الطائف وذلك انه كان يؤذى
النبي حتى بلغ من أذاه له انه كان يتسلق على حائط بيته ابراه مع إزواجه
فضربه «ص» وهو متطلع عليه ولما وقعت عيناه في عينه كلع في
وجه النبي ثم نزل وكان النبي إذا مشى مشى خلفه الحكم يتخلع في
مشيته يحكيه وكان من رسول الله «ص» التفاتة إليه فقال له كن كما

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ج ٢ - ص ١٤٨ ، ط النجف .

أنت فلا يقدر على المشي بعدها إلا مغلجاً وكان يقف نصب عينه فإذا تكلم (ص) يذكر شيئاً من الوحي إليه وشرح لامته من الدين شيئاً ووعظهم وأنذرهم أو وعدهم أو رغبهم وعلم شيئاً من الحكم لوى شدقيه في وجهه يحكيه ويميب به فلما طال ذلك منه على رسول الله وقد كان يدارى قومه من قبل بالصبر عليه فنفاه إلى الطائف وأباح دمه متى وجد بالمدينة وقضى رسول الله والحكم مطروداً فلما ولي أبو بكر جاءه عثمان فسأله في رده فامتنع عليه وقال له قد مضى رسول الله ولم يأذن له في الرد فاني لا أردته فلما مات أبو بكر وولي عمر جاءه عثمان يسأله في رده فقال له لقد كنت سألت رسول الله في ذلك فلم يجبك وسألت أبا بكر فلم يجبك ولست أرى لإجابتك إلى ما سألت فأمسك يا عثمان فاني لا اخالف صاحبي (١) .

ولما ولي عثمان الأمر استدعاه من الطائف إلى المدينة وآواه وحباه وأعطاه وقطعه المربد بمدينة الرسول فعظم ذلك على المسلمين وقالوا آوى طريد رسول الله وحباه وأعطاه وصاروا إلى أمير المؤمنين وع ، فسألوه أن يكلمه في إخراجه عن المدينة وردده إلى حيث نفاه النبي لجاهه أمير المؤمنين وقال له قد علمت يا عثمان ان النبي قد نفي هذا الرجل عن المدينة ولم يردده وان صاحبيك سلكا سبيله في تبعيده واتبعنا سنته في ذلك وقد عظم على المسلمين ما صنعت في رده وإيوانه فاخرجه عن المدينة واسلك في ذلك سنة النبي (ص) فقال يا علي قد علمت مكان هذا الرجل مني وانه عمي وقد كان النبي (ص) أخرجه عن المدينة لبلاغه ما لم يصلح عليه وقد مضى النبي لسبيله ورأى أبو بكر وعمر ما رأياه وأنا أرى أن أصل رحمي وأقضى حق عمي وهو ليس شر أهل

(١) الاصابة لابن حجر (ج ١ - ص ٣٤٥) والاستيعاب
بها مشها ص ٣١٧ .

الأرض وفي الناس من هو شر منه .

فقال (ع) والله إن بقيت يا عثمان ليقول الناس فيك ما هو شر من هذا ولما كان من عثمان من تفريق ما في بيت المال على أوليائه وأقربائه واخراج خمس مال افرريقية إلى مروان بن الحكم وتسويغه إياه (١) وجائه زيد بن ثابت بمائة الف درهم من بيت المال واقطاعه من أقطع من أرض المسلمين وأجازته الشعراء بكثير من مال المسلمين أعظم المسلمون ذلك وفزعوا إلى علي (ع) فدخل عليه ووعظه وذكر له ما عليه المسلمون من إنكاره بما عمله فسكت عثمان ولم يجبه بحرف فلما طال على أمير المؤمنين سكوته قال له بماذا أرجع إلى المسلمين عنك ؟ ألك عذر فيما فعلت ؟ قال انصرف يا ابن أبي طالب فسأخرج إلى المسجد وتسمع مني جواب ما سألك عنه .

ثم خرج عثمان بعد وقت العصر حتى صعد المنبر واجتمع المسلمون لسماع كلامه فقال : معشر الناس قد بلغني خوضكم في بري أهل بيتي ووصلي لهم وحبائي لمن حبوت من أهلي وأوليائي وأقربائي ان رسول الله من بني هاشم لحبا أهله ووصلهم وجعل لهم الخنس نصيباً ووفره عليهم ونحلهم صفو الأموال وأغنهم عن السؤال وان أبا بكر حبا أهله وخصم بما شاء من المال وان عمر حبا بني عدي واصطفاهم وخصم بالاكرام والاعظام وأعطاهم ما شاء من المال وان بني امية وعبد شمس أهلي وخاصتي وأنا أخصم بما شئت من المال أما والله لو قدرت على مفاتيح الجنة لسلستها إلى بني امية على رغم أنف من رغم .
فقام عمار بن ياسر فأخذ بطرف أنفه وقال والله ان أنفي اول انف يرغم بذلك .

(١) في البداية لابن كثير (ج ٧ - ص ١٥٨) ان عثمان اهدى آل مروان النبي دينار وعشرين الف ديناراً .

وتفرق المسلمون على سخط من مقالته وجاءه خزان بيت المال
فالتقوا المفاتيح بين يديه وقالوا لا حاجة لنا فيها وأنت تصنع في أموال
الله ما تصنع .

ولما كتب المسلمون كتاباً يذكر فيه ما ينكرون من أحواله
التمسوا من يوصله إليه ليقف عليه فيرجع عن ذلك أو يعرفون رأيه فيه
فوقع اختيارهم على عمار بن ياسر رحمه الله فضمن لهم عرض الكتاب
عليه واخذه واستأذن عليه حاجبه في إيصاله إليه فأذن له فدخل عليه
وقد لبس ثيابه وهو يلبس خفيه فقال له مرحباً بك يا عمار فيما جئت ؟
قال جئت بهذا الكتاب فأخذه من يده فلما قرأه تغير واستشاط غضباً
وقال له يا عاص بظرامه أنت تجترى علي وتلقاني بما أكره ووثب إليه
فدفعه حتى انصرع على الأرض وداس بطنه وعورته حتى اغمى عليه
فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وعرف المسلمون
ذلك فأنكروه .

وقال فيه أمير المؤمنين ما هو مشهور ، وروى ذلك محمد بن اسحق
عن الزهري وابو حذيفة القرشي عن رجاله وغيرهما من اصحاب السير
وقد كان من أمير المؤمنين د ع ، له وعظ مشهور في مقامات اخر
وكان بينه وبينه هنات ومهاجرات ومباينات في أوقات متفرقات .

فمن ذلك ما رواه ابو حذيفة القرشي قال حدثني اسحق بن محمد قال
حدثني الحسن بن عبد الله عن عبيد الله بن عباس عن عكرمة قال
كان بين عثمان بن عفان وبين علي د ع ، كلام على عهد عمر بن الخطاب
فقال له ما تقول في ما ذنبي والله ما تحبكم قريش أبداً بعد سبعين رجلاً
قتلتم منهم يوم بدر كانوا هم شنوف الذهب .

علي ينصح عثمان :

وروى المدائني عن علي بن صالح قال ذكر ابن داب قال لما غاب الناس على عثمان ما عابوا كلوا علياً فيه فدخل عليه وقال ان الناس ورائي قد كلوني فيك فوالله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغك وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله (ص) كما صحبنا وما ابن أبي قحافة ولا ابن أبي الخطاب بأولى بشيء من عمل الخير منك وأنت أقرب الى رسول الله وقد نلت من صهره ما لا ينالنا ولا سبقناك إلى شيء فالله الله في نفسك فانك والله لا تبصر من عمي ولا تعلم من جهل وان الطريق لواضح بين وان أعلام الدين لقائمة تعلم يا عثمان ان أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله ان كلا ابين وان السنن لقائمة لها أعلام وان البدع لظاهرة لها أعلام وان شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به فأمات سنة معلومة وأحيى بدعة متروكة وإني سمعت رسول الله يقول : يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإني أحذرك الله واحذرك سطوته وتقاهه فان عذابه شديد أليم واحذرك أن تكون إمام هذه الامة المقتول فانه كان يقال يقتل في هذه الامة إمام فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة وتلبس امورها عليها وتنشب الفتن فلا يبصرون الحق اهلوا الباطل بموجون فيها موجاً وبمرجون فيها مرجاً .

فقال له عثمان كلم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم فقال دع ، ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله

وصول امرك اليهم فقال عثمان والله قد علمت ما تقول أما والله لو كنت
بمكاني ما أغضبتك ولا عتبت عليك ولا جئت منكراً ولا علمت سوا
إن وصلت رحماً أو سددت خلة (١) .

ثم خرج عثمان مجلس على المنبر مغضباً وقال : اما بعد فان لكل شيء
آفة والكل امر عاهة ، وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيايون
طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون
امثال النعام يتبعون اول ناعق احب مواردنا اليها البعيد لا يشربون
إلا نفضاً ولا يردون إلا عكراً لا يقوم لهم رائد وقد اعيتهم الامور
وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عتبت على بما اقررتم لابن الخطاب
بمثله ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقعكم بلسانه فدتتم له
ما احببتم او كرهتم واوطأت لكم كتفي وكففت يدي واساني عنكم
فاجترأتم على أما والله لانا اعز نفراً واقرب ناصرأ واكثر عدداً
واقن ان قلت هلم اتي إلي ولقد اعددت لكم اقرانكم وكشرت لكم
عن نابي واخرجتم مني خلقاً لم اكن احسنه ومنطقاً لم اكن به انطق
فكفوا عني الستكم وطعنكم وعيبكم على ولا تكم فاني قد كففت عنكم
من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألافنا
تفقدون من حكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي
وما وجدتم تختلفون عليه فما بالكم .

فقال مروان بن الحكم ان شتمت حكامنا بيننا وبينكم السيف فنحن
واتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم اعراضنا فنبت بكم مفارسكم تبنون في دمن الرثى
فقال عثمان لمروان اسكت أسكتك الله دعني واصحابي ثم نزل

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧) .

عثمان (١) فلما كان بعد ايام عاد اليه عليّ «ع» فوعظه فقال است ابدء بك واني لا علم شأنك لي دعني واصحابي فقال «ع» لقد اديت اليك ما اوجب الله عليّ وخرج من عنده .

خطبة عثمان :

فلم يكن بأسرع من أن عثمان خرج إلى المسجد فرقى المنبر فحمد الله واثني عليه وقال :

أما بعد ايها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً اجمله وما جئت شيئاً الا وانا اعرفه ولكني متئني نفسي وكذبتني نصيحتي وضل عني رشدي ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول من ذك فليتب ومن اخطأ فليتب ولا تتمادى بالهلكة فان من تتمادى في الجور كان ابعد عن الطريق فانا اول من اتعظ أستغفر الله أستغفر الله مما فعلت واتوب اليه فثلي نزع وتاب فاذا نزلت فليأتني لإشرافكم فليروني رأيهم فوالله ائن ردني الحق عبداً لاكونن له كالمقوق ان ملك صبر وان عتق شكر وما عن الله مذهب إلا اليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلى ائن أبت يميني لتتبعني شمالي .

فقام اليه المقداد بن عمر فقال يا عثمان ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك فأتهم علي ما قلت (٢) .

ولما نزل عثمان وجد مروان بن الحكم وسعيد بن العاص ونفراً من بني امية جلس فقال له مروان يا أمير المؤمنين أتكلم ام أصمت فقال له نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بل اصمت فأتم والله قاتلوه وموثمويه

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٩٦ و ص ٩٧) وابن الاثير

(ج ٣ - ص ٥٨) .

(٢) في الطبري (ج ٥ - ص ١١١) نسب القول الى سعيد بن زيد

انه قال مقالة لا ينبغي ان يزرع عنها فاقبل عليها مروان قال لها وما انت في هذا فوالله اقدم مات ابوك ولا يحسن ان يتوضأ فقات مهلا عن ذكر الاباء فانك تخبر عنه وهو غائب تكذب عليه وان اباك لا يستطيع ان يدفع عنه اما والله لولا انه عمه وانه يناله غمه لآخرتك عنه ولم اكذب عليه ثم اعرض مروان عنها وقال اتكلم ام اسكت فقال له عثمان تكلم قال بأبي انت وامى والله لوددت ان مقاتك هذه كانت وانت تمتنع منيع وكنت اول من رضى بها واعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطين وبلغ السيل الزبي وحين اعطى الخطة الذائلة الذليل والله لاقامة على خطيئة تستغفر منها اجمل من توبة تخوف عليها وانت ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة وقد اجتمع على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج اليهم وكلهم فاني استحي منهم فخرج اليهم مروان وفتح الباب والناس يركب بعضهم بعضاً قال : ما شأنكم قد اجتمعتم ايها الناس كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه كل انسان آخذ باذن صاحبه إلا من اريد جئتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا اخرجوا عنا أما والله لن رمتونا ليرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم فانا والله ما نحن بمفلولين على ما في ايدينا فرجع الناس وخرج بعضهم الى أمير المؤمنين فقال خرج علينا مروان وقال كذا وكذا وقصوا عليه الخبر فخرج مغضباً حتى دخل على عثمان فقال يا عثمان أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وبمخدعك عن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بندي رأى في دينه ولا نفسه وأيم الله انى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك اذهبت والله شرفك وغلبت على امرك

ثم انصرف عنه (١) .

كتاب عثمان الى معاوية :

وبعث عثمان في الحال المسور بن مخرمة الزهري بكتاب الى معاوية
ابن ابي سفيان :

اما بعد : فاني كتبت كتابي هذا واقه ما أحسبه يبلغك وانا حي
وقدر أيتك ورضيت عنك بمكانك واطمانت إلى نفسك ووثقت بامنية
من مناك ولن تنتهي بك الامنية دون الذلة فاحدهما خير لك من
الاخري واذا بلغك كتابي هذا فابعث إلى جيشاً سريعاً برجل معه من
اهل ثقتك في نفسك واجعله حبيب بن مسلمة ثم أمره فليجعل اليومين
يوماً والليلتين ليلة والمزليين منزلاً وان استطعت ان تفاجئني مفاجأة
قد التقت العصا ولم يبق إلا خنوات واعط وامنع وهات وهلم ونعم
ولا يبين ذلك عاجل وامر ناهض والدين مع اول صدمة والسلام (٢)
في امثال ما اثبتاه من كلام أمير المؤمنين دح ، وإنكاره عليه في
مقام بعد مقام واهتزاله امره وامر القوم حتى كان منه ومنهم ما كان
وكيف يكون على دح ، معتوباً لعثمان مع ما وصفناه او راضياً بشيء
من افعاله على ما ذكرناه وكيف لا يكون ساخطاً مع ما بيناه ومشاركاً
للقوم جميعاً في تبديعه على ما قدمناه غير أنه لم يساعدهم على حصره ولا
اعانهم على خلعه ولا شاركهم في قتله لما اسلفناه من القول في عاقبة

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١١ و ص ١١٢) وابن

الاثير (ج ٣ - ص ٦٥) .

(٢) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١١٥) ان معاوية لما وصل

اليه الكتاب تربص واظهر كراهية المخالفة لاصحاب رسول الله (ص)
وقد علم باجتاههم عليه فأبطأ في الامر .

ذلك وعله بها وأحاطته بجميع ما كان منها ولاقاة الحجة على قارفيه
بذمه في بطلان تزويرهم له وأيضاحه عن بهتانهم فيه عليه وايش ذلك
بمناف لرأيه الذي بينا عنه وشرحناه وانما في أحكام قتل عثمان وخاذايه
وحاصريه ما سننبه عنه شافعا لهذا الفصل ان شاء الله .

الآراء في احداث عثمان :

فصل : اعلم عليك الله الخير وجعلك من اهله ووفقك لما يرضيه
انني لم أجد أحداً حقق القول في آراء المنكرين على عثمان ما فعله من
الأحداث ولا صوب مذهبهم في ذلك واكثر من قال منهم قولا فهو
مسند له إلى ظن تضعيف إمارته أو إلى عقد يسبق في ذلك كانوا على
مذاهب وآراء متباينة وأعراض متنافية طائفة منهم تعلقوا عليه باحداث
لم ينكروا مثلها من غيره طمعاً فيه واستقصاء مقاله وقصدوا الى تقلد
الأمر من بعده ونيل الرياسة بخلعها منه وقتله فن هذه الطائفة من
قدمنا من ذكر طلحة والزبير في حصر عثمان وتولى ذلك بنفسه واعوانه
وتغلب على بيت المال في حياته وجعل لا فقال أبوابه مفاتيح في يديه
واجتهاده في سفك دمه بمنع الماء عنه وسعيه في إتلافه بذلك فلما تم
الأمر في قتل الرجل تطاول منهم من تطاول الأمر وظن انه مختار
متابع فبطل زعمه بانصراف الناس الى غيره واختيارهم سواء فلما فاتته ما كان
أمله ورجاه بالسعي الذي ساءه واقتياده لبيعة الامام ، أما طمعاً او خوفاً
قتعقب الرأي ونكث البيعة وخرج عن العهدة وفارق الاسلام ونصب
الحرب له حتى آل أمره في ذلك إلى ما آل ، ومنهم طائفة ارغما عثمان
بمنعه لما المراد منه وردھا عن طلباتها وأبطل رسومها لحققت عليه لذلك
وسعت في خلعه وسفك دمه وظنت ان الأمر يصير من بعده إلى من يتمكن
من قياده ويحبها إلى ملتصقها فلما تم ما سعت فيه فات القوم الذي رجحت

لهم ما رجحت من الامر رجعت عن رأيها إلى تقضه وأظهرت الندم على ما فرط منها وتحيزت إلى الفرقة وصارت مع من أب على الامام القائم مجتهدة في إزالة الأمر عنه ومصيرة إلى من ترجوه معيناً لها ومريداً ومطيعاً لامرهما فعمت الجميع الحثية بما رجحت وكان عاقبة أمرهم خسراً وطائفة انتقضت عاداتها بعثمان والاكرام لها والاعظام بمن تقدمه فصارت بذلك كارهة لامره وساعية في خلعه وطائفة كان المتقدمون يقبلونهم الاعمال واستبدل بهم منها سواهم من الناس، وحرّمهم ما كانوا يصلون اليه من بيت المال فسمعت في ذلك في خلعه وعاونوا من أجله على قتله وطائفة استشنت احدائاً كانت منه ، واعتقدت فيه الضلال بذلك وقصدت في خلعه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وربما كان منهم غالباً فيما استشنته وربما كان منهم مصيباً فيه غير ان الغرض كان منهم فيما صنعوه قصداً انصرة الدين والاسلام وهذه الطائفة هي التي كانت الاصل في الانكار عليه وبفعلها تسبب الاسباب في خلعه وقتله وطائفة منهم كانت تعتقد الحق في أصل الامامة وطريقها وترى ان السالك سبيل عثمان في نيل المراد مشاركاً فيما أنكروه منه ولم يكن الذين حملهم على معونة حاصريه وقاتليه بمن عددناه بشيء من اغراضهم على ما شرحناه وفصلناه بل كان غرضهم في ذلك بما لو تم لهم ما صنعوه فيمن تقدم اسارعوا اليه لكنه لم يتفق لهم في المتقدم واففق لهم في المتأخر واما خاذلوه فجمهورهم تنقسم اغراضهم في ذلك إلى اغراض من سميناه من خذله أو الشك في حاله وأحوال حاصريه وقاتليه ، فلذلك لم يجوزوا المعونة لهم عليه ولا تفردوا بالنصرة له منهم .

وأما أمير المؤمنين (ع) ، فلم يكن تفرد عن نصرته وترك النهوض بالدفاع عنه خذلاً لأنه رأى يستصوبه في خلعه وقتله بل كان رأيه عليه السلام تابعاً في ذلك لعقيدته فيمن تقدم عليه من الامراء من

كافة القوم وكان عالماً بعواقب الامور غير شاك في المصالح يرى الموادعة
والمهادنة والرقود والمسالمة إلى انقضاء المدة التي يعلم صواب التدبير فيها
بذلك فامتنع «ع» من التحمل للدفاع عن حصره وقتله بمثل ما امتنع من
دفاع المتقدمين عليه في الأمر وذلك لشيتين معروفين احدهما عدم
الانصار له على مراده في ذلك والثاني لو خيم العاقبة في المباينة للجمهور
ولما تقتضى الحرب وتوقع الفتنة وقد دفع عليه السلام عنه بالقول في
أحوال اقتضت المصلحة دفاعه عنه وأمسك عن الانكار لما كان القوم
عليه والرأى في حصره وخلعه وقتله لما عرف من جميل العاقبة في ذلك
ولولم يكن «ع» مستودعا علم ذلك كما تذهب إليه الشيعة فيه لكانت
مشاهدته للحال ودلائلها تكفيه وتقنعه فيما صنع وراده في الاحوال
والاختلاف بين ذو العقول فان الشاهد يرى مالا يراه الغائب فعمل
عليه السلام في اختلاف الاقوال منه والافعال على عله بعواقب
الامور وشاهد الحال فلذلك التبس الامر على الجمهور في رأيه «ع»
في عثمان وقاتليه فنسبه بعض الناس إلى الرضا بما صنعه القوم بعثمان
ونسبه آخرون إلى المواطاة عليه والتأليب ونسبه آخرون الى الهوى
في ذلك والتصوير فما كان يجب عليه اعتنان ونسبه آخرون الى الكراهة
لما أجرى القوم في حصر عثمان فادعوا أنه كان له موالياً وأعماله
راضياً ولكن العجز عن نصرته أقعده عنها ثم أكد الشبهة عليهم فيما
ذكرناه من اختلاف الاعتقاد في ذلك ما قدمنا في ذكره من أفعاله «ع»
المتخلفة مع عثمان تارة ينكر عليه ما أنكره المسلمون وتارة يدفع عنه
وينهى عن قتله القاصدين إلى ذلك من اهل الامصار ، وتارة ينكر
على من منعه الماء ويغلظ لذلك ويفض من خلافه فيه وتارة مجلس
في بيته وهو يرى الناس بهرعون إلى قتله وترك الاجتهاد في طلب دمه
فلا يكون منه وعظ في ذلك ولا تخويف بالله عز وجل في ذلك وهو

في ظاهر الحال مطاع معظم مسموع الامر متبع في الرأي. هذا مع
هجره عثمان أحيانا ومنازعته له حيناً وصلحه أحيانا ومسالته له حيناً
وتعليق القول عليه أحيانا وسميه في الصلح بينه وبين الناس زماناً
وترك ذلك إلى الكف عنه زماناً هذا مع ان المحفوظ من قوله فيه بعد
قتله بما تختلف ظواهره وتشبه معانيه .

كقوله دع ، : وقتا والله ما قتلت عثمان ولا ما لثت في قتله .

وقوله دع ، حيناً : الله قتل عثمان .

وقوله دع ، وقتا آخر : لو لم يدخل الجنة إلا قاتل عثمان لما
دخلها ولو لم يدخل النار إلا قاتل عثمان لما دخلها .

وقوله دع ، وقتا آخر : والله ما غاضني قتل عثمان ولا سرفني ولا
أحببت ذلك ولا كرهته .

وقوله دع ، حيناً آخر : اكبت الله قتلة عثمان .

وقوله (ع) عند مطالبة القوم بقتلة عثمان : من قتل عثمان فليقيم
فقام أربعة آلاف من الناس المتحيزين اليه فقال هؤلاء قتلة عثمان
وكون قتلة عثمان خاصة أنصاره وأعوانه واصحابه وإظهاره الولاية
لهم والتعظيم والمودة والاكرام مع تقريبهم اليه وإتقانه لهم .

وقوله دع ، : اللهم اقتل قتلة عثمان في بر الارض وبحرها في
أمثال ما ذكرناه ولكن الافعال والاقوال التي ذكرناها منه متلائمة غير
مختلفة في معناها إذا دحض بعضها بعضاً وحمل بعضها على بعض في
الرأي الذي تقتضيه الاحوال ويوجهه النظر في العلم بالعواقب
وتمام المصالح .

رأي الجاحظ في علي :

فصل : قد زعم الجاحظ ان أمير المؤمنين دع ، كان ممتحناً بعد

قتل عثمان بمحن عظيمة وذلك ان جميع من نصب له الحرب جعل الحجة عليه في دعواه عليه قتل عثمان ، قال وظاهر الحال يوم ذلك عليه لانه كان مبايئا له في الاحوال والاوقات وهاجراً له في زمان وايام وكان المنكرون على عثمان من اهل مصر والعراق يلبأون اليه في السفارة بينه وبين عثمان وكان دع ، فيهم مسموع القول مطاعا معظما مأمونا ثم قعد عن نصرته وتقلد الامر من بعده واستنصر على محاربه بقتله فلم يشك القوم انه قاتله قال وواحدة من هذه الخصال تريب فكيف بجميعها ثم قال : وقد علم الناس قد يكون في هذا المصير الذي يتولاه أميراً ووزيراً وعاملاً من يوصل مثل عمله ويصلح لمثل رتبته ويمد عنقه الى مثل ولايته ولا يتفق له من مراده من ذلك ويقصده الناظر بما يمنعه من صرفه والتدبير في عزله فيلزم بيته ويقصر مراعاته خوفاً من بيعته في عزله وتولى مقامه فيموت حتف أئفه فلا يشك الناس انه دس اليه من قتله ولو قتل ذلك الانسان ذو غر اغرض لضره او اطلب ماله اقطعوا ان أمير البلدة وضعه على ذلك ودبر الامر فيه عليه وقد يجلس السلطان بعض الرعية لشيء يجده في نفسه عليه فيموت في الحبس حتف ائفه فيحلف خلق من الناس بالله انه تقدم فخفته ولا يشك الجمهور انه واطأ على دمه ولو اقسم السلطان بالله اقساماً أكدها على البرائة من دمه لجعلوا ذلك شبهة فيما ادعوه عليه من قتله ، ثم قال هذا الرجل اعنى الجاحظ ان اقوال علي في عثمان انما اختلفت وتناقضت - بزعمه - لانه كان محتاجاً الى التبرى من دمه لكف اهل البصرة واهل الشام عنه بذلك وكان محتاجاً الى إضافة دم عثمان اليه لاستصلاح رعيته وارتباطهم لنصرته وايس الامر كما زعمه الجاحظ ولا القصد فيه كما توهمها وانما حمل الجاحظ حال أمير المؤمنين دع ، في ما زعمه على احوال اهل الدنيا ومن لا دين له ولا يقين ولا تقوى ومن يصنع ما يصنع

ويقول ما يقول لعامة الدنيا ولا يبالي بعاقبة ذلك في الآخرة بل كانت
أفعال عليّ دع ، وأقواله التي اثبتناها في ما تقدم على الاغراض التي أنبأنا
عنها وأوضحنا عن اتفاقها ووافقها للدين والنظر في مصالح المسلمين
ومن تأمل ما ذكرناه وفكر فيه بقلب سليم وجده على ما وصفناه .

رأي العثمانية :

فصل : وقد زعمت العثمانية ان الذي يدل على مشاركة عليّ دع ،
قتلة عثمان أشياء قد ثبتت بالاخبار وتظاهرت بها الآثار منها انه تولى
الصلوة بالناس يوم النحر وعثمان محصور ولم يستأذنه في ذلك وتغلب عليه
فيه وهذا مما جعل الشافعي حجة في جواز صحة صلوة المتغلب بالناس
يوم الجمعة والعيدين ورد به على أهل العراق وإنكارهم ذلك وقولهم
لا تصح الصلوة في الجمعة والعيدين خلف المتغلب فحكى الربيع والمزني
عن الشافعي انه قال في هذه المسألة لا بأس بصلوة الجمعة والعيدين خلف
الأمرفان علياً دع ، صلى بالناس وعثمان محصور وقد روى ابو حذيفة
القرشي عن محمد بن اسحاق وغيره ان قوما صاروا إلى عثمان وهو
محصور وقالوا ما ترى إلى هؤلاء الذين يصلون بالقوم في يوم الجمعة
بأناس وانت على هذا الحال لم تأمرهم بذلك وقد كان طلحة بن عبيد الله
صلى بهم يوم الجمعة في حصار عثمان فحكوا عن عثمان انه قال اذا أحسنوا
فاتبعوهم وان أساؤا فاجتنبوهم الصلوة حسنة فصلوا إذا صلوا ، فزعمت
العثمانية ان علياً كان متهما بدم عثمان لصلوته بالناس يوم النحر عن غير
إذنه وادعى الشافعي انه كان متغلباً بذلك ولم يتعلق احد من قرف
طلحة بدم عثمان لصلوته بالناس يوم الجمعة وعثمان محصور ولا نسبه
إلى التغلب بذلك وبرؤه من دمه وهو الذي تولى حصره حتى قتله
وكانت شبهتهم في براءة طلحة خلاف لأمير المؤمنين دع ، والتمويه في

حربه بالتظاهر اطلب دمه وعقول هؤلاء القوم عقول ضعيفة واحلامهم
احلام سخيفة فلذلك ينقادون من الشبهة إلى ما ذكرناه .

ومما تعلق القوم به أيضاً في قرف عليّ «ع» ، بدم عثمان بعد الذي
ذكرناه واعدنا مقامه بالمدينة منذ حصر وقول اسامة بن زيد مشيراً
عليه بالخروج عنها على ما رواه حذيفة القرشي عن رجله قال قال اسامة
ابن زيد اعلى لانك والله يا أبا الحسن أعز علي من سمعي وبصري
فأطعني واخرج إلى أرضك ينبع فان قتل عثمان وأنت شاهد طلبك
الناس بدمه وان لم تشهد لم تعدل بك الناس أحداً ، فقال ابن عباس
لا اسامة يا أبا محمد أطلب أثراً بعد عين أبعد ثلاثة من قريش ؛ وروى
يوسف بن دينار عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن أبي ليلى قال سألتني
عبد الملك بن مروان حين قدم الكوفة عن قتل عثمان فأخبرته فقال
أين كان علي يومئذ فقلت بالمقاعد يأمر فيطاع ، وينهى فيطاع ولقد
رأيتُه عند أحجار الزيت محتبياً بسيفه ومناد ينادي آمن الله هذا الناس
كلهم إلا الشقي (نعثلاً) فقال عبد الملك هل سمعت علياً يقول شيئاً ؟
فقال لا ، وروى النخعي عن علقمة بن قيس قال أرسلت ام حبيبة بنت
أبي سفيان إلى علي وهو قاعد في المسجد : ان آمن لي خاصتي ومن
في الدار من أهلي ، فقال الناس كلهم آمنون إلا الشقي ابن أبي العاص
وروى خالد الحذا عن رجل من بني شيبان قال رأيت علياً يوم قتل
عثمان يخطب الناس على المنبر وعليه السلاح فجعلت العثمانيه هذه الاشياء
شبهها لها فيما قذفت به أمير المؤمنين «ع» من دم عثمان واحتجت ايضاً
في ذلك بما صنعه علي «ع» ، عند قتل عثمان من أخذ نجائبه وأدراعه
وأورد في ذلك قول الوايد بن عقبه يخاطب بني هاشم ويعاتبهم عند
قتل عثمان (١) :

(١) ذكر ابو الفرج في الاغانى (ج ٤ - ص ١٧٤) في -

بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
 بني هاشم كيف الهوادة بيننا وعند علي درعه ونجائبه
 بني هاشم كيف التودد بيننا وتبر ابن اروي فيكم وجوانبه
 بني هاشم افي وما كان منكم كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
 هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
 فان لم تكونوا قاتليه فانه سواء علينا مسلوه وسالبه
 واحتجوا أيضا بقول حسان بن ثابت الانصاري في قتل عثمان :
 ضحوا بأشمط عنوان السجود له يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
 يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا
 لتسمعن وشيكا في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان
 وله ايضا :

من عذيري من الزبير ومن طلحة هاجا أمراً له اعصار
 حين قالوا للناس دونكم العا ج فشبث وسط المدينة نار
 واصطلاها محمد بن أبي بكر جهاراً وخلفه عمار
 وعلي في بيته يسأل الثا س رويداً وعنده الاخبار
 باسطا كفه يريد ذراعيه وفيه سكينه ووقار
 خذلته الانصار إذ حضر المو ت وكانت تعاند الانصار
 وكذلك اليهود ضلكت عن الدير ن بما زينت لها الاخبار
 وامثال ما ذكرناه والجواب عن جميعه سهل قريب والمنة لله

الدفاع عن علي :

فصل : فاما الجواب عما تعلقوا به من قذف علي « دع » بدم عثمان
 من حيث تولى الصلوة باناس يوم النحر وعثمان محصور فهو مبنى على
 — الرواية عن محمد بن حبيب ابياتا تسعة .

مذهبين : أحدهما مذهب الشيعة القائلين بالنصر على علي القاطعين على
 إمامته بلا فصل ، وهو انه إذا كان الامام المفترض الطاعة فله ان يتولى
 كلها يتمكن من توليه بما اقتضته إمامته ، والامامة تقتضي إمامة
 المسلمين في الصلاة والتقدم عليهم في الجهاد ، وإقامة الحدود والاحكام
 وليس متى تولى الامام شيئاً مما له توليته عند الامكان دل ذلك على انه
 ساع في دم انسان ومريد لقتله على كل حال والجواب على المذهب الآخر
 وهو القول بالاختيار ان الامام إذا غير وبدل وأحدث ما يفسخ به
 عقده فلا فاضل الناس أن يتولى أمر الصلاة ، والامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر إلى أن يعقد الامام من بعده وعلى مذهب القوم الذين رأوا
 إقامة الامام بالاختيار ان في خلع عثمان بأحدائه قد زال فرض طاعته
 بذلك وكان للافضل منهم أن يقدموا في الصلاة بهم من يرون إلى أن
 يتم الأمر في العقد لمن يستحق ذلك ؛ ولو كان هناك من يعتقد ان
 إمامة عثمان لم تزل بأحدائه ، إلا أنه ممنوع من الصلاة بالناس لكان
 للافضل أن يتولوا الصلاة نيابة عنه في تلك الحال فعلى كل المذهبين
 اللذين ذكرناهما لا يجب بصلاة علي يوم النحر بالناس وعثمان محصور
 أن يقضى عليه بانه كان مريداً لقتله ، فضلا أن يكون مشاركا فيه
 وقد روى الخصم عن عثمان لما اوذن بصلاة طلحة بالناس ، واستؤذن
 في الصلاة معه ، قال لهم إذا أحسنوا فاتبعوهم وإذا أساؤا فاجتنبوهم
 لحكم اصلاتهم بالحسن وان كان محصوراً لم يأذن فيها لهم ولم يولهم ذلك
 إلا انه اباحه ووصف المصلين بانهم في ذلك محسنون فان تعلق المخالف
 على علي عليه السلام في قتل عثمان بصلاته بالناس وهو محصور لولا انه
 تعنت بذلك عادل عن طريق الانصاف واما تعلقهم بقعود أمير المؤمنين
 عليه السلام بالمدينة حتى قتل عثمان ، وتركه الخروج منها ومباعدة القوم
 فيما صنعوه وما أشار عليه اسامة من الخروج وتحذيره في قعوده بمطالبة

القوم له بدم عثمان فليس أيضاً ما ثبتت به الحجة على ما ادعوه من قبل انه لا يمتنع أن يكون مقامه بالمدينة في تلك الحال لتدبير الدفاع عنه ولو كان خرج عنها لتعجل من قتل القوم له ما تأخر ولم يكن أيضاً يؤمن ان يتعدى القتل منه إلا غيرهِ وتحدث فتنة لا بتلاني صلاحها لجلس «ع» ، لذلك ولم يجلس لمعونة على قتل عثمان ، بل لو خرج من المدينة في حال حصر القوم الرجل اسكانت التهمة اليه في قتله اسرع مع ما ذكرناه من المحذور ، واما قتلهم جواب ابن عباس لاسامة وقوله اُبعد ثلاثة من قريش تطلب اثراً بعد عين ، فليس فيه أيضاً دليل على إثارة ابن عباس لامير المؤمنين «ع» ، قتل الرجل ولا فيه حجة على انها شركا في ذلك من تولاه وانما يدل على إثارة ابن عباس ان يكون الامر فيهم بعد عثمان ، ولسنا ننكر أن يكون علياً كان مؤثراً للتمكن من الامر بعد عثمان ليقم بذلك حدود الله وينفذ به أحكامه ، وينظر في مصالح المسلمين ، ومن أثر ذلك من أهله فهو محمود وهذا يستمر على مذهب الشيعة الامامية والزيدية والجارودية والقائلين بالنص عليه وعلى مذهب اصحاب الاختيار معاً .

فاما اصحاب النص فيقولون انه الامام المفترض الطاعة على الانام وكان يجب أن يجتهد بالتوصل بما الأئمة إقامته وتولي مالههم توليته وان لا يفرط في ذلك ولا يهمله وإذا كان مقامه لما ذكرناه كان به محموداً ولم يجوز صرف الغرض فيه إلى ما ادعاه الخصوم من خلافه مع انه لم ينكر انما كان مقامه بالمدينة لدفاع ما كان يحذر من إمامة من لا يستحق الامر بعد قتل عثمان فأقام لدفاعهم عن ذلك لوجوده بينهم وعلمه برأى الناس في تقديمه على غيره ولو كان نائباً عن المدينة لقلب على الأمر من يعسر على الأمة صرفه عنه ممن لا يؤمن على الدين وهو مستمر على اصول اصحاب أهل الاختيار كما استمر على اصول

أصحاب النصر وليس فيه دليل على ما يتعلق به القوم من قذفه بقتل عثمان حسبا بيناه وشرحناه .

وأما قبض أمير المؤمنين «ع» ، عند قتل عثمان النجائب والادراع (١) التي قبضها بما كان منسوباً إلى عثمان والتعلق بشعر الوليد بن عقبة على ما أثبتناه عنه فيما سلف وطرناه فليس ايضاً بحجة لقاذف علي «ع» ، بقتل عثمان وذلك انه لو لم يقبض ذلك علي (ع) لاسرع إلى قبضه ونهبه وتملكه من ليس له ذلك بحق من الرعيّة واحتاط بقبضه واحرازه لاربابه وقد كان هو الامام باتفاق الجمهور بعد عثمان وللإمام ان يحتاط لاموال المسلمين وتركات من قضى بينهم ايصل الى مستحقه دون غيرهم وليس إذا التمس الوليد بن عقبة مالا يستحق فنع منه كان ذلك لغلول المانع له بما التمسه ولا لتغلبه عليه ولا قول الوليد ايضاً مسموع ولا شهادته مقبولة مع نزول القرآن بتفسيره ، قال تبارك وتعالى اسمه (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقد روى اهل التفسير ان هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين أنفذه النبي (ص) الى قوم يقبض منهم الصدقات فعاد مدعياً عليهم انهم منعه من ذلك وخرجوا إلى حربه فأعد رسول الله جماعة لحربهم فورد وورد بتكذيب الوليد وانهم على الاسلام والطاعة فأنزل الله تعالى ما اثبتناه فيه (٢) .

وجاء في الحديث المشهور ان الوليد قال لامير المؤمنين في محاوره

(١) روى في الاغانى (ج ٤ - ص ١٨٥) ان أمير المؤمنين «ع» ، أخذ من دار عثمان ابل الصدقة والسلاح ، أقول وليس لاحد رد عليه بعد ان تمت البيعة فكان الخليفة المطلق يتصرف بما يراه من الصلاح .

(٢) رواه البغوى في تفسيره بهامش تفسير الخازن (ج ٦ - ص

١٨٥ والالوسى في روح المعاني (ج ٢٦ - ص ١٤٤) .

جرت بينها أنا أبسط منك لساناً وأحد سنناً فقال عليه السلام اسكت يا فاسق فأنزل الله تعالى هذه الآية : (أفن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) (١) وبعد فلو كانت الادراع والنجائب التي قبضها أمير المؤمنين «ع» ، بعد قتل عثمان ملكاً له ، لكان اولاده وأزواجه أحق بها من الوايد وكان ارتباط علي «ع» ، ليوصلها الى ورتته أولى من تسليمها للوايد وأمثاله من بني امية الذين ليس لهم من تركه عثمان نصيب على حال فكيف وقد ذكر الناس في هذه الادراع والنجائب انها من النبيء الذي يستحقه المسلمون فغلب عليها عثمان واصطفاها لنفسه فلما بايع الناس علياً أنزعها «ع» ، من موضعها ليجعلها في مستحقها فما في ذلك من تهمة بقتل عثمان لولا العمى والخذلان . واما شعر حسان ابن ثابت وما تضمنه من التعريض على أمير المؤمنين «ع» :

وليت شعري فليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا
ليسمعن وشيكا في ديارهم الله اكبر يا ثارات عثمان
فهو امرى قذف بدم عثمان فلم يكن قوله حجة انصغي اليه ولا
كان عدلا فتقبل شهادته وقد نص التنزيل على رد شهادته فقال الله
عزل وجل : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا منهم شهادة أبداً اولئك هم الفاسقون)
ولا خلاف ان حسان كان بمن قذف عائشة وجلده النبي (ص)
على قذفه وإذا كان القرآن حاصراً على المسلمين قبول شهادة الفاسقين
فوجب رد شهادة حسان وان لا يقبل منه على حال مع انه لا خلاف بين
أهل العراق من ان القاذف مردود الشهادة وان تاب فعلى قول

(١) انظر الدر المشور للسيوطي (ج ٤ - ص ١٧٨) وتفسير
الخانز (ج ٣ - ص ٢٧٠) والاغاني (ج ٤ - ص ١٨٥) وابن أبي
الحديد (ج ٢ - ص ١٠٣) .

هذه الفرقة شهادة حسان مردودة على كل حال وأما من ذهب إلى أن القاذف تقبل شهادته عند التوبة فيبينهم في ذلك اختلاف فمنهم من يقول انه يشترط في توبته أن يقف في الموضع الذي قذف فيه فيكذب نفسه ويظهر التوبة من جرمه ولم يدع أحد أن حسان كذب نفسه ظاهراً ورجع عن قذفه محتمراً فلا توبة له على قول هذا الفريق واما الفريق الآخر فانهم قبلوا شهادة القاذف بعد توبته ولم يشترط في توبته ما ذكرناه فليس معهم دلائل على أنه تاب والظاهر منه القذف الذي يستحق به التفسير ورد الشهادة في دين الاسلام فلا تعلق في قول حسان في قذف أمير المؤمنين «ع» بدم عثمان على كل حال على أن حسان مذموم مردود القول باتفاق أهل الاسلام وعلى كل مذهب لاهل القبلة وذلك انه قال في يوم القدير بمحضر من النبي (ص) في أمير المؤمنين ما قال وشهد له بالامامة والنص فيها عليه من الله تعالى فردته المعتزلة بذلك وأنكرته الحشوية ودفعته الخوارج وكذبه جميع من سميناه ولم يحتج فيه إلا على مذهب الشيعة الامامية والجارودية دون من سواهما من فرق الامة على ما ذكرناه وقوله الذي قدمنا ذكره وأشرنا اليه على الاجمال هو هذا :

يناديهم يوم القدير نبيهم
يقول فمن مولاكم ووايكم
آهلك مولانا وانت واينا
فقال له قم يا علي فانتني
فمن كنت مولاه فانت وايه
هناك دعا اللهم وال وايه
بخم وأسمع بالنبي مناديا
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
ومالك فينا في المقالة عاصيا
رضيتك من بعدى إماما وهاديا
فكونوا له انصار صدق مواليا
وكن للذي عادى علياً معاديا (١)

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ١٧ ط نجف وتذكرة

الخواص ص ٢٠ ومناقب الخوارزمي ص ٨٠ .

وهذا القول مقبول عند الشيعة لانه قاله بمحض من رسول الله
ومشده فلم ينكر عليه فصارت الحجة في صوابه شهادة رسول الله
بحقه والناسبة بأجمعها ترد عليه وتكذبه فيه ثم تقبل قوله في القذف
الباطل وحال الفتنة الظاهرة ولا شاهد لهم على ما ادعوه ثم هو في وصفه
اعثمان بأنه ظلم فيما صنع به وانه كان بريئاً عند الله ومن أهل التقى
والامان مردود الشهادة عند جميع حاصري عمان وقائليه من المهاجرين
والأنصار والتابعين باحسان وعند كافة الشيعة والمعتزلة والخوارج
حين قال :

ضحوا بأشمت عنوان السجود له يقطع الليل تسليحاً وقرآناً
إذ كان حسان مكذبا في قوله على مذهب ما ذكرناه من اهل القبلة
ومردود الشهادة بما سلف له من قذف المحصنات لم يعتمد في الحجة
بقوله المفترى به ومن برهان شمله الخذلان ثم هو في قول له آخر يكذب
عند الشيعة بأجمعها وجهور المعتزلة والمرجئة والحشوية القائلين بأن
أمير المؤمنين «ع» كان أفضل الناس بعد النبي (ص) وأبي على الجبائي
وابنه ورهطهما ومن شركهما في الوقف وترك القطع في التفضيل لأحد
من الخلفاء الأربعة على غيره وذلك في مرثيته لأبي بكر :

إذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذا ذكر اخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعد لها بعد النبي وأوقاها بما جملا
الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس من صدق الرسلا
وهذا يكشف لك عن سقوط من تعلق في شيء من الدين بقول
حسان من ابطال من جعل قوله حجة على كل حال وتبين انه كان في ما يقول
نظما وترأ على مذهب الشعراء الذين لا يتقون النبيات ولا يتورعون
عن الخطيئات ولا يباليون بارتكاب الزلات ويقدمون على الأباطيل في
ارتكاب الموبقات من وصفهم الله تعالى في كتابه فقال (والشعراء

يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) وقد كان حسان بن يشكر نعمة عثمان عليه واحسانه اليه ولم يكن ممن يرجع إلى تقوى فيحجزه من الباطل فيما ادعاه وان امرأ يعتمد على قول حسان وأمثاله في القدح على أمير المؤمنين ويصوب استنفار الناس عليه واغراءهم به لخفيف الميزان عند الله بين الخسران وبالله المستعان

فتنة الجمل :

باب : الخبر عند ابتداء فتنة أصحاب البصرة في تديرها والاجتماع منهم على العمل عليها وما جاءت به الاخبار المتظافرة في ذلك قد اسلفنا القول في اسباب هذه الفتنة والدواعي اليها والاعراض التي كانت فيها وذكرنا من براهين الحق على ما اصلناه من المذهب الصحيح في ذلك وابطال شبهات الضالين فيه ونحن نبدأ بشرح القصة في ابتداء امر اصحاب الفتنة ، وما عملوا عليه فيها وتجدد من رأيهم في تديرها حسبما جاءت به الاخبار المستفيضة بين العلماء بالسير والحوادث المشهورة .

فصل : لما تم امر البيعة لامير المؤمنين علي بن أبي طالب وع ، واتفق على طاعته كافة بنى هاشم ووجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وأيس طلحة والزبير مما كانا يرجوان به من قتل عثمان بن عفان من البيعة لاحدهما بالامامة وتحققت عائشة بنت ابي بكر تمام الامر لعلي بن ابي طالب أمير المؤمنين واجتماع الناس عليه وعدولهم عن طلحة والزبير وعلت انه لا مقام لها بالمدينة بعد خيبتها مما املاه من الامر وعرف عمال عثمان ان أمير المؤمنين لا يقربهم على ولاياتهم وانهم ان ثبتوا في أماكنهم او صاروا اليه طالبهم الخروج بما في أيديهم من اموال الله عز وجل وحذروا من عقابه على تورطهم في خيانة المسلمين وتكبرهم على المؤمنين واستحقاقهم بحقوق المتقين واجتبااتهم الفجرة

الفاسقين عمل كل فريق منهم على التحرز منه واحتمال في الكيد له
 واجتهد في تفريق الناس عنه فسار القوم من كل مكان إلى مكة استعادة
 بها وسكنوا إلى ذلك المكان وعائشة بها وطمعوا في تمام كيدهم لأمير
 المؤمنين للحزب إليها والتويبه على الناس بها وكانت عائشة يقدرها كثير
 من الناس لمكانها من النبي (ص) وانها من امهات المؤمنين وابنة أبي
 بكر المعظم عند الجمهور وان كل عدو لعلي بن ابي طالب «ع»
 يلتجئ إليها متى اظهرت المباينة له ودعت إلى حربه وافساد أمره فلما
 تواترت الاخبار عليها وهي بمكة وتحبها عن عثمان اقتل المسلمين له
 قبل أن تعرف ما كان من امر المسلمين بعده عمدت على التوجه إلى المدينة
 راجية بتمام الامر بعد عثمان لطلحة والزبير زوج اختها فلما صارت
 ببعض الطريق لقيت الناعي ابيان فاستبشرت بنعيه له وما كان من امر
 الناس في اجتماعهم على قتله ثم استخبرت عن الحال بعده فأخبرت ان
 البيعة تمت لأمير المؤمنين بعده وان المهاجرين والتابعين لهم باحسان
 وكافة اهل الايمان اجتمعوا على تقديمه والرضاء به فسامها ذلك
 وأحزنها وأظهرت الندم على ما كان منها في التأيب على عثمان والكرامة
 لتمام الامر لعلي بن ابي طالب فأسرعت راجعة إلى مكة فابتدأت
 بالحجر فسترت فيه ونادى مناديا باجتماع الناس إليها فلما اجتمعوا
 تكلمت من وراء الستردعوا إلى نصرة عثمان وتنعاه إلى الناس وتبكيه
 ونشهد انه قتل مظلوماً وجاءها عبد الله بن الحضرمي عامل عثمان على
 مكة فقال قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره فقالت
 سبحان الله أنا طلبت قتله انما كنت عاتبة عليه من شيء ارضاني فيه (١)

(١) في تاريخ اليعقوبي (ج ٢ - ص ١٥٢) ط النجف كان بين
 عثمان وعائشة منافرة وذلك انه نقصها بما كان يعطيها عمر بن الخطاب
 وصيرها اسوة غيرها من نساء رسول الله وان عثمان ليخطب في -

قتل عثمان والله من عثمان بن عفان خيراً منه وارضى عند الله وعند المسلمين
والله ما زال قاتله - تعني أمير المؤمنين «ع» - مؤخراً منذ بعث محمد (ص)
وبعد أن توفي عدل عنه الناس الى الخيرة من أصحاب النبي (ص)
ولا يرونه أهلاً للامر ولكنه رجل يحب الامرة والله لا تجتمع عليه
ولا على أحد من ولده الى قيام الساعة .

ثم قالت : معاشر المسلمين ان عثمان قتل مظلوماً ولقد قتل عثمان
من اصبح عثمان خيراً منه وجعلت تحرض الناس على خلاف أمير المؤمنين
وتحشهم على نقض عهده ولحق الى مكة جماعة من منافقي قريش وصار
اليها عمال عثمان الذين هربوا من أمير المؤمنين ولحق بها عبد الله بن
عمر بن الخطاب وأخوه عبيد الله ومروان بن الحكم بن ابى العاص
وأولاد عثمان وعبيده وخاصته من بنى امية وانحازوا اليها وجعلوها
الملجأ لهم في ما دبروه من كيد أمير المؤمنين «ع» وجعل كل من ينحاز
عن أمير المؤمنين حسداً له وبغضاً أو شائتاً له أو خوفاً من استيفاء الحقوق
عليه أو لاثارة قتته أو ادغال في الملة ينضم اليها وهي على حالتها وستتها
تنعى اليهم عثمان وتبره من قاتله وتشهد له بالعدم والاحسان وتخبر انه
قتل مظلوماً وتحث الناس على فراق أمير المؤمنين والاجتماع على خلعه
ولما عرف طلحة والزبير حالها وحال القوم عمداً على اللحاق بها
والتعاضد على شقاق أمير المؤمنين فاستأذناه في العمرة على ما قدمناه
وذكرنا الخبر في معناه وشرحناه وسارا إلى مكة خالعين الطاعة ومفارقين
للجماعة فلما ورد اليهما فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما وخالصتهما طاقا
في البيت طواف العمرة وسعياً بين الصفا والمروة وبعثنا إلى عائشة عبد
— بعض الايام إذ دلت عائشة قيصر رسول الله (ص) ونادت يا معشر
المسلمين هذا جلباب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته فقال (رب
اصرا عني كيدهن ان كيدهن عظيم) .

الله بن الزبير وقال له امض إلى خالتك فاهد إليها السلام منا^١ وقل لها ان طلحة والزبير يقرءك السلام ويقولان لك ان أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً وان علي بن ابي طالب ابتر الناس أمرهم ووعلبهم عليه بالسهاء الذين تولوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الامر به فان رأيت أن تسيرى معنا هل الله يرتق بك فتق هذه الامة ويشعب بك صدعهم ويلم بك شعثهم ويصلح بك أمورهم فأناها عبد الله فبلغها ما ارسله به فاظهرت الامتناع من اجابتها إلى الخروج عن مكة .

وقالت يا بنى لم أمر بالخروج الكنى رجعت إلى مكة لا علم الناس ما فعل بعثمان امامهم وانه اعطاهم التوبة فقتلوه تقياً تقياً برياً فيرون في ذلك رأيهم ويشيرون على من ابقرهم امرهم وغضبهم امرهم من غير مشورة من المسلمين ولا مؤامرة بتكبر وتجبر ويظن ان الناس يرون له حقاً كما كانوا يرونه انفيره هيهات هيهات يظن ابن ابي طالب يكون في هذا الامر كما بن ابي قحافة لا والله ومن في الناس مثل ابن ابي قحافة تخضع اليه الرقاب ويلقى اليه المنقاد وليها والله ابن ابي قحافة وخرج منها كما دخل ثم وليها اخو بنى عدى فسلك طريقه ثم مضيا فولياها ابن عفان فركبها رجل له سابقة ومصاهرة لرسول الله وأفعال مع النبي المذكورة لا يعمل أحد من الصحابة مثلما عمله في ذات الله وكان محباً لقومه قال بعض الميل فاستبناه قتاب ثم قتل فيحق للمسلمين ان يطلبوا بدمه فقال لها عبد الله فاذا كان هذا قولك في علي يا امه ورأيك في قاتلي عثمان فما الذى يقعدك عن المساعدة على جهاد ابن ابي طالب وقد حضرك من المسلمين من فيه غنى وكفاية فيما تريدن فقالت يا بنى افكر فياقلت وترجع إلى فرجع عبد الله إلى طلحة والزبير بالخبر .

فقالا قد أجابت أمنا والحمد لله إلى ما نريد ثم قالوا له باكرها في غد فذكرها امر المسلمين واعلمها إنا قاصدان إليها لتجدد بها عهداً ونحکم

معها عقداً فباكرها عبد الله وأعاد عليها بعض ما أسلفه من القول اليها فأجابته إلى الخروج ونادى منادياً ان ام المؤمنين تريد ان تخرج تطلب بدم عثمان فمن كان يريد ان يخرج فليتهيأ للخروج معها وصار اليها طلحة فلما أبصرت به قالت يا أبا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً فقال يا امه ما مثلي إلا كما قال الاول :

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما صنعت يداه
وجاءها الزبير فسلم عليها فقالت له يا أبا عبد الله اشتركت في دم
عثمان ثم بايعت اهل وأنت والله أحق بالامر منه فقال لها الزبير أما
ما صنعت مع عثمان فقد ندمت منه وهربت إلى ربي من ذنبي من ذلك
ولن أترك الطلب بدم عثمان والله ما بايعت علياً إلا مكرهاً التفت به
السفهاء من أهل مصر والعراق واستلوا سيوفهم وأخافوا الناس حتى بايعوه
وصار إلى مكة عبد الله ابن أبي ربيعة وكان عامل عثمان على صنعاء
فدخلها وقد انكسر نخذه وكان سبب ذلك ما رواه الواقدي عن رجاله انه
لما اتصل بآبر بن ربيعة حصر الناس اعياناً أقبل سريعاً انصرته فلقية
صفوان بن أمية وهو على فرس يجرى وعبد الله بن أبي ربيعة على بغل
فدنا منها الفرس فطاحت آبر بن ربيعة وكسرت نخذه وعرف
ان الناس قد قتلوا عثمان فصار إلى مكة بعد الظهر فوجد عائشة يومئذ
بها تدعو إلى الخروج لطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في
المسجد ثم حمل ووضع عليه وقال للناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى
جهازه فجهز ناساً كثيراً ولم يستطع الخروج معهم لما كان برجله .

وروى عبد الله بن السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على
سرير في المسجد يحرض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل
من جاء وكان يعلى بن منبه التيمي حليف بني نوفل عاملاً لعثمان على
الجند فوا في الحج ذلك العام فلما بلغه قول ابن أبي ربيعة خرج من داره

وقال أيها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلى جهازه وكان قد صحب
ابن أبي ربيعة مالا جزيلا فأنفقه في جهاز الناس إلى البصرة .

وروى الواقدي قال حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه عن جده قال
سمعت يعلى بن منبه يقول وهو مشتمل بصرة فيها عشرة آلاف دينار
وهي عين مالي أقوى من طلب بدم عثمان فجعل يعطي الناس واشترى
أربعمائة بعير وأناخها بالبطحاء وحمل عليها الرجال (١) .

ولما اتصل بأمير المؤمنين (ع) خبر ابن أبي ربيعة وابن منبه وما
بذلاه من المال في شقائه والافساد عليه قال والله ان ظفرت بأبن منبه
وابن أبي ربيعة لأجعلن أموالها في سبيل الله ، ثم قال بلغني ان ابن منبه
بذل عشرة آلاف دينار في حربي من أين له عشرة آلاف دينار ؟
سرقها من اليمن ثم جاء بها اثن وجدته لاخذته بما اقربه فلما كان يوم
الجل وانكشف الناس هرب يعلى بن منبه ولما رات عائشة اجتمع من
اجتمع بمكة اليها من مخالفة علي والمباينة له والطاعة لها في حربه تأهبت
للخروج وكانت في كل يوم تقيم مناديبا ينادى بالتأهب للخروج وكان
المنادى ينادى فيقول من كان يريد المسير فليسر فان ام المؤمنين سائرة
إلى البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم .

وروى الواقدي عن أفلح بن سعيد عن يزيد بن زياد عن عبد الله
ابن أبي رافع عن ام سلمة زوجة النبي (ص) قالت كنت مقيمة بمكة
تلك السنة حتى دخل المحرم فلم أر لإرسول طلحة والزبير جاءني عنهما
يقول ان ام المؤمنين عائشة تريد أن تخرج للطلب بدم عثمان فلو خرجت
معها رجونا ان يصلح بكما فتق هذه الامة فأرسلت اليهما والله ما بهذا
امرت ولا عائشة لقد أمرنا الله أن نقر في بيوتنا لا نخرج للحرب أو
للقتال مع ان أواميا عثمان غيرنا والله لا يجوز لنا عضو ولا صلح ولا

(١) الطبري (ج ٥ - ص ١٦٦) .

قصاص وما ذاك إلا لولد عثمان واخرى تقايل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ذو البلاء والعناء وأولى الناس بهذا الامر والله ما أنصفتما رسول الله في نسائه حيث تخرجوهن إلى العراق وتركوا نساءكم في بيوتكم ثم أرسلت إلى عائشة فنهتها أشد النهي عن طلحة والزبير في الخروج امتثالاً عليّ، وذكرتها أموراً تعرفها وقالت لها أنشدك الله هل تعلمين ان رسول الله (ص) قال لك اتق الله واحذري أن تنبحك كلاب الحوآب فقالت نعم ورددتها بعض الردع ثم رجعت الى رأيها في المسير (١).

مؤامرة الناكثين :

فصل : فلما تحقق عزم القوم على المسير إلى البصرة وظهر تأهبهم لذلك اجتمع طلحة والزبير وعائشة وخواصهم من قومهم وبطاتهم وقالوا نحب أن نسرع النهضة إلى البصرة فان بها شيعة عثمان وانصاره وعامله عبد الله بن عامر وهو قريبة ونسيبه وقد عمل على استعداد

(١) في تذكرة الخواص ص ٣٨ ذكر نهى ام سلة لما فلما رأتها لا تقبل قالت :

نصحت وَاكُنْ لَيْسَ لِلنَّصِاحِ قَابِلٌ وَلَوْ قَبِلْتَ مَا عَنَفْتَهَا الْعَوَازِلُ
 كَانَ بِهَا قَدْرَدَتْ الْحَرْبُ رَحْلَهَا وَابْسَ لَهَا إِلَّا التَّرْحُلُ رَاحِلُ
 وَفِي الْحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي لِلْبَيْهِقِ (ج ١ - ص ٢٣١) ان ام سلة حلفت ان لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب علي فدخلت عائشة عليها يوماً وكتبتها فقالت ام سلة ألم أنك ألم أقل لك قالت لاني استغفر الله كليبي فقالت ام سلة يا حائط ألم أنك ألم أقل لك فلم تكلمها ام سلة حتى ماتت .

الجنود من فارس وبلاد المشرق لمعوته على الطلب بدم عثمان وقد كاتبنا معاوية بن أبي سفيان ان ينفذ لنا الجنود من الشام فان أبطئنا عن الخروج خفنا أن يدهمنا على دع ، بمكة أو في بعض الطريق فيمن يرى رأيه في عداوة عثمان خوفاً من ان يفرق كلمتنا وإذا أسرعنا المسير الى البصرة وأخرجنا عامله منها وقتلنا شيعته بها واستعنا بأمواله منها كنا على الثقة من الظفر بابن أبي طالب وان اقام بالمدينة سيرنا اليه جنوداً حتى نحصره فيخلع نفسه أو نقتله كما قتل عثمان وان سار فهو كاليه ونحن جامون وهو على ظاهر البصرة ونحن بها متحصنون فلا يطول الزمان إلا بفل جموعه واهلاك نفسه أو إراحة المسلمين من قتلته .

ام سلمة تحذر عائشة :

وبلغ ام سلمة اجتماع القوم وما خاضوا فيه فبكت حتى اخضل خمارها ثم أدت ثيابها فلبستها ومشيت إلى عائشة لتعظها وتصدها عن رأيها في مظاهرة أمير المؤمنين دع ، بالخلافة وتقعدها عن الخروج مع القوم فلما صارت اليها قالت إنك عدة رسول الله بين امته وحجابك مضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبدنيه واملك خفرك فلا تضحها الله الله من وراء هذه الآية قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك لفعل بل نهاك عن الفرط في البلاء وان عمود الدين لا يقام بالنساء ان ائلم ولا يشعب بهن ان الصدع فصدع النساء غض الاطراف وحف الأعطاف وقصر الوهادة وضم الذبول وما كنت قاتلة لو ان رسول الله عارضك ببعض الغلاة ناصة قلوفاً من منهل إلى آخر قد هتكت صداقته وتركت عهده ان يغير الله بك هواك على رسول الله أتدرين والله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس لا ستحييت ان التي رسول

الله (ص) هاتكة حجابا قد ستره علي اجعل لي حصنك بيتك وقاعة
البيت قبرك حتى تلقينه وانت على ذلك أطوع ما تكوني له ما لزمته
وانظري بنوع الدين ما حلت عنه .

فقلت لها ما اعرفني بوعظك واقبلي لنصحك وانعم المسير مسير
فوزت اليه وأنا بين سائرة ومتأخرة فان أقعد فمن غير جزع وان اسير
فأني ما لا بد من الازدياد منه .

فلما رأت ام سلمة ان عائشة لا تمتنع عن الخروج عادت الى مكانها
وبعثت الى رهط من المهاجرين والانصار قالت لهم لقد قتل عثمان
بحضرتكم وكانا هذان الرجلان اعني طلحة والزبير يشيعان عليه كما
رأيتم فلما قضى امره بايما عليا وقد خرجا الآن عليه زعما انهما يطلبان
بدم عثمان ويريدان ان يخرجوا حبيسة رسول الله معهم وقد عهد الى جميع
نساته عهداً واحداً ان يقرن في بيوتهن (١) فان كان مع عائشة عهد
سوى ذلك تظهره وتخرجه اليها نعرفه فاتقوا الله عباد الله فاننا نأمركم

(١) في تفسير روح المعاني الالوسي (ج ٢٢ - ص ٦) عند قوله
تعالى (وقرن) روى البزار عن أنس ان النساء جئن الى رسول الله
بعد نزول الآية فقلن لقد ذهب الرجال بافضل والجهاد فهل انا عمل
ندرك به فضل المجاهدين فقال : من قدمت منكن في بيتها فانها تدرك
عمل المجاهدين . قال الالوسي . وقد يحرم عليهن الخروج الزيارة والمسجد
ويكون محرماً كبيرة اذا تحققت الفتنة بخروجهن وفي الدر المنثور
للسيوطي (ج ٥ - ص ١٩٦) ان سودة بنت زمعة زوجة النبي (ص)
لم تحج بعد نزول الآية فقيل لها في ذلك قالت اني حججت واعتمرت
وامرني ربي تعالى شأنه ان أقر في بيتي فلا أخرج حتى تخرج جنازتي
قال وأخرج مسروق ان عائشة كلما قرأت (وقرن في بيوتكن)
تبكي حتى تبل خمارها .

بتفوى الله والاعتصام بحبله والله ولي لنا والحكم .

فشق كثيراً على طلحة والزبير عند سماع هذا القول من ام سلة ثم
أنفذت ام سلة الى عائشة فقالت لها وقد وعظتكم فلم تعظي وقد
كنت اعرف رأيك في عثمان وانه لو طلب منك شربة ماء لمنعته ثم أنت
اليوم تقول انه قتل مظلوما وتريدين ان تثيري لقتال أولى الناس بهذا
الأمر قديماً وحديثاً فاتق الله حتى تفاته ولا تعرضي لسخطه فارسلت
اليها عائشة أما ما كنت تعرفيه من رأيي في عثمان فقد كان ولا أجد
مخرجاً منه إلا الطلب بدمه واما علي فاني أمره بردهذا الامر شورى
بين الناس فان فعل وإلا ضربت وجهه بالسيف حتى يقضى الله ما هو قاض
فأنفذت اليها ام سلة أما أنا فغير واعظة لك من بعد ولا مكلمة لك
جهدى وطاقتي والله اني لحاقفة عليك البوار ثم النار والله ليخين ظنك
واينصرن الله ابن ابى طالب على من بنى وستعرفين عاقبة ما أقول والسلام

علي يجاهد الناكثين :

فصل : ولما اجتمع القوم على ما ذكرناه من شقاق أمير المؤمنين
والتأهب للسير الى البصرة واتصل الخبر اليه وجاءه كتاب يخبره بخبر
القوم دعا ابن عباس ومحمد بن ابى بكر وعمار بن ياسر وسهل بن حنيف
واخبرهم بذلك وبما عليه القوم من المسير فقال محمد بن ابى بكر ما يريدون
يا أمير المؤمنين ؟ فتبسم عليه السلام وقال يطلبون بدم عثمان فقال محمد
واقه ما قتله غيرهم ثم قال علي أشيروا علي بما أسمع منكم القول فيه
فقال عمار الرأي ان نسير الى الكوفة فان اهلهنا لنا شيعة وقد انطلق
هؤلاء القوم الى البصرة وقال ابن عباس الرأي عندى يا امير المؤمنين
ان تقدم رجالا الى الكوفة فيبايعوا لك وتكتب الى الاشعري ان يبايع
لك ثم يصد المسير حتى نلحق بالكوفة فتعاجل القوم قبل ان يدخلوا

البصرة وتكتب الى ام سلة فتخرج معك فانها لك قوة فقال أمير المؤمنين بل أنهض بنفسى ومن معى فى اتباع الطريق وراء القوم فان ادركتهم بالطريق اخذتهم وان فاتوني كتبت لى الكوفة واستمددت الجنود من الامصار وسرت اليهم .

واما ام سلة فانى لا ارى لإخراجها من بيتها كما رأى الرجلان لإخراج عائشة فينماهم فى ذلك إذ دخل عليهم اسامة بن زيد وقال لأمير المؤمنين فداك أبى وامى لا تسر وحدك وانطلق لى ينبع وخلف على المدينة رجلا واقم بما لك فان العرب لهم جولة ثم بصيرون اليك (١) . فقال له ابن عباس ان هذا القول منك يا اسامة على غير عل فى صدرك فقد أخطأت وجه الرأى منه ايس هذا برأى (بعير يكون والله كهيسة الضبع فى مغارتها) فقال اسامة فما الرأى قال ما أشرت به اليه وما رأى أمير المؤمنين لنفسه .

ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام فى الناس تجهزوا السير فان طلحة والزبير قد نكثا البيعة ونقضوا العهد وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لاثارة الفتنة وسفك دماء أهل القبلة ثم رفع يديه لى السماء فقال اللهم ان هذين الرجلين قد بغيا على ونكثا عهدى ونقضوا عقدى وشاقانى بغير حق سومهما ذلك اللهم خذهما بظلمهما واطفرنى بهما وانصرنى عليهما ثم خرج فى سيمامة رجل من المهاجرين والانصار واستخلف على المدينة تمام بن عباس وبعث قم بن عباس لى مكة (٢)

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٦٠) ذكر هذا الرأى لابن عباس .

(٢) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٦٩) وفى تذكرة الخواص ص ٢٠١ كان المأمون يقول ابنى العباس لما ولى الأمر من نولاه قبل على دع ، لم يولوا أحداً من بنى العباس ولا بنى هاشم فلما صارت -

ولما رأى أمير المؤمنين السير طالبا للقوم ركب جملا أحمر وراجره
يقول (١) :

سيروا أبا يبل وحشوا السيراً كي تلتقوا طلحة والزبيراً
إذ جلبا شراً وعافا خيراً يارب أدخلهم غداً سعيراً
وسار مجدأ في السير حتى بلغ (الربذة) فوجد القوم قد فاتوا فزل
بها قليلاً ثم توجه نحو البصرة والمهاجرون والأنصار عن يمينه وشماله
محدثون به مع من سمع بمسيرهم فاتبعهم حتى نزل (بنى قار) فأقام بها
كتاب علي إلى أبي موسى الأشعري :

ثم دعا هاشم بن عتبة المرقال وكتب معه كتاباً إلى أبي موسى
الأشعري وكان بالكوفة من قبل عثمان ان يوصل الكتاب اليه ليستنفر
الناس منها إلى الجهاد معه وكان مضمون الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن
قيس : أما بعد فاني أرسلت إليك هاشم بن عتبة المرقال لتشخص معه
من قبلك من المسلمين ايتوجهوا إلى قوم نكثوا بيمينى وقتلوا شيعتى
وأحدثوا في هذه الامة الحدث العظيم فأشخص الناس إلى معي حين
يقدم بالكتاب عليك فلا تحبسه فاني لم أقرك في المصر الذى أنت فيه
إلا أن تكون من أعوانى وأنصارى على هذا الامر والسلام .

— إلى أمير المؤمنين ترك آل أبي طالب وأقبل على بنى العباس فولى
عبد الله البصرة وعيىد الله اليمن ومعبدأ مكة وقم البحرين وما ترك
أحدأ ممن يتسمى إلى العباس إلا ولاء فهلا نكافأه في ولده .

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٨٦) ان راجز علي « ع » قال
سيروا أبا يبل وحشوا السيراً إذ عزم السير وقولوا: خيراً
حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً نفزوا بها طلحة والزبيراً

فقدم هاشم بالكتاب على أبي موسى الأشعري فاقراه الكتاب وقال
له ما ترى فقال له أبو السائب اتبع ما كتب به إليك فأبى أبو موسى ذلك
وكرر الكتاب وعماه وبعث إلى هاشم بن عتبة يخوفه ويتوعده بالسجن
فقال السائب بن مالك فأتيت هاشماً فأخبرته بأمر أبي موسى .
فكتب هاشم إلى أمير المؤمنين :

اما بعد : يا أمير المؤمنين فاني قدمت بكتابك على أمره شاق عاق
بعيد الرحم ظاهر الغل والشقاق وقد بعث إليك بهذا الكتاب مع المحل
ابن خليفة الطائي وهو من شيعتك وأنصارك وعنده علم ما قبلنا فاسأله
عما بدا لك واكتب لي برأيك أتبعه والسلام (١) .

فلما قدم الكتاب إلى علي . دح ، وقرأه دعا الحسن ابنه وعمار بن
ياسر وقيس بن سعد وبعثهم إلى أبي موسى وكتب معهم من عبد الله
على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس اما بعد : يا ابن الحايك والله
لاني كنت لا أرى بعدك من هذا الامر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ولا
جمل لك فيه نصيباً وقد بعث لك الحسن وعماراً وقيساً فأحل لهم
المصر وأهله واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً فان فعلت وإلا أمرتهم أن
ينابذوك على سواء ان الله لا يحب الخائنين فان اظهروا عليك قطعوك
إرباً إرباً والسلام على من شكر النعم ورضى البيعة وعمل لله رجاء العاقبة
كتاب علي إلى أهل الكوفة :

فلما قدم الحسن وعمار وقيس الكوفة مستنفرين لاهلها وكان في
كتابه معهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من علي بن أبي طالب إلى أهل الكوفة

(١) رواه في شرح النهج الحديدي (ج ٣ - ص ٢٩١) عن

أبي مخنف .

اما بعد (١) فاني أخبركم من أمر عثمان حتى يكون أمره كاليان لكم ان
الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعابته وأقل
عتابه (٢) وكان طلحة والزبير أهون سيرهما اليه الوجيف وقد كان
من عائشة فيه فلتة غضب فلما قتله الناس وبايعاني غير مستنكرين
طائعين مختارين وكان طلحة والزبير أول من بايعني على ما بايعا به من
كان قبلي ثم استأذناني في العمرة ولم يكونا يريدان العمرة ففقضا
العهد وأذنا في الحرب وأخرجا عائشة من بيتها يتخذانها قننة فسارا
إلى البصرة واخترت السير اليهم معكم ولعمري اياي تجيبون انما تجيبون
الله ورسوله والله ما قاتلتهم وفي نفسي شك وقد بعث اليكم ولدي الحسن
وعماراً وقيساً مستنفرين لكم فكونوا عند ظني بكم والسلام (٣) .

خطبة الحسن وعمار وقيس بالكوفة :

ولما نزل الحسن «ع ، وعمار وقيس الكوفة ومعهم كتاب أمير
المؤمنين «ع ، قام فيهم الحسن «ع ، فقال :
أيها الناس قد كان من أمير المؤمنين «ع ، ما يكفيكم جملته وقد
اتيناكم مستنفرين لكم لانكم جبهة الانصار وسانم العرب وقد تقضا
طلحة والزبير بيعتهما وخرجا بعائشة وهي من النساء وضعف رأيهن كما
قال الله تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أما والله ان لم تنصروه

(١) في شرح النهج لابن ابى الحديد (ج ٣ - ص ٢٩١) مصر
بعث الكتاب مع ابن عباس ومحمد بن ابى بكر .
(٢) الاستعتاب طلب العتي وهي الرضا ومراده «ع ، انه كان
يكثّر من طلب رضاه ويقل من عتابه وتعنيفه .
(٣) رواه الشيخ الطوسي في الامالي ص ٧٨ والسيد الرضى في
النهج (ج ٢ - ص ٣) باختصار .

لينصره الله يتبعه من المهاجرين والانصار وسائر الناس فانصروا ربكم
ينصركم. ثم قام عمار بن ياسر فقال :

يا اهل الكوفة ان كانت هانت عندكم الدنيا فقد انتهت اليكم
امورنا واخبارنا ان قاتلي عثمان لا يعتدرون إلى الناس من قتله وقد
جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجبيهم فيه وقد كان طلحة والزبير اول
من طعن عليه وأول من امر بقتله وسعى في دمه فلما قتل بايعا علياً
طوعاً واختياراً ثم نكثا على غير حدث كان منه وهذا ابن رسول الله
وقد عرفتم انه انفذ اليكم يستنفركم وقد اصطفاكم على المهاجرين
والانصار .

ثم قام قيس بن سعد فقال :

أيها الناس ان هذا الامر لو استقبلنا به اهل الشوزى لكان علي أحق
الناس به لمكانه من رسول الله (ص) وكان قتال من ابى ذلك حلالاً
كفيع بالحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه طوعاً ثم خلعا حسداً وبغياً
وقد جاءكم علي في المهاجرين والانصار ثم انشأ يقول :

رضينا بقم الله إذ كان قسماً علياً وأبناء الرسول محمد
وقلنا لهم اهلاً وسهلاً ومرحبا نمد يدينا من هدى وتودد
فا للزبير الناقض العهد حرمة ولا لآخيه طلحة فيه من يد
انا كم سليل المصطفى ووصيه واتم محمد الله عارضة الندي
فمن قائم يرجي بخيل الى الوغى وضم العوالي والصفوح المهند
يسود من ادناه غير مدافع وان كان ما تقضيه غير مسود
فان يك ما نهوى فذاك نريده وان نخط ما نهوى فغير تعمد (١)

(١) روى الشيخ الطوسي في الامالي ص ٩٤ و ص ٨٧ بعضها
للنجاشي مع زيادة لم تذكر هنا وقال ان النجاشي اجاب بالتسليم والطاعة

خطبة ابى موسى الاشعري :

فلما فرغ القوم من كلامهم قام ابو موسى الاشعري فقال :
ايها الناس ان تطيعوا الله باديا وتطيعوني ثانيا تكونوا جرنومة
من جرائم العرب ياوى اليكم المضطر ويأمن فيكم الخائف ان عليا
انما يستنفركم لجهاد امكم عائشة وطلحة والزبير حواري رسول الله
ومن معهم من المسلمين وانا اعلم بهذه الفتن انها اذا اقبلت شبهت وان
ادبرت اسفرت وان هذه الفتنة نافذة كداء البطن تجرى بها الشمال
والجنوب وتشتبك احيانا فلا ندرى ما تأتى اشيموا سيوفكم وقصروا
رماحكم وقطعوا او تارككم والزمو البيوت خلوا قريشاً اذا ابوا الا
الخروج من دار الهجرة وفراق اهل العلم بالامرة وترق قنقها وتشعب
صدعها فان فعلت فلنفسها وان ابنت فعلها ما جنت سمها في اديها
استنصحونى ولا تستشفونى يسلم لكم دينكم ودينكم ويشقى بهذه
الفتنة من جناها (١) .

نهضة زيد واصحابه :

فقام زيد بن صوحان وكانت يده قطعت يوم جلولاه ثم قال :
يا ابا موسى تريد ان ترد الفرات عن ادراجه انه لا يرجع من حيث
بدا فان قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد ويملكك (ا لم احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ، ثم قال : ايها الناس سيروا الى
امير المؤمنين واطيعوا ابن سيد المرسلين وانفروا اليه اجمعون تصيبوا
الحق وتظفروا بالرشد قد والله نصحتكم فاتبعوا رأى ترشدون .

(١) رواها ابن ابى الحديد فى شرح النهج (ج ٣ - ص ٣٩٣)

بزيادة .

ثم قام عبد خير (١) وقال لابن موسى اخبرني يا ابا موسى هل كانا هذان الرجلان بايعا اعلى فيما بلغك وعرفت ؟ قال نعم ، قال فهل جاء علي دع ، يحدث يحمل عقدة بيعته حتى ترد بيعته كما ردت بيعة عثمان ؟ قال ابو موسى لا أعلم قال له عبد خير لا دريت نحن غير تاركيك حتى تدرى حينئذ خبرني يا ابا موسى هل تعلم احداً خارجاً من هذه الفتنة التي تزعم انها عمياء تحمذ الناس منها ؟ أما تعلم انها اربع فرق : علي دع ، يظهر بالكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة اخرى بالحجاز لاغناء بها ولا يقاتل بها عدو .

فقال ابو موسى الفرقة القاعدة عن القتال خير الناس فقال عبد خير غلبك عليك غشك يا ابا موسى (٢) فقام رجل من بحيلة فقال شعراً :

وحاجك عبد خير يا بن قيس فأنت اليوم كاشاة الريض
فلا حقاً اصبت ولا ضلالاً فانت اليوم تهوى بالخصيض
ابا موسى فظرت برأى سوء تؤول به الى قلب مريض
وتنت فليس تفرق بين خير ولا شر ولا سود ويبيض
وتذكر فتنة شملت وفيها سقطت وانت ترزح بالجرريض (٣)

قال وبلغ أمير المؤمنين ما كان من امر ابى موسى وتخذيله الناس عن نصرته فقام اليه مالك الاشر (ره) فقال يا امير المؤمنين انك قد بعثت الى الكوفة رجلاً قبل هذين فلم اره أحكم شيئاً وهذان اخلق من بعثت ان ينشب بهم الامر على غير ما تحب واست ادري ما يكون فأن رأيت جعلت فداك ان تبغثني في أثرهم فان اهل الكوفة احسن لي طاعة وان

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٨٩) هو الخيوانى .

(٢) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٠) والطبرى ج ٥ - ص ١٩٠ .

(٣) يقال رزح الرجل : ضعف وذهب ما بيده والجرريض ابتلاع

الريق غيضاً وهما .

قدمت عليهم رجوت ان لا يخالفني احد منهم فقال أمير المؤمنين « دع ، الحق بهم على اسم الله فأقبل الاشر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس بالمسجد الاعظم فأخذ لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم وقال لهم اتبعوني الى القصر فاتتهى الى القصر في جماعة من الناس فاقتحم القصر وابو موسى في المسجد الاعظم يخطب الناس ويثبطهم عن نصرة على « دع ، وهو يقول ايها الناس هذه فتنة عمياء تطوخطماها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب انها فتنة باقرة كداء البطن أتكمن من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران كابن امس انا معاشر اصحاب محمد (ص) اعلم بالفتنة انها اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت اسفرت .

وعمار والحسن وقيس يقولون له اعتزل عملنا لا ام لك وتنح عن منبرنا وابو موسى يقول لعمار هذه يدي بما سمعت من رسول الله يقول ستكون بعدى فتنة القاعد فيها خير من القائم .
فقال له عمار انما قال رسول الله (ص) لك خاصة ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعداً خير منك قائماً .

الاشتر الى القصر :

فييناهم في الكلام اذ دخل غلمان ابى موسى يتنادون يا أبا موسى هذا الاشر اخرج من المسجد ودخل عليه اصحاب الاشر فقالوا له اخرج من المسجد يا ويلك اخرج الله روحك انك والله لمن المنافقين فخرج ابو موسى وأنفذ إلى الاشر ان اجلني هذه العشية قال قد اجلتك ولا تبت في القصر هذه الليلة واعتزل ناحية عنه ودخل الناس يتتهجون

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٠) .

متاع أبي موسى فاتبعهم الاشتهر بمن أخرجهم من القصر وقال لهم اني
أجلته فكف الناس عنه (١) ثم صعد الحسن « ع » المنبر فحمد الله واثني
عليه وذكر جده النبي (ص) فصلى عليه ثم ذكر فضل أمير المؤمنين
وانه احق بالامر من غيره وان من خالفه على ضلال

ثم نزل فصعد عمار فحمد الله واثني عليه وصلى على رسول الله ثم قال :
أيها الناس انالما خشينا على هذا الدين ان يهدم جوانبه وان يتعزى
أديمه نظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا علياً « ع » خليفة ورضيناها إماماً
فنعم الخليفة ونعم المؤدب مؤدب لا يؤدب وفقه لا يعلم وصاحب بأس
لا ينكر وذو سابقة في الاسلام ليس لأحد من الناس غيره وقد خالفه
قوم من أصحابه حاسدون له وياغون عليه وقد توجهوا إلى البصرة
فاخرجوا اليهم رحمكم الله فانكم لو شاهدتموهم وحاججتهموهم تبين لكم
انهم ظالمون .

خطبة الاشتهر :

ثم خرج الاشتهر رحمه الله وصعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال :
أيها الناس اصغوا لي بأسماعكم وافهموا لي بقلوبكم ان الله عز وجل
قد أنعم عليكم بالاسلام نعمة لا تقدرُونَ قدرها ولا تؤدون شكرها
كتمت اعداء يأكل قويكم ضعيفكم وينتهب كثيركم قليلكم وتنتهك
حرمات الله بينكم والسبيل مخوف والشرك عندكم كثير والأرحام
عندكم مقطوعة وكل أهل دين لكم قاهرون فمن الله عليكم بمحمد
« ص » فجمع شمل هذه الفرقة وألف بينكم بعد العداوة وكثرتم بعد ان
كتمت قليلين ثم قبضه الله وحوله اليه فحوى بعده رجلا ثم ولي بعدهما رجل
نبذ كتاب الله وراء ظهره وعمل في احكام الله بهوى نفسه فسألناه ان

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٠)

يعتزل لنا نفسه فلم يفعل واقام على احدائه فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا
 ودنيانا ولا يبعد الله إلا القوم الظالمين وقد جاءكم الله بأعظم الناس
 مكاناً وأعظمهم في الاسلام سهماً ابن عم رسول الله ص، وأفقه
 الناس في الدين وأقرأهم للكتاب واشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد
 استفتروكم فما تنتظرون؟ أسعيد أم الوليد؟ الذي شرب الخمر وصلى
 بكم على سكر وهو سكران منها واستباح ما حرمه الله فيكم أى هذين
 تريدون قبح الله من له هذا الرأي. ألا فانقروا مع الحسن ابن بنت
 نبيكم ولا يتخلف رجل له قوة فوالله ما يدري رجل منكم ما يضره وما
 ينفعه وإنى لكم ناصح شفيق عليكم ان كنتم تعقلون او تبصرون
 اصبحوا انشاء الله غداً عادين مستعدين وهذا وجهى إلى ما هناك بالوفاء

خطبة حجر بن عدي :

ثم قام حجر بن عدي الكندي وقال :
 أيها الناس هذا الحسن بن أمير المؤمنين وهو من عرفتم احد ابويه
 النبي ص، والآخر الامام الرضى المأمون الوصى صلى الله عليهما الذين
 ليس لهم شبيه في الاسلام سيد شباب اهل الجنة وسيد سادات العرب
 أكملهم صلاحاً وأفضلهم علماً وعملاً وهو رسول أبيه اليكم يدعوكم
 إلى الحق وبأسألكم النصر السعيد من ودمه ونصرهم والشقى من تخلف
 عنهم بنفسه عن مواساتهم فانقروا معه رحمكم الله خفافاً وثقالاً
 واحتسبوا في ذلك الاجر فان الله لا يضيع اجر المحسنين .
 فأجلب الناس بأجمعهم بالسمع والطاعة .

وقد ذكر الواقدي ان علياً أنفذ إلى أهل الكوفة رسلاً وكتب
 إليهم كتاباً عند خروجه من المدينة وقبل نزوله بنى قار وقال في حديث
 آخر رواه انه أنفذ إلى القوم من الربة حين فاته رد طلحة والزبير

من الطريق ثم اتفق الواقدي وأبو مخنف وغيرهما من أصحاب السيرة على ما ذكرناه من انفاذ الرسل وكتب الكتب من ذى قار إلى أهل الكوفة يستنفرهم للجهاد معه والاستعانة بهم على أعدائه الناكثين لعهده الخارجين لحربه فكان مما رواه الواقدي ان قال حدثني عبيد الله بن الحرث بن الفضل عن أبيه قال لما عزم عليّ دع، على المسير من المدينة رد طلحة والوزير بعث محمد بن الحنفية ومحمد بن ابي بكر الى الكوفة وكان عليهما ابو موسى الاشعري فلما قدما عليه أساء القول لهما واغلظ وقال : ان بيعة عثمان اني رغبة صاحبكم وفي رقبي ما خرجنا منها . ثم قام على المنبر وقال :

أيها الناس إنا أصحاب رسول الله (ص) ونحن أعلم منكم بهذه الفتنة فاحذروها ان عائشة كتبت إلي ان اكفني من قبلك وهذا علي بن ابي طالب قادم اليكم يريد ان يسفك بكم دماء المسلمين فكسروا نبلكم واقطعوا أوتاركم واضربوا الحجارة بسيوفكم .

فقال محمد بن الحنفية (رض) لمحمد بن ابي بكر يا أخي ما عند هذا خير ارجع بنا إلى أمير المؤمنين نخبره الخبر فلما رجعا اليه وأخبراه الحال وقد كان كتب معها كتاباً إلى أبي موسى الاشعري ان يبايع من قبله على السمع والطاعة وقال له في كتابه أخرج الناس عن حجزتك وارفع عنهم سوطك واجلس بالعراق فان خفت فاقبل وان ثقلت فاقعد فلما قرأ الكتاب قال انقل ثم انقل .

كتاب علي إلى أهل الكوفة :

ولما بلغ علي ما قال وصنع غضب غضباً شديداً وبعث عمار بن ياسر والحسن دع ، وكتب معهم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين

الى اهل الكوفة من المؤمنين والمسلمين . اما بعد : فان دار الهجرة
تقلعت بأهلها فانقلعوا منها ، وجلشت جيشان الرجل ، وكانت فاعلة يوم
ما فعلت ، وقد ركب المرأة الجمل ، ونبحتها كلاب الحوآب ، وقامت
الفتنة الباغية يقودها ، يظليون بدم هم سفكوه ، وعرض هم شتموه ؛
وحرمة انتهكوها ، وأبا حوا ما أبا حوا ، يعتذرون إلى الناس دون الله
يخلفون لكم لترضون عنهم ، فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين ؛ اعملوا ربحكم الله ان الجهاد مفترض على العباد فقد
جاءكم في داركم من يحكم عليه ، ويعرض عليكم رشدكم ، والله يعلم
اني لم أجد بدأ من الدخول في هذا الامر ، ولو علمت ان أحداً أولى
به مني لما تقدمت اليه وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثم
خرجوا يظلبان بدم عثمان وهما اللذان فعلا بعثان ما فعلا وعجبت لهما كيف
أطاعا أبا بكر وعمر في البيعة وأيا ذلك علي وهما يعلنان اني لست
بدون واحد منها مع اني قد عرضت عليها قبل ان يبايعاني إذا أجبنا
بايعت لاحدهما فقالا لانفس على ذلك بل نبايعك وتقدمك علينا بحق
فبايعنا ثم نكثا والسلام .

علي (ع) في الطريق :

ولما سار عليه السلام من المدينة انتهى إلى فيد وكان قد عدل إلى
جبال طي حتى سار معه عدى بن حاتم في ستمائة رجل من قومه فقال
عليه السلام لابن عباس ما الرأي عندك في أهل الكوفة فقال له ابن
عباس أنفذ عماراً فإنه رجل له سابقة في الاسلام وقد شهد بدرأ فإنه
ان تكلم هناك صرف الناس اليك وانا أخرج معه وابعث معنا الحسن
ابنك ففعل ذلك فخرجوا حتى قدموا على أبي موسى الأشعري فلما
وصلوا الكوفة قال ابن عباس للحسن وعمار ان أبا موسى عاق فإذا

رفقنا به أدركنا حاجتنا منه فقالوا افعل ما شئت .

فقال ابن عباس لابي موسى ان علياً ارسلنا اليك لما يطرقه سرعتك الى طاعة الله تعالى ورسوله (ص) ومصيرك إلى ما أحببنا اهل البيت وقد علمت فضله وسابقته في الاسلام ويقول لك ان تبابع له الناس ويقرك على عملك ويرضى عنك فانتخدع ابو موسى وصعد المنبر فبايع اهلي ساعة من النهار ثم نزل .

خطبة عمار بالكوفة :

فقال عمار : الحمد لله حمدأ كثيراً فانه اهل على نعمته التي لا يحصيها ولا يقدر قدرها ولا يؤدي شكرها اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور الواضح والسلطان القاهر والامين الناصح والحكيم الراجح رسول رب العالمين وقائد المؤمنين وخاتم النبيين بالصدق وصدق المرسلين وجهاد في الله حتى اتاه اليقين .

ثم ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، حفظه الله ونصره نصراً عزيزاً وابرم له امرأ رشيداً بعثني اليكم وابنه يأمركم بالانصر اليه فانظروا اليه واتقوا واطيعوا الله والله لو علمت ان على وجه الارض بشراً اعلم بكتاب الله وسنة نبيه منه ما استنفرتكم اليه ولا بايعته على الموت يا معشر اهل الكوفة الله الله في الجهاد فوائده ائن صارت الامور الى غير علي (ع) ، اتصيرن الى البلاء العظيم والله يعلم اني قد نصحت لكم وامرتكم بما اخذت بيقينى وما اريد اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب استغفر الله لى ولكم .

ثم نزل فصبر هنيئة ثم عاد إلى المنبر لحمد الله واثني عليه ثم قال

أيها الناس هذا ابن عم رسول نبيكم قد بعثني اليكم استنصركم
إلا ان طلحة والزبير قد سارا نحو البصرة وأخرجنا عائشة معها للفتنة
الا وان الله قد ابتلاكم بحق امكم وحق ابيكم وحق ربكم أولى
وأعظم عليكم من حق امكم وابيكم ولكن الله قد ابتلاكم لينظر
كيف تعملون فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا وانفقوا في سبيل الله وانفروا
الى خليفتكم وصهر نبيكم فان اصحاب رسول الله (ص) قد بايعوه
بالمدينة وهي دار الهجرة ودار السلام أسأل الله ان يوفقكم .

ثم نزل فصعد الحسن بن علي عليهما السلام على المنبر فحمد الله واثنى
عليه وذكر جده فصلى عليه وذكر فضل ابيه وسابقته وقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه أولى بالامر من غيره ثم قال
معاشر الناس ان طلحة والزبير بايعا علياً طابعين غير مكرهين ثم تقرا
ونكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف في مجاهدة من جاهده فان الجهاد معه
كالجهاد مع النبي (ص) .

ثم نزل وكان أمير المؤمنين «ع» كتب مع ابن عباس كتابا الى
أبي موسى الأشعري وغلظ فيه فقال ابن عباس قلت في نفسي اقدم
علي رجل وهو أمير يمثل هذا الكتاب ان لا ينظر في كتابي ونظرت ان
اثنى كتاب أمير المؤمنين وكتبت من عندي كتابا عنه لا بي موسى :
اما بعد فقد عرفت مودتك إيانا أهل البيت واقطاعك الينا وانما
نرغب اليك لما نعرف من حسن رأيك فينا فاذا اتاك كتابي فبايع انا
الناس والسلام .

فدفعه اليه فلما قرأه ابو موسى قال لي أنا الامير أو أنت ؟ قلت
انت الامير فدعا الناس الى بيعة علي فلما بايع قت وصعدت المنبر فرام
انزالي منه فقلت انت تنزلني عن المنبر ؟ وأخذت بقائم سيفي فقلت اثبت
مكانك والله اثن نزلت اليك هذبتك به فلم يبرح فبايعت الناس لعلي

دخلت ابا موسى في الحال واستعملت مكانه قرضة بن عبد الله الانصاري ولم ابرح من الكوفة حتى سيرت اهل دمع ، في البر والبحر من اهلها سبعة آلاف رجل ولحقته بذى قار قال وقد سار معه من جبال طي وغيرها الفا رجل ولما صار اهل الكوفة الى ذى قار ولقوا علياً دمع ، بها رحبوا به وقالوا الحمد لله الذي خصنا بمودتك واکرمنا بنصرتك فجزاهم خيراً .

خطبة علي بذى قار :

ثم قام وخطبهم ، حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة إنكم من اكرم المسلمين واعدلهم سنة وافضلهم في الإسلام سهما وأجودهم في العرب مركباً ونصاباً ، حوزكم بيوتات العرب وفرسانهم ومواليهم ، اتم أشد العرب وداً للنبي ؛ وإنما اخترتكم ثقة بعد الله لما بذلتم لي انفسكم عند نقض طلحة والزبير بيعتي وعهدي ، وخلافهما طاعتي واقبالهما بعائشة لمخافتى ومبارزتي وإخراجها لها من بيتها ، حتى أقدماماها البصرة . وقد بلغنى ان اهل البصرة فرقتان : فرقة الخير والفضل والدين قد اعتزلوا وكرهوا ما فعل طلحة والزبير اثم سكت عليه السلام ، فأجابه أهل الكوفة : نحن أنصارك واعوانك على عدوك ، ولودعوتنا الى اضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فرد عليهم خيراً (١) .

خطبة أخرى بذى قار :

ولما أراد دمع ، المسير من ذى قار تكلم ، حمد الله واثنى عليه ثم قال : ان الله عز وجل بعث محمداً للناس كافة ورحمة للعالمين ، فصدع بما أمر به (١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٠) روى خطبته دمع ، بغير هذا اللفظ .

ربلغ رسالات ربه ، فلما ألم به الصدع ورتق به الفتق وأمن به السيليل
 وحقق به الدماء وأف به بين ذوى الأحقاد والعداوة الواغرة فى
 الصدور ، والضغائن الكامنة فى القلوب ، قبضه الله عز وجل اليه حميداً
 وقد ادى الرسالة ونصح للامة ، فلما مضى صلى الله عليه وآله اسيله
 دفعنا عن حقنا من دفعنا وولوا من ولوا سوانا ثم ولاها عثمان بن عفان
 فقال منكم وثلم منه حتى اذا كان من أمره ما كان أنيتموني فقلتم بايعنا
 فقلت لكم لا أفعل ؛ فقلتم بلى لا بد من ذلك ، فقبضتم يدي فبسطتموها
 وتداككتم على تذاك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى اقد
 خفت انكم قاتلي ، أو بعضكم قاتل بعض ؛ فبايعتموني وانا غير مسرور
 بذلك ولا جذل ، وقد علم الله سبحانه لاني كنت كارهاً للحكومة بين
 امة محمد ، واقد سمعته يقول ا ما من وال بلى شيئاً من أمر امتي إلا أنى الله
 يوم القيامة مغلوله يدها الى عنقه على رؤوس الخلائق ، ثم ينشر كتابه
 فان كان عادلاً نجماً وان كان جائراً هوى . ثم اجتمع على ملؤكم وبايعني
 طلحة والزبير وانا اعرف الغدر فى وجهيهما والنكث فى عينيهما ثم أستأذنانى
 فى العمرة فأعلنتهما ان ليس العمرة يريدان فسارا الى مكة واستخفا
 عائشة وخذعاها وشخص معها ابناء الطلقاء فقدموا البصرة وهتكوا بها
 المسلمين وفعلوا المنكر ، وياجباً لا استقامتها لأبى بكر وعمر وبغيتها على
 وهما يعلبان لاني است دون احدهما ولو شئت ان أقول لقلت ، واقد كان
 معاوية كتب اليهما من الشام كتاباً يخدعها فيه فكتماه عنى وخرجا يوهمان
 الطعام انها يطلبان بدم عثمان والله ما انكرا على منكرأ ولا جعلنا بيني
 وبينها نصفاً وان دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب فيها يا خيبة الداعى الى
 ما ادعا وبماذا اجيب ، والله انها انى ضلالة صماء وجهالة عمياء وان
 الشيطان قد دبر لها حربه واستجلب منها خيله ورجاله ليعيد الجور الى
 اوطانه ويرد الباطل الى نصابه . ثم رفع يديه وقال : اللهم ان طلحة والزبير

قطعاتي وظلماني ونكثا بيعتي فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تفقر
لها أبدا وأرهما المساءة فيما عملا واملأ .

فقام الاشر رضي الله عنه فقال : خفض عليك يا أمير المؤمنين فوالله
ما أمر طلحة والزبير علينا بمحيل اقد دخلا في هذا الامر اختياراً ثم
فارقانا على غير جور عملناه ولا حدث في الإسلام احدتناه ؛ ثم اقبلا
يثيران الفتنة علينا تائهن جائرین ليس معهما حجة ترى ولا أثر يعرف
لقد لبسا العار وتوجها لمحو الديار ، فان زعما ان عثمان قتل مظلوما فليستقد
آل عثمان منها فاشهد انها قتلاه واشهد الله يا أمير المؤمنين ان لم يدخلا
فيما خرجا منه ولم يرجعا إلى طاعتك وما كانا عليه انلحقهما با بن عفان .

أبو التيهان :

وقام أبو الهيثم بن التيهان رحمه الله وقال يا أمير المؤمنين صبحهم الله
بما يكرهون فان اقبلوا قبلنا منهم وان ادبروا انجاهدنيهم فلعمري ما قوم
قتلوا النفس التي حرم الله قتلها واخذوا الأموال واحافوا اهل الايمان
باهل ان يكف عنهم ، فأقبل أمير المؤمنين «ع» على عدى بن حاتم فقال
له يا عدى انت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه .

عدي بن حاتم :

فقال عدى شهدتك او غبت عنك فأنا عندما أحببت هذه خيوانا
معدة ورماحنا محددة وسيوفنا حمرة فان رأيت أن تتقدم تقدمنا وان
رأيت أن نتحجم أحجمنا نحن طوع لامرك فامر بما شئت فسارع
إلى امثال امرك .

أبو زينب الأزدي :

وقام أبو زينب الأزدي فقال والله ان كنا على الحق إنك لأهدانا سيلاً وأعظمتنا في الخير نصيباً وان كنا على الضلالة والعياذ بالله أن نكون عليه ، لانك اعظمتنا وزراً وأنقلنا ظهراً وقد أردنا المسير إلى هؤلاء القوم وقطعتنا منهم الولاية وأظهرنا منهم البراءة وظاهرناهم بالعداوة ونريد بذلك ما يعلمه الله عز وجل وانا نتشكك الله الذي عليك ما لم تكن تعلم السنا على الحق وعدونا على الضلال فقال «ع ، اشهد أن خرجت لديك ناصراً صحيح النية قد قطعت منهم الولاية واطهرت منهم البراءة كما قلت انك لفي رضوان الله فابشر يا أبا زينب فانك والله على الحق فلا تشك فانك انما تقا تل الاحزاب فأنشأ أبو زينب يقول :

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي فان خير الناس اتباع على هذا أو ان طاب سل المشرفي وقودنا الخيل وهز السمهرى ولما استقر أمر أهل الكوفة على النهوض لأمير المؤمنين «ع ، وخف بعضهم لذلك بادر ابن عباس ومن معه من الرسل فيمن اتبعهم من أهل الكوفة إلى ذي قار للاتحاق بأمير المؤمنين وأخباره بما عليه القوم من الجد والاجتهاد في طاعته وانهم لاحقون به غير متأخرين عنه وإنما تقدمهم ايستعد للسفر والحرب وقد كان استخلف قرصة بن كعب على الكوفة على ما قدمناه ويحث الناس على اللحاق به .

فورد على أمير المؤمنين كتاباً قد كتب اليه من البصرة ما صنمه القوم بعامله عثمان بن حنيف رحمه الله وما استطوه من الدماء ونهب الاموال وقتل من قتلوه من شيعته وأنصاره وما أثاروه من الفتنة فيها فوجده ابن عباس وقد أحزنه ذلك وغمه وأزعجه وأقلقه فأخبره بطاعة أهل الكوفة ووعده منهم بالنصرة فسر عند ذلك وأقام ينتظر أهل

الكوفة والمدد الذي يتنصر بهم على عدوه .

ابن حنيف مع الناكثين :

فصل : وكان من حديث القوم فيما صنعوه بعثمان بن حنيف رضى الله عنه ومن ذكرناه معه على ما جاءت به الاخبار واتفق عليه نقله السير والآثار .

روى الواقدي وأبو مخنف عن أصحابها والمدائني وابن دآب عن مشايخها بالاسانيد التي اختصرنا القول باسقاطها واعتمدنا فيها على ثبوتها في مصنفات القوم وكتبهم فقالوا ان عائشة وطلحة والزبير لما ساروا من مكة إلى البصرة أعدوا السير مع من اتبعهم من بني أمية وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصرة فنزلوا حضر أبي موسى (١) فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصرة يومئذ وخليفة أمير المؤمنين وكان عنده حكيم بن جبلة فقال له حكيم ما الذي بلغك فقال خبرت ان القوم قد نزلوا حضر ابي موسى فقال له حكيم ائذني لي أن أسير اليهم فاني رجل في طاعة أمير المؤمنين وع ، فقال له عثمان توقف عن ذلك حتى ارسلهم فقال له حكيم إنا لله هلكت والله يا عثمان فأعرض عنه وارسل إلى عمران بن حصين وابي الاسود الثولي فذكر لها قدوم القوم البصرة وحلولهم حضر ابي موسى وسألها المشير اليهم وخطابهم على ما قصدوا به وكفهم عن الفتنة فخرجا حتى دخلا على عائشة فقالا لها يا ام المؤمنين ما حملك على السير ؟ فقالت غضبت لكما من سوط عثمان وعصاه ولا اغضب ان يقتل فقالا لها وما انت من سوط عثمان وعصاه وانما انت

(١) سماه ابن جرير في التاريخ (ج ٥ - ص ١٧٣) الحفير ولم يصفه الى ابي موسى وفي معجم البلدان (ج ٣ - ص ٣٠٤) الحفير بالتصغير ماء اباهلة بينه وبين البصرة اربعة اميال .

حبيس رسول الله (ص) وأنا نذكرك الله ان يهراق الدماء في سييلك فقالت وهل من احد يقاتلني! فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله قتالا أهونه شديد ، ثم خرجا من عندهما فدخلتا على الزبير فقالا له يا أبا عبد الله نشدك الله ان يهراق الدماء في سييلك فقال لها ارجعا من حيث جئتما ان لا تفسدا علينا فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة فقالا له نشدك الله ان يهراق الدماء في سييلك فقال لها طلحة أيجب علي بن ابي طالب دع ، انه اذا غلب على امر المدينة ان الامر له ، وانه لا امر إلا امره والله ليعلمن فانصرفا من حيث جئتما فانصرفا من عنده إلى عثمان ابن حنيف فأخبراه الخبر .

وروى ابن ابي سبرة عن عيسى بن عيسى عن الشعبي ان أبا الاسود الدؤلي وعمران لما دخلا على عائشة قالتا لها ما الذي أقدمك هذا البلد؟ وانت حبيسة رسول الله (ص) وقد امرك ان تقرى في بيتك فقالت غضبت لكم من السوط والعصا ، ولا اغضب عثمان من السيف فقالا لها نشدك الله ان يهراق الدماء في سييلك وان تحملي الناس بعضهم على بعض فقالت لها انما جئت لاصلح بين الناس وقالت لعمران بن الحصين ها انت مبلغ عثمان بن حنيف رسالة فقال لا ابلغه عنك إلا خيراً فقال لها أبو الاسود أنا ابلغه عنك فهاتي ، قالت له يا طليق ابن ابي عامر بلغني إنك تريد لقائي اتقاتلني ، فقال لها ابو الاسود الدؤلي نعم والله انقاتلني فقالت وانت ايضاً يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عني فخرجا من عندهما إلى طلحة فقالا له يا أبا محمد ألم تجمع الناس إلى حرب ابن عم رسول الله؟ الذي فضله الله كذا وكذا وجعلنا يعددان مناقب امير المؤمنين دع ، وفضائله وحقوقه فوق طلحة بعلي وسبه ونال منه وقال انه ليس احد مثله اما والله ليعلمن غير ذلك ، فخرجا من عنده وهما يقولان غضب هذا المدن ، ثم دخلا على الزبير فكلماه مثل كلامها لصاحبه فوق ايضاً في

عليّ د ع ، وسبه ، وقال لقوم كان بمحضرم صبجوم قبل ان بمسوكم
نخرجا من عنده حتى صارا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه الخبر ، فأذن
عثمان للناس بالحرب (١) .

فرح حفصة :

فصل : ولما بلغ عائشة نزول امير المؤمنين د ع ، بنى قار كتبت
إلى حفصة بنت عمر :

اما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بنى قار والله داق عنقه كدق
البيضة على الصفا انه بمنزلة الاشقر ، ان تقدم نحر وان تأخر عقر فلما
وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدى
واعطت جواربها دفوقاً وامرتهن ان يضربن بالدفوف ويقلن ما الخبر
ما الخبر علي كلالشقر بنى قار ان تقدم نحر وان تأخر عقر ، فبلغ ام
سلة (رض) اجتمع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين
والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت وقالت اعطوني ثيابي
حتى اخرج اليهن وأوقع بهم .

ام كلثوم مع حفصة :

فقال ام كلثوم بنت امير المؤمنين د ع ، أنا أنوب عنك فانني
اعرف منك فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواربها
متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأته إلى
ما هن فيه من العبت والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت
لحفصة ان تظاهرت انت واختك على امير المؤمنين د ع ، فقد تظاهرتما
على اخيه رسول الله (ص) من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما انزل

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٢) .

واقه من وراء حربكما (١) وأظهرت حفصة خجلا وقالت انهن فعلن
هذا بجهد وفرقتهن في الحال .

خطبة عائشة بالمرید :

ولما بلغ عائشة رأى ابن حنيف في القتال ركبت الجمل وأحاط بها
القوم وسارت حتى وقفت (بالمرید) واجتمع اليها الناس حتى امتلأ
المرید بهم فقالت وهي على الجمل صه صه فسكت الناس واصفوا اليها
لحمدت الله تعالى وقالت :

اما بعد فان عثمان بن عفان قد كان غير وبدل فلم يزل يغسله بالتوبة
حتى صار كالذهب المصني فعدوا عليه وقتلوه في داره وقتل ناس معه
في داره ظلماً وعدواناً ثم آثروا علياً فبايعوه من غير ملامة من الناس
ولا شورى ولا اختيار فابتز والله امرهم وكان المبايعون له يقولون
خذها اليك واحذرن أبا محسن إنا غضبنا لكم على عثمان من السوط
فكيف لا نغضب لعثمان من الغضب ان الامر لا يصح حتى يرد الامر
إلى ما صنع عمر من الشورى فلا يدخل فيه احد سفك دم عثمان .

فقالت بعض الناس صدقت وقال بعض الناس كذبت واضطربوا
بأنعمال وتركتهن وسارت حتى انت (الدباغين) وقد تميز الناس بعضهم
مع طلحة والزبير وعائشة وبعضهم متمسك ببيعة أمير المؤمنين والرضا
به فسارت من موضعها ومن معها واتبعها على رأيها طلحة والزبير

(١) اشارة الى ما جاء في سورة التحريم من قوله تعالى : (واذ
أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به) الآية . ففي تفسير
الخانن (ج ٧ - ص ٩٧) وروح المعاني للالوسي (ج ٢٨ ص ١٥٢)
عن ابن عباس ان حفصة أسرت حديثاً لرسول الله (ص) الى عائشة
وكاتتا متصافيتين وهما اللتان تظاهرتا عليه ونزل القرآن فيها .

ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير حتى أتوا دار الامارة فسألوا
 عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع اليه انصاره
 وزمرة من اهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى زالت الشمس واصيب
 يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من اصحاب عثمان
 ابن حنيف وشيعة امير المؤمنين سوى من اصيب من ساير الناس وبلغ
 الحرب بينهم التراحف إلى (مقبرة بنى مازن) ثم خرجوا على مسناة
 البصرة حتى اتسوا الى (الزابوة) وهي ساحة دار (الوزق) (١)
 فاقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيه القتل والجرحى من الفريقين ثم انهم
 تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به
 فتصالحوا على أن لعثمان بن حنيف دار الامارة والمسجد وبيت المال
 واطلحة والزبير وعائشة ماشاؤا من البصرة ولا يحاجوا حتى يقدم امير
 المؤمنين دع ، فان احبوا عند ذلك الدخول في طاعته وان احبوا ان
 يقاتلوا ، وكتبوا بذلك كتاباً بينهم وأوثقوا فيه العهود وأكدوها
 وأشهدوا الناس على ذلك (٢) ووضع السلاح وآمن عثمان بن حنيف
 على نفسه وتفرق الناس عنه .

وطلب طلحة والزبير وأصحابها عثمان حتى أتوا دار الامارة وعثمان
 ابن حنيف غافل عنهم وعلى باب الدار السابجة يحرسون بيوت الأموال

(١) في معجم البلدان (ج ٤ - ص ٣٦٦) انها بالزاء المعجمة بعدها
 الف ثم باء موحدة وبعدها واو ثم القاف مدينة المسامعة قرب البصرة
 وهم بنو مسمع بن شهاب بن بلع بن عمرو الخ . وفيها كانت وقعة الجمل
 (٢) نصر عليه في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٧٧) وابن الاثير
 (ج ٣ - ص ٨٤) وذكرنا ان اسامة بن زيد قال اشهد انها بايعا
 مكرهين فثار عليه تمام بن العباس وسهل بن حنيف مع جماعة فاتصر
 له محمد بن مسلمة وصهيب بن سنان فأخرجوه إلى منزلهم .

وكانوا قوماً من الرط ووضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً ، يتولى منهم ذلك الزبير خاصة ، ثم هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته وكان شيئاً كك اللحية فنتفخوا حتى لم يبق منها شيء . ولا شجرة واحدة وقال طلحة عذبوا الفاسق واتقنوا شعر حاجبيه واشفار عينيه وأوثقوه بالحديد .

فلما أصبحوا اجتمع الناس اليهم وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة فرام طلحة ان يتقدم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم فتمعه طلحة فإزالا يتدافعان حتى كادت الشمس ان تطلع فنأدى اهل البصرة الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة تخاف فوتها (١) .

فقال عائشة : مروا أن يصلي بالناس غيرهما فقال لهم يعلى بن منبه يصلي عبد الله بن الزبير يوماً ومحمد بن طلحة يوماً حتى يتفق الناس على أمير يرضونه فتقدم ابن الزبير وصلى بهم ذلك اليوم .

وبلغ حكيم بن جبلة العبدى ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السابجة الصالحين خزان بيت مال المسلمين فنأدى في قومه يا قوم انقروا إلى هؤلاء الضالين الضالين الذين سفكوا الدم الحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلوا ما حرم الله عز وجل فأجابه سبعاية رجل من عبد قيس وأنوا المسجد واجتمع الناس إلى حكيم بن جبلة فقال للقوم أما ترون ما صنعوا بأخي عثمان بن حنيف ما صنعوا ؟ لست بأخيه ان لم أنصره ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم ان طلحة والزبير لم يريدوا بما عملا القربة منك وما أرادا إلا الدنيا اللهم اقلتها بمن قتلها ولا تعطها ما أملا ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتبعه أصحابه واقبل طلحة والزبير

(١) ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨١) والتفت ايها النابه الى الغاية المقصودة لها وإلا فما هذا النزاع ان كانا يطلبان الحقيقة وما عشت اراك الدهر عجيبا .

ومن معها وهم في كثرة من الناس قد انضم اليهم الجمهور واقتلوا قتالا شديداً حتى كثرت بينهم الجرحى والقتلى وبرزوا إلى حكيم بن جبلة رجل من القوم فضربه بالسيف فقطع رجله فتناولها حكيم بيده ورماه بها فصرعه (١) .

ثم صار إلى حكيم أخوه المعروف بالاشرف فقال من اصابك ؟ فأشار إلى الذي ضربه فأدركه الاشرف (٢) فحبطه بالسيف حتى قتله وتكاثر الناس عليه وعلى اخيه حتى قتلوهما وتفرق الناس .

ورجع طلحة والوزير ونزلا دار الامارة وغلبا على بيت المال فتقدمت عائشة وحملت مالا منه ابتغية على انصارها فدخل عليها طلحة والوزير في طائفة معها واحتملا منه شيئاً كثيراً فلما خرجا نصبا على ابوابه الاقفال ووكلا به من قبلها قوماً فأمرت عائشة بحتمه فبرز لذلك طلحة ايختمه فتمعه الوزير وأراد ان يختمه الوزير دونه فتدافعا فبلغ عائشة ذلك فقالت يختمها عنى ابن اخى عبد الله بن الزبير فختم يومئذ بثلاثة ختموم .

ثم قال طلحة والوزير ما تأمرين في عثمان ؟ فانه لما به فقالت اقلوه قتله الله وكانت عندها امرأة من اهل البصرة فقالت لها يا اماء امين ينهب بك تأمرين بقتل عثمان بن حنيف واخوه سهل على المدينة وله مكاة من الاوس والخزرج ما قد علمت والله اثن فعلت ذلك ليكون له صولة بالمدينة يقتل فيها ذراري قريش فأب إلى عائشة رأيا وقالت

-
- (١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٨٠) وابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٥) لما ضربه برجله وصرعه حبا اليه وقتله ثم انكأ عليه وقال : ياخذ لن تراعى ان معى ذراعى احمى بها كراعى .
- (٢) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٣٣) قتل مع حكيم بن جبلة ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة .

لا تقتلوه ولكن احبسوه وضيّقوا عليه حتى أرى رأيي فحبس اياماً ثم بدا لهم في حبسه وخافوا من اخيه ان يحبس مشايخهم بالمدينة ويوقع بهم فتركوا حبسه .

حجى ابن حنيف الى علي :

غرح ابن حنيف حتى جاء إلى أمير المؤمنين وهو بنى قار فلما نظر إليه أمير المؤمنين وقد نكل به القوم بكى وقال يا عثمان بعثك شيخاً ملتجئاً فرددت امرأاً لي اللهم انك تعلم انهم اجترأوا عليك واستحلوا حرمتك اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي وعجل لهم النعمة بما صنعوا بخليفتي ولما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير الى بيت المال فتأملاً إلى ما فيه من الذهب والفضة قالوا هذه الغنائم التي وعدنا الله بها واخبرنا انه يجعلها لنا .

علي في بيت المال :

قال ابو الاسود الدؤلي وقد سمعت هذا منها ورأيت علياً بعد ذلك وقد دخل بيت مال البصرة فلما رأى ما فيه قال يا صفراء بيضاء غري غيري ، المال يعسوب الطلبة وانا يعسوب المؤمنين فلا والله ما التفت الى ما فيه ولا فكر فيما رآه منه وما وجدته عنده إلا كالتراب هو انا فتمجبت من القوم ومنه عليه السلام فقلت اولئك بمن يريد الدنيا وهذا بمن يريد الآخرة وقويت بصيرتي فيه ، ولما استقر الامر عند القوم بعد خروج عثمان بن حنيف وعلم طلحة والزبير وعائشة ان أمير المؤمنين بنى قار ينتظر الجوع وانه لا يصبر على ما فعلوه بصاحبه والمسلمين امرت عائشة الزبير ان يستنفر الناس اليه لخطبهم الزبير وامرهم بالجد والاجتهاد وقال لهم ان عدوكم قد اظلمكم واقه ان ظفر بكم لا ترك بكم

عيناً تطرف فانهضوا اليه حتى نكب عليه قبل ان تلحقه انصاره وقال
 لهم امضوا نخذوا أعطيتكم فلما رجع إلى منزله قال له ابنه عبد الله امرت
 الناس أن يأخذوا أعطيتهم ليتفرقوا بالمال قبل ان يأتي علي بن ابي طالب
 فتضعف بئس الرأي الذي رأيت فقال له الزبير اسكت ويحك ما كان
 غير الذي قلت فقال طلحة صدق عبد الله وما ينبغي ان يسلم هذا المال
 حتى يقرب منا علي فنضعه في موضعه فيمن يدفعه عنا فغضب الزبير
 وقال والله لو لم يبق إلا درهم واحد لأعطيته فلامته عائشة على ذلك
 ووافق رأيها برأى الرجلين فقال الزبير والله لتدعوني أو ألق بمعاوية
 فقد بايع في الشام الناس فأمسكوا عنه .

الزبير شاك متردد :

وروى داود بن ابي هند عن ابن عمرة مولى الزبير ان الزبير قال
 يؤمئذ لو كان لي الف فارس إلى خمسمائة فارس ينهضون معي الساعة
 لاسير بهم إلى علي فاما ان آتي به بيتاً أو أصحبه صباحاً لعلّي اقتله قبل
 ان يأتيه مدده فلم يخف معه احد فاعتاظ لذلك وقال هذه والله الفتنة التي
 كنا نتحدث بها فقال له مولاه ابو عمرة رحمك الله يا أبا عبد الله تسميها
 فتنة ثم ترى القتال فيها فقال له ويحك انا نبصره ولكن لا نصبر ثم قال
 بعد ذلك بيوم او يومين والله ما كان امر قط إلا علبت اين اضع قدمي
 فيه إلا هذا الامر فاني لم أدر أنا فيه مقبل ام مدبر فقال له ابنه عبد
 الله والله ما بك هذا وانا انتعمى فما يحملك على هذا القول إلا انك
 أحسست برايات ابن ابي طالب قد أظلت وعلبت ان الموت الناقع تحتها
 فقال له اعزب ويحك فانك لا علم لك بالامور .

وروى الحرث بن الفضل عن أبي عبد الله الاغر ان الزبير بن
 العوام قال لابنه يومئذ ويحك لا تدعنا على حال انت والله قطعت بيننا

وقررت الفتنة بما بليت به من هذا المسير وما كنت متولياً من ولي هذا الامر واقام به والله لا يقوم احد من الناس مقام عمر بن الخطاب فيهم فن ذا يقوم مقام عمر بن الخطاب وان سرنا بسيرة عثمان قتلنا فما اصنع بهذا المسير وضرب الناس بعضهم ببعض فقال له عبد الله ابنه اقتدع علياً يستولى على الامر؟ وأنت تعلم انه كان احسن اهل الشورى عند عمر بن الخطاب واقدم أشار عمر وهو مطعون يقول لاصحابه اهل الشورى وبلكم اطعموا ابن ابى طالب فيها لا يفتق في الاسلام قتلاً عظيماً ومنوه حتى يجمعوا على رجل سواه .

ولما صار عثمان بن حنيف إلى ذى قار واقام بها مع أمير المؤمنين وهو مريض بعالج حتى ورد على أمير المؤمنين دعاه اهل الكوفة .

فصل : وروى الواقدي عن شيبان بن عبد الرحمن عن عامر بن كليب عن ابيه قال لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيراً حتى أقبل علي بن ابى طالب بنى قار فقال شيخان من الحنظلي اذهب بنا إلى هذا الرجل فلننظر ما يدعو اليه فلما اتينا (ذا قار) قدمنا على أذكى العرب فواته لدخل على نسب قومي فجعلت اقول هو اعلم به مني واطوع فيهم فقال من سيد بنى راسب فقلت فلان قال فن سيد بنى قدامة قلت فلان لرجل آخر فقال انت مبلغها كتابين منى ؟ قلت نعم قال أفلا تبايعاني ؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون بايع بايع فقال عليه السلام دعوا الرجل فقلت انما بعثني قومي رائداً وسأنهى اليهم ما رأيت فان بايعوا بايعت وان اعتزلوا اعتزلت فقال لي رأيت لو ان قومك بشوك رائداً فرأيت روضة وغديراً فقلت يا قومي النجعة النجعة فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك فأخذت باصبع من اصابعه فقلت ابايع على ان اطيعك ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لك علينا

فقال نعم وطول صوته فضربت على يده ثم التفت إلى محمد بن حاطب وكان من ناحية القوم فقال إذا انطلقت إلى قومك فابلغهم كتيبي وقولي فتحول إليه محمد حتى جلس بين يديه فقال ان قومي إذا اتيتهم يقولون ما يقول صاحبك في عثمان فنبسب عثمان الذين حوله فرأيت علياً قد كره ذلك حتى رشح جبينه وقال ايها القوم كفوا ما اياكم يسأل ولا عنكم سائل قال فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على علي أهل الكوفة فجعلوا يقولون نرى اخواننا من اهل البصرة يقاتلوننا وجعلوا يضحكون ويمججون ويقولون والله لو التقينا لتعاطينا الحق كأنهم يرون انهم لا يقتلون وخرجت بكتاب علي دع، فأنتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب وأجابه ودلت على الآخر وكان متوارياً فلو انهم قالوا له كليب ما اذن لي فدخلت عليه ودفعت الكتاب اليه وقلت هذا كتاب علي واخبرته الخبر وقلت اني اخبرت علياً لانك سيد قومك فأني أن يقبل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله وقال لاجحة لي اليوم في السؤدد فوالله اني ابا لبصرة ما رجعت إلى علي حتى نزل العسكر ورأيت الغر الذين مع علي عليه السلام وطلع القوم .

اخبار علي بمدد من يأتيه من الكوفة :

وروى نصر بن عمرو بن سعد عن الاحلج عن زيد بن علي قال لما أبطأ على علي دع، خبر اهل البصرة وكانوا في فلاة قال عبد الله بن عباس فأخبرت علياً بذلك فقال لي اسكت يا ابن عباس فوالله ليأتينا في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستائة رجل وليغلن أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير فوالله انني استشرف الاخبار واستقبلها حتى اذا اتى راكب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها من

علي . دع ، لم تنقص برجل واحد (١) .

وروى اسماعيل بن عبد الملك بن يحيى بن شبل عن ابي جعفر محمد ابن علي . دع ، قال لما سار علي من ذى قار قاصداً البصرة حتى نزل الحربية في اثني عشر الف وعلى الميمنة عمار بن ياسر في الف رجل وعلى الميسرة مالك الاشر في الف رجل ومعه في نفسه عشرة آلاف رجل وخرج اليه من البصرة الفا رجل خرجت اليه ربيعة كلها إلا مالك بن مسمع منها وجاءته عبد القيس بأجمعها سوى رجل واحد تخلف عنها وجاءته بنو بكر يرأسهم شقيق بن ثور السدوسي ورأس عبد القيس عمر ابن جرموس العبدى وأتاه المهلب بن أبي صفرة فيمن تبعه من الازد

موقف الاحنف :

وبعث اليه الاحنف بن قيس يقول له اني مقيم على طاعتك في قومي . فان شئت حبست عنك اربعة آلاف سيف من بني سعد فبعث اليه امير المؤمنين . دع ، بل احبس وكف لجمع الاحنف قومه فقال يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم لم يهيجوكم وان ظهر علي . دع ، سلمتم فكفوا وتركوا التتال (٢) واقبل هلال بن وكيع الحنظلي الى الاحنف بن قيس حين بنغه ذلك فقال ما يقول سيدنا في هذا الامر ؟ فقال الاحنف انما اكون سيدكم غداً اذا قلت لانا وبقيت فقال هلال (٣) بل انت سيدنا اليوم

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٩٩) قال ابو الطفيل اخبرنا علي عليه السلام بمن يأتيه من اهل الكوفة اثنا عشر الف رجل ورجل فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا .

(٢) المصدر .

(٣) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠١) انه هلال بن وكيع -

وشيخنا فقال الاحنف أنا شيخكم المعصي وأنت الشاب المطاع أقعد في بيتك ولا تخرج مع طلحة والزبير فأبى أن يرضى ثم دعا تميماً كلهم فبايعوه إلا نفر منهم فبلغ طلحة والزبير ما فعله الاحنف فبعثا اليه يستميلانه ويرومان أن يدخل في طاعتها فقال اختاروا مني احدى ثلاث خصال اما ان أقيم في بيتي واكف نفسي ولا اكون معكما ولا عليكما واما ان الحق بعلي بن ابي طالب واما ان أأتى الى الامواز فأقيم بها فقالا تنظر في ذلك ثم استشارا من حضرهما فقالوا لها اما على فعدوكم ولاحظ في أن يكون معه الاحنف واما الامواز أن أتاها يلحق به كلن لا يريد القتال معكما منهم ولكن يكون قريباً منكاً فان تحرك وطأتماه على صاخه فأمراه باقعود فأبى (وادى السباع) واقام به (١) .

ولما قدم رسول الاحنف على علي (ع) بما بذله من كف قومه عنه قال رجل يا أمير المؤمنين من هذا ؟ قال ادعى العرب وخيرهم لقومه فقال كذلك هو واني لامل بينه وبين المغيرة بن شعبه لزم الطوائف فأقام بها ينتظر على من تستقيم الامة فقال الرجل انى لاحسب ان الاحنف لا سرح إلى ما تحب من المغيرة فقال علي (ع) اجل ما يبالي المغيرة اى لواء رفع لواء ضلالة او هدى ،

وروى الواقدي قال حدثني معمر بن راشد عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى قال اقبل ابو بكره يريد أن يدخل مع طلحة والزبير في امرهما فلما رأى عائشة تدبرهما رجع عنها فقيل له مالك لم تدخل معهما فقال رأيت امرأة تلى امرهم وقد سمعت رسول الله يقول وقد ذكر ملكة سباً فقال لا أفلح قوم تدبرهم امرأة فكرهت الدخول معهم .

— ابن مالك بن عمرو .

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٩٧ و ص ٢٠١) .

وروى عبد الله بن عطا عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال أعزّل
أبي أن يدخل مع عائشة قال أنى سمعت رسول الله يقول لا يفلح قوم
تلى أمرهم امرأة (١) .

كتاب عائشة إلى المدينة واليمامة :

فصل : وروى الواقدي عن رجاله قال لما أفرج القوم عن عثمان
ابن حنيف (ره) لما خلفوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى
أهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي (ص)
وأبنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه
وقد قال الله تعالى : (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق) الآية . ولكم الويل بما تصفون فاتقوا الله عباد الله وأسمعوا
وأطيعوا وأعتصموا بحبل الله جميعاً وعرورة الحق ولا تتصلخوا على أنفسكم
سيلا فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن
العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن
أجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملاء منهم وتشاور فانا ندخل
في دخال ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا واطيعوا واعينوا
على ما سمعتم عليه من أمر الله .

وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الاول سنة

ست وثلاثين (٢) .

(١) الفيض القدسي شرح الجامع الصغير (ج ١ - ص ٣٠٣) عن
الحاكم والبخاري في المغازي والفتن والرمذي في الفتن والنسائي في
القضاء قال وفيه دلالة على انها لا تصلح لشي من امور الزعامة .

(٢) عند ابن الاثير (ج ٣ - ص ٨٦) انه كتب في جمادى .

وكتبت إلى أهل النمامة وأهل تلك النواحي :

أما بعد فإني أذكركم الله الذي انعم عليكم وألزمكم بالإسلام فإن الله تعالى يقول : (ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها أن ذلك على الله يسير) فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فإن اممكم ناصحة لكم فيما تدعون اليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد اظهر الله عليه وان ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وانا أقبلنا اليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله وان يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم واجمع لا مرهم وكان ذلك لله على المسلمين فيه الطاعة فاما أن ندرك به حاجتنا او نبليغ عذراً .

فلما دنونا بالبصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجوع وأمرهم أن يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر وقالوا فينا المنكر فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا لعثمان بن حنيف ويحك انما تابعنا زوج النبي وام المؤمنين واصحاب رسول الله وأئمة المسلمين قتادى في غيه وأقام على أمره فلما رأى المسلمون انه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم غضبوا الله عز وجل ولا م المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبنا في ثلاثة آلاف من جهة العرب وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتسنا أن يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله .

حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس وإنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا مناغرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لأنفسهم ولم يخرج ومن معه حتى هجموا علينا وأباحوا سدة بيتي ومعهم صنابير لهم

ليسفكوا دمي فوجدوا نفراً على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر من القرشيين والازديين فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهمزوا فلم تعرض لبعيتهم وخلينا ابن حنيف منأ منا عليه وقد توجه إلى صاحبه وعرفنا كم ذلك عباد الله لتكونوا على ما كنتم عليه من النية في نصرة دين الله والغضب لخليفته المظلوم .

و يروى الواقدي عن عبد بن السلام بن حفص قال حدثني المنهال أبو سلم البصري قال لما بدى لطلحة والزبير في حبس عثمان بن حنيف واشفقنا من أخيه سهل بن حنيف على مخلفيهم في المدينة أطلقوه فتوجه إلى أمير المؤمنين د ع ، وهو بندي قار .

خطبة طلحة :

فلما عرفنا خروجك إليه قام طلحة في الناس خطيباً فنعى إليهم عثمان لابن عفان وذكر قاتليه وأكثر النعم لهم والشتم وعزا قتله إلى علي بن أبي طالب د ع ، وأنصاره وذكر أن علياً أكره الناس على البيعة له فقال فيما قال : يا معشر المسلمين أن الله قد منحكم بام المؤمنين وقد عرفتم حقها ومكاتها من رسول الله (ص) ومكان أبيها من الاسلام فهذه هي تشهد لنا إنما لم نكذبكم فيما أخبرناكم به ولا غررناكم فيما دعوناكم إليه من قتال ابن أبي طالب وأصحابه الصادين عن الحق ولسنا نطلب خلافة ولا ملكاً وإنما نحذركم أن تغلبوا على أمركم وتقصروا دون الحق وقد رجونا أن يكون عندكم عوناً لنا على طاعة الله وصلاح الامة فانا احق من عناء أمر المسلمين ومصالحهم .

وأن علياً لو عمل الجدة في نصرة أمكم لاعتزل هذا الامر حتى تختار الامة لانفسها من ترضاء .

فقال أهل البصرة مرحباً وأهلاً وسهلاً بام المؤمنين والحمد لله الذي

أكرمنا بها واتم عندنا رضی وثقة وأنفسنا مبذولة لكم ونحن نموت
على طاعتكم ورضاكم .

ثم أنصرفوا وساروا الى عائشة فسلوا عليها وقالوا قد علمنا أن أمنا
لم تخرج الينا إلا لثقتنا بنا وأنها تريد الإصلاح وحقن الدماء وأطفاء
الفتن والالفة بين المسلمين وانا نتظر أمرها في ذلك فان أبي عليها احد
فيه قاتلناه حتى يفىء الى الحق .

وبلغ كلام طلحة مع أهل البصرة الى عبد بن حكيم التيمي فصار اليه
وقال له يا طلحة هذه كتبك وصلت الينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك
عندنا بالتأليب عليه حتى قتل ويبيعتك علياً في جماعة الناس ونكثك بيعته
من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك وفيما جئت بعد الذي عرفناه من
رأيك في عثمان فقال له طلحة اما عبي بن عثمان وتأليبي عليه فقد كان فلم
نجد لنا من الخلاص منه سيلا إلا التوبة فيما إقترفناه من الجرم له والاخذ
بدمه فاما بيعتي له فاني اكرهت على ذلك وخشيت منه أن يؤلب على
أن أمتنع من بيعته ويفري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله فقال له
عبد الله بن حكيم هذه معاذير يعلم الله باطن الامر فيها وهو المستعان
على ما نخاف من عاقبة أمرها .

خطبة أخرى له :

وروى عبد الله بن عبيدة قال لما كان من كلام عبد الله بن حكيم
ما كان قام طلحة لحمد الله واثني عليه وقال أن رسول الله (ص) توفي
وهو عنا راض وكنا مع أبي بكر حتى توفاه الله فمات وهو عنا راض
ثم كان عمر بن الخطاب فسمعناه وأطعناه حتى قبض وهو عنا راض
فأمرنا بالتشاور في أمر الخلافة من بعده واختار ستة نفر ورضيهم
للامر فاستقام أمرنا على رجل من الستة ولينا واجتمع رأينا عليه وهو

عثمان وكان أهلاً لذلك فبايعناه وسمعنا له وأطعناه فأحدث بعد ذلك
لأحدنا لم تكن على عهد أبي بكر وعمر فكرها الناس منه ولم يكن
لنا بد مما صنعناه .

وأخذ هذا الرجل الأمر دوننا من غير مشورتنا وتغلب عليه ونحن
فيه وهو شرع سواء فأتى بنا إليه ونحن أكره الناس إليه واللح على
اعتناقنا فبايعناه كرهاً والذي نطلب منه أيها الناس الآن أن يدفع إلى
ورثة عثمان قاتليه فإنه قتل مظلوماً وينخلع هذا الأمر ويعزله ليتشاور
المسلمون فيمن يكون إماماً كسنة عمر بن الخطاب فإذا استقام رأينا
ورأى أهل الإسلام على رجل بايعناه .

فلما فرغ من كلامه قام عظيم من عظماء عبد القيس لحمد الله وأثنى
عليه ثم قال :

أيها الناس أنه قد كان وال هذا الأمر وقوامه المهاجرون والأنصار
بالمدينة ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ما أبرموا ولا
يرموا ما نقضوا فكانوا إذا رأوا رأياً كتبوا به إلى الأمصار فسمعوا
لهم وأطاعوا وأن عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان
حتى قتل وبايع الناس علياً وبايعه في جملتهم طلحة والزبير فجاءنا نأهما
ببعض ما به فبايعناه فوالله لا نخلع خليفتنا ولا ننقض بيعتنا .

فصاح عليه طلحة والزبير وأمرنا بقرض لحيته ففتنوها حتى لم
يبق منها شيء .

وقام رجل من بني جشم فقال :

أيها الناس أنا فلان ابن فلان فاعرفوني وإنما أنتسب لهم ليعلموا
أن له عشيرة تمنعه فلا يعجل عليه من لا يوافقك كلامه قال أيها الناس
أن هؤلاء القوم ان كانوا جاؤكم يطلبون بدم عثمان فوالله ما نحن قتلنا
عثمان وان كانوا جاؤكم خائفين فواقه ما جاؤا إلا من حيث يأمن الطير

فلا تغفروا بهم واسمعوا قولي وأطيعوا أمري وردوا هؤلاء القوم إلى
مكانهم الذي منه أقبلوا وأقيموا على بيعتكم لإمامكم وأطيعوا لاميركم .
فصاح عليه الناس من جوانب المسجد وقذفوه بالحصى .

ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس فقال :

أيها الناس انصتوا حتى أنكلم فقال له عبد الله بن الزبير ويحك
ما لك وللكلام فقال ما لي وله انا والله للكلام به وفيه ثم حمد الله وأثنى
عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال : يا معاشر المهاجرين كنتم أول الناس
إسلاماً بعث الله محمداً نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم وأسلمنا لاسلامكم فكتمتم
فيه القادة ونحن لكم تبع ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلاً منكم لم
تستأذنوننا في ذلك فسلمنا لكم ثم أن ذلك الرجل توفي واستخلف عمر
ابن الخطاب فوالله ما استشارنا في ذلك فإرضيتم به رضينا وسلمنا ثم
أن عمر جعلها شورى في ستة نفر فاخترتم منهم واحداً فسلمنا لكم
واتبعناكم ثم أن الرجل أحدث أحداثاً أنكرتموها فحصرتموه وخلعتموه
وقلتموه وما استشرتمونا في ذلك ثم بايعتم علي بن أبي طالب وما
استشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنا لكم تبعاً فوالله ما ندرى بماذا
نقضتم عليه ؟ هل استأثر بما ؟ أو حكم بغير ما أنزل الله ؟ أو أحدث
منكراً ؟ فحدثونا به تكن معكم فوالله ما نراكم إلا قد ضللتم بخلافكم
له فقال له ابن الزبير ما أنت وذاك وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه
فمنعهم عشيرته .

خطبة عائشة :

فصل : وروى محمد بن عمر الواقدي عن موسى بن طلحة قال لقد
شهدت عائشة يوم الجمل وقد سألها الناس عن عثمان فما رأيت أفصح منها
لساناً ولا أربط منها جناحاً فاستجلبت الناس بيديها ثم حمدت الله

وأنت عليه وقالت :

أيها الناس إنا نعمننا على عثمان لخصال ثلاثة : إمارة بالفضى وضربه بالسوط ورفعنا موضعا للإمامة حتى إذا عتبتنا منهن مصوه مص الماء بالصابون ثم عدوا عليه فاستحلت منه حرمان ثلاث حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الخلافة والله لعثمان كان أقيم الرب وأوصلهم للرحم وأعظمهم للفرج أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وروى اسرافيل بن يونس عن أبي اسحق الهمداني قال جاء جليد ابن زهير الجشمي وعبد الله بن عامر التيمي فدخلوا على عائشة فسلما عليها فقالت من هذان الرجلان ؟ فقيل لها هذان زهير بن جليد صاحب خراسان وهذا عبد الله بن عامر التيمي فقالت هما معنا ام علينا ؟ فقالا لا معك ولا عليك حتى يتبين لنا الأمر فقالت كفى بالاعتزال نصرة .

وروى عمر بن صباح قال اجتمع نفر من وجوه البصرة إلى طلحة والزبير فقالوا لها فان ولاية عثمان غير كما فدعوا ولاته يطالبون بدمه والله ما نراك انصفتنا رسول الله (ص) في حبيسته عرضتها للرياح والشموس والقتال وقد أمرها الله ان تفر في بيتها وتركتنا نساء كما في الاكثان والبيوت هلا جثتا بنسائكما معكما فقال لهم طلحة اغربوا عنا قبحكم الله (١) .

وجاء عمرو بن حصين إلى عائشة فقال لها قد كان لك يا عائشة في اخوانك عبرة وفي امثالك من امهات المؤمنين اسوة اما سمعت الله تعالى يقول : وقرن في بيوتكن . فلو اتبعت امر الله كان خيرا لك فقالت

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٦) ان جارية بن قدامة السعدي قال للزبير وطلحة جثتا بام المؤمنين فهل جثتا بنسائكما ؟ قال لا فقال فانا منك في شيء واعتزل القتال ثم قال من ابيات ذكرها صتم حلالكم وقدتم امكم هذا لعمرك قلة الانصاف

له يا عمر قد كان ما كان فهل عندك عوناً لنا وإلا فاحبس عنا لسانك
قال اعتزل علياً قالت رضيت بذلك منك .

النصيحة لأصحاب الجمل :

فصل : ولما سار أمير المؤمنين «ع» من ذى قار قدم صعصعة بن
صوحان بكتاب على «ع» إلى طلحة والزبير وعائشة يعظم عليهم حرمة
الاسلام ويخوفهم فيما صنعوه وقبيح ما ارتكبوه من قتل من قتلوا من
المسلمين وما صنعوا بصاحب رسول الله (ص) عثمان بن حنيف رحمه
الله وقتلهم المسلمين صبراً ووعظهم ودعاهم إلى الطاعة قال صعصعة
رحمه الله فقدمت عليهم فبدأت بطلحة واعطيته الكتاب واديت الرسالة
فقال الآن حين عضت ابن ابى طالب الحرب ترفق لنا ثم جئت إلى
الزبير فوجدته ألين من طلحة ثم جئت إلى عائشة فوجدتها اسرع
الناس إلى الشر فقالت نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لا فعلن
وافعلن فعدت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلقية قبل ان يدخل
البصرة فقال ما وراك يا صعصعة ؟ قلت يا امير المؤمنين رايت قوماً
ما يريدون إلا قتالك فقال الله المستعان .

ثم دعا عبد الله بن عباس فقال انطلق اليهم فناشدهم وذكرهم العهد
الذى لى فى رقابهم قال ابن عباس جئتهم فبدأت بطلحة فذكرته العهد
فقال لى يا ابن عباس والله اقد بايعت علياً واللع على رقبتي فقلت له أنا
رأيتك بايعت طايماً او لم يقل لك على بيعتك له ان احببت ابايعك
فقلت لا بل نحن نبايعك ؟

فقال طلحة إنما قال لى ذلك وقد بايعه قوم فلم استطع خلافهم والله
يا ابن عباس ان القوم الذين معه يغرونه وقد لقيناه فسيسلونه اما عملت
يا ابن عباس انى جئت اليه والزبير ولنا من الصحبة ما لنا مع رسول الله

والقدم في الاسلام وقد احاط به الناس قياماً على رأسه بالسيف فقال
لنا يهزل ان احببتنا بايعت لكما فلو قلنا نعم اقتراه يفعل؟ وقد بايع الناس
له فليخلع نفسه ويبايعنا لا والله ما كان يفعل وحتى ان يغري بنا من
لا يرى انا حرمة فبايعناه كارهين وقد جئنا نطلب بدم عثمان قتل لابن
عمك ان كان يريد حقن الدماء واصلاح امر الامة فليمكننا من قتل
عثمان فهم معه ويخلع نفسه ويرد الامر ليكون شورى بين المسلمين
فيولوا من شاؤوا فانما على د ع، رجل كأحدنا وان ابى اعطيناه السيف
فاله عندنا غير هذا .

قال ابن عباس يا ابا محمد لست تنصف لم تعلم انك حصرت عثمان حتى
مكك عشرة ايام يشرب ماء برة وتمنعه من شرب الماء حتى كلبك على
في ان تمخلى الماء له وانت. تأبى ذلك ولما رأى اهل مصر فعلك وانت
صاحب رسول الله (ص) دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه ثم بايع الناس
رجلاه من السابقة والفضل والقرابة برسول الله (ص) والبلاء العظيم
ما لا يدفع وجئت انت وصاحبك طائعين غير مكروهين حتى بايعتما ثم
نكشتما فعجب والله اقرارك لأبى بكر وعمر وعثمان بالبيعة ووثوبك على
ابن ابى طالب فوالله ما على د ع، دون احد منكم واما قولك بمكنتي
من قتل عثمان فما يخفى عليك من قتل عثمان واما قولك ان ابى على د ع،
فالسيف فوالله انك تعلم ان علياً لا يتخوف .

فقال طلحة إيهما الآن دعنا من جدالك .

قال فخرجت إلى علي وقد دخل البيوت بالبصرة فقال ما ورائك
فأخبرته الخبر فقال اللهم اقتح بيننا بالحق وانت خير الفاتحين ثم قال
ارجع إلى عائشة واذكر لها خروجها من بيت رسول الله (ص)
وخوفها من الخلف على الله عز وجل ونبذها عهد النبي (ص) وقل لها
ان هذه الامور لا تصلحها النساء وإنك لم تؤمرى بذلك فلم ترضى

بالخروج عن امر الله في تبرجك وبيتك الذي امرك النبي بالمقام فيه حتى
سرت إلى البصرة فقتلت المسلمين وعمدت إلى عمالي فأخرجتهم وفتحت
بيت المال وامرت بالتكليف بالمسلمين وأبحت دماء الصالحين فارعى
وراقبي الله عز وجل فقد تعلمين انك كنت اشد الناس على عثمان
فاعدا بما بدا .

قال ابن عباس فلما جئتها وأديت الرسالة اليها وقرأت كتاب علي
عليه السلام عليها .

قالت يا ابن عباس ابن عمك يرى انه قد تملك البلاد لا والله ما بيده
منها شيء إلا ويبدنا اكثر منه .

فقلت يا امامه ان امير المؤمنين «ع» له فضل وسابقة في الاسلام
وعظم عناه .

قالت ألا تذكر طلحة وعناه يوم احد قال فقلت لها والله ما نعلم
احداً اعظم عناه من علي «ع» .

قالت انت تقول هذا ومع علي اشياء كثيرة قلت الله الله في دماء
المسلمين قالت واى دم يكون للمسلمين إلا ان يكون علي يقتل نفسه
ومن معه قال ابن عباس فتبسمت فقالت بما تضحك يا ابن عباس ؟ .

فقلت والله معه قوم على بصيرة من امرهم يبذلون مهجهم دونه قالت
حسبنا الله ونعم الوكيل .

قال وقد كان امير المؤمنين اوصاني ان اتى الزبير وان قدرت ان
اكله وابنه ليس يحاضر لجت مرة او مرتين كل ذلك اجده عنده ثم
جئت مرة اخرى فلم اجده عنده فدخلت عليه وامر الزبير مولاه
شرحساً ان يجلس على الباب ويحبس عنا الناس لجلت اكله فقال
عصيتم ان خولقتم والله لتعلمن عاقبة ابن عمك فعلت ان الرجل مغضب
لجلت الاينه فيلين مرة ويشتد اخرى .

فلما سمع شرحساً ذلك أنفذ إلى عبد الله بن الزبير وكان عند طلحة فدعاه فأقبل سريعاً حتى دخل علينا .

فقال يا ابن عباس دع بنيات الطريق بيننا وبينكم عهد خليفة ودم خليفة وانفراد واحد واجتماع ثلاثة وام مبرورة ومشاورة العامة .

فأمسكت ساعة لا اكله ثم قلت لو اردت ان اقول لقلت فقال ابن الزبير ولم توخر ذلك ؟ وقد لحم الامر وبلغ السيل الزبي قال ابن عباس فقلت ما قولك عهد خليفة فان عمر جعل الشورى إلى ستة نفر فجعل النفر امرهم إلى رجل منهم يختار لهم منهم ويخرج نفسه منها فعرض الامر على علي خليف عثمان وأبي علي ان يحلف فبويح عثمان فهذا عهد خليفة واما دم خليفة فدمه عند ابيك لا يخرج ابوك من خصلتين اما قتل واما خذل واما الانفراد واجتماع ثلاثة فان الناس لما قتلوا عثمان فزهوا إلى علي فبايعوه طوعاً وتركوا اباك وصاحبه ولم يرضوا بواحد منها واما قولك ان معكم امأ مبرورة فان هذه الام اتما اخرجتها من بيها وقد امرها الله تعالى ان تقر فيه فأبيت ان تدعها وقد علمت انت وابوك ان النبي (ص) حذرهما من الخروج وقال لها يا حميرا إياك ان تنبحك كلاب الحوآب (١) وكان منها ما قد رأيت وأما دعواك مشاورة العامة فكيف يشاور فيمن قد اجتمع عليه وانت تعلم ان اباك وطلحة بايما طائعين غير كارهين فقال ابن الزبير الباطل والله ما تقول يا ابن عباس وقد سئل عبد الرحمن بن عوف عن اصحاب الشورى فكان صاحبكم اخيهم عنده وما ادخله عمر في الشورى إلا وهو يقرفه ولكنه خاف فتقه في الاسلام واما قتل خليفة فصاحبك كتب إلى الآفاق حتى قدموا عليه ثم قتلوه وهو في داره بلسانه ويده وانا معه في الدار اقاتل دونه حتى جرحت بضعة عشر جرحاً واما قولك ان علياً بايعه الناس

(١) ابن حجر في تطهير الجنان بهامس الصواعق المحرقة ص ١٠٨

طايعين فوالله ما بايعوه إلا كارهين والسيف على رقابهم غضبهم امره
فقال الزبير دع عنك ما ترى يا ابن عباس جئتنا لتوفينا فقال له ابن
عباس اتم طلبتم هذا والله ما عددناك قط إلا منا بنو هاشم لأنهم اخوالك
ومحبتك لهم حتى ادرك ابنك هذا فقطع ارحامهم فقال الزبير دع عنك هذا

علي ينظم الجيش :

ولما عاد رسل أمير المؤمنين من طلحة والزبير وعائشة باصرارهم على
خلافه وإقامتهم على نكح بيعته والمباينة له والعمل على حربه واستحلال
دماء شيعته وانهم لا يتعظون بوعظ ولا يتهون عن الفساد بوعيد
كتب الكتاب ورتب المساكر واستعمل على مقدمته عبد الله بن
عباس رحمه الله وعلى ساقته هند المرادي ثم الجلي وهو الذي قال فيه
عمر بن الخطاب سيد اهل الكوفة اسمه اسم امرأة واستعمل على كافة
الخيال عمار بن ياسر وعلى جميع الرحالة محمد بن ابي بكر ورفق الرايات
من بعده فجعل على خيل مذبح خاصة هند الجلي وعلى رجالها شريح
ابن هاني الحارثي وعلى خيل همدان سعيد بن قيس وعلى رجالها زياد
ابن كعب بن مرة وعلى خيل كندة حجر بن عدى وعلى خيل مجيلة
ورجالها رفاعة بن شداد وعلى خيل قضاة ورجالها عدى بن حاتم وعلى
خيال خزاعة وأقناء الين عبد الله بن زيد وعلى رجالها عمرو بن الحق
الجزاهي وعلى خيل الأزدي جندب بن زهير وعلى رجالها أبا زينب الذي
شهد على الوايعد بن عقبة بشرب الخمر وكان سبب صرفه وأقام الحد
عليه وعلى خيل بكر بن وائل عبد الله بن هاشم السدوسي وعلى
رجالها حسان بن مخلد وعلى خيل عبد القيس من أهل
الكوفة زيد بن صوحان العبدي وعلى رجالها الحرث بن مرة العبدي
وعلى خيل بكر بن وائل من أهل البصرة سفیان بن ثور السدوسي

وعلى رجالها الحسين بن المنذر وهو الذى قال فيه امير المؤمنين «ع»
يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حصين تقدا
وعلى المهازم خاصة جوهر بن جابر الخضر وعلى الدهلين خالد بن
المعر السدوسى وعلى خيل عبد القيس من اهل البصرة المنذر بن
الجارود العبدى وعلى خيل اسد قيصة بن جابر الاسدى وعلى رجالها
العكبر بن وائل الاسدى وهو الذى قتل محمد بن طلحة فى ذلك اليوم
وعلى خيول اهل الكوفة من بنى تميم عمير بن عطارد وعلى رجالها
معقل بن قيس وهو الذى سبا بنى ناجية وعلى خيل قيس غيلان من
اهل الكوفة عبد الله بن الطفيل البكالى وعلى رجالها قرة بن نوفل
الاشجعى صاحب النخيلة وعلى خيل قريش وكنانة هاشم بن عتبة
ابن ابي وقاص المرقال وعلى رجالها هاشم بن هاشم وعلى من صار
اليه من تميم البصرة جارية بن قدامة السعدى وعلى رجالها عين بن
سنيعة فأحاط العسكر يومئذ من الفرسان المعروفين والرجال المشهورين
على ستة عشر الف رجل .

ولما بلغ طلحة والزبير ان امير المؤمنين عليه السلام كتب الكتائب
ورتب العساكر وتيقنوا منه الجد وايقنوا منه القصد والحرب عمدا
على الاستعداد لها وكان اهل البصرة قد اختلفوا عليها وقعد الاخنف
فى بنى سعد وكانا يظنان انه معهم فأخلف ظنهم وتأخر عنها الازد
لقعود كعب بن شور القاضى (١) عنها وكان سيد الازد واهل اليمن
بالبصرة فأنفذا اليه رسوليها يسألانه النصر لهما والقتال معهما فأبى عليهما
وقال انا اعتزل الفريقين فقالا لئن قعد عنا كعب خذنا الازد بأسرها
ولاغنى لنا عنه فصارا اليه وأستاذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبتها فصارا

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٣) ذكره بالسين المهملة .

إلى عائشة فخرها خبره وسألاها ان تسير اليه فأبت وراسلته تدعوه
إلى الحضور عندها فاستعفاها من ذلك .

فقال طلحة والزبير يا ام ان قعد عنا كعب قعدت عنا الأزد كلها
وهي حي البصرة فاركبي اليه فانك ان فعلت لم يخالفك واتقاد رأيك
فركبت بنلا وأحاط بها نفر من اهل البصرة وصارت إلى كعب بن
شور فاستأذنت عليه فأذن لها ورحب بها فقالت يا بني ارسلت اليك لتنصر
الله عز وجل فما الذي اخرك عني ؟ فقال يا اماه لا حاجة لي في خوض
هذه الفتنة فقالت يا بني اخرج معي وخذ بخظام جلي فاني ارجو أن
يقربك بي إلى الجنة واستعبرت باكية فرق لها كعب بن شور واجابها
وعلق المصحف في عنقه وخرج معها فلما خرج والمصحف في عنقه
قال غلام من بني وهب وقد كان عرف امتناعه وتأنيه عن خوض هذه
الفتنة يقول :

أيا كعب رأيك ذاك الجزيل	امثل من رأيك الخاطل
أتاك الزبير يدير الامور	وطلحة بالنقل الثاقل
ليستدرجاك بما زخرفا	وامك تهوى إلى نازل
وقد كانت الام معصومة	فأضحت فرائس الاكل
تخط بها الأرض مرحولها	ترد الجواب على السائل
فالفيتها بين حي السباع	وعرضتها للشحي الثاقل
بحرب على وأصحا به	فقد ازم الدهر بالكاهل
فأبديت للقوم ما في الضمير	وقلت لهم قولة الخاذل
فأخطأها منك ما املاه	وقد اخلفا امل الآمل
وما لك في مصر من نسبة	وما لك في الحي من وائل
فلا تيجزعن على مالك	من القوم حلف ومن ناعل
ولما نهض كعب بن شور مع عائشة في الأزد اجتمع رأي طلحة	

والزبير على تكتب الكتائب واستقر الامر معها على ابن الزبير أمير
العسكر خاصة ومديره وطلحة في القلب واللواء مع عبد الله بن حزام
ابن خويلد وكعب بن شور مع الأزد وعلى خيل الميمنة مروان بن
الحكم وعلى رجالة الميمنة عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وعلى خيل الميسرة
وهم بنو تميم وسائر قبائل قضاة وهوازن هلال بن وكيع الدارمي
وعلى رجالة الميسرة عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وقد ضم اليه الحجاب
يزيد وعلى خيل قيس غيلان مجاشع بن مسعود وعلى رجالتهم جابر بن
النعمان الباهلي وعلى خيل الرباب عمرو بن ثيري وعلى رجالتهم خرشنة
ابن عمرو العتيبي وعلى من انحاز اليهم من ثقيف عبد الله بن عامر بن
كريب وعلى ابناء اهل المدينة عبد الله بن خلف الخزاعي وعلى رجالة
مذحج الربيع بن زياد الحارثي وعلى رجالة قضاة عبد الله بن جابر
الراسبي وعلى من انحاز اليهم من ربيعة مالك بن مسمع (١) ولما تقرر
امر الكتائب في الفريقين فرج كل فريق بقومه وقام خطبائهم
بالتحريض على القتال .

خطبة ابن الزبير :

فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم فحمد الله وأثنى عليه وقال :
أيها الناس ان هذا الرعث والوعث قتل عثمان بالمدينة ثم جاءكم
ينشر اموركم بالبصرة وقد غضب الناس انفسهم ألا تنصرون خليفتم

(١) هو مالك بن مسمع بن سيار بن حجر من آل بكر بن
وائل وقد أبوه مسمع على النبي (ص) وأسلم ثم ارتد وقتل بالبحرين
قصاصاً عن كلب قتله لقوم من عبد القيس كما في الحيوان للجاحظ
(ج - ١ ص ١٣٠) وفي معارف ابن قتيبة ص ١٨٤ إذا غضب مالك
غضب معه مائة الف سيف وفي الطبري (ج ٧ - ص ١٦٨) كان -

المظلوم ألا تمنعون حرمكم المباح ألا تتقون الله في عطيتكم من انفسكم
أترضون ان يتوردكم اهل الكوفة في بلادكم اغضبوا فقد غوضبتم
وقاتلوا فقد قوتلم ان علياً لا يرى ان معه في هذا الامر احد سواه والله
ان ظفر بكم ليهلكن دينكم ودينكم .
وأكثر من نحو هذا القول وشبهه .

خطبة الحسن :

فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وقال لولده الحسن «ع ، قم يا بني
فاخطب فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيها الناس قد بلغتنا مقالة ابن الزبير وقد كان والله يتجنى على عثمان
الذنوب وقد ضيق عليه البلاد حتى قتل وان طلحة راكز رايته على
بيت ماله وهو حي واما قوله ان علياً ابتر الناس امرهم فان اعظم حجة
لاييه زعم انه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الوليعة
فليأتني على ما ادعاه برهان وأنى له ذلك وأما تعجبه من تورد أهل
الكوفة على أهل البصرة فاعجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل
ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم نحاكمهم
إلى الله تعالى فيقضى الله الحق وهو خير الفاصلين .

فلما فرغ الحسن «ع ، من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود

— عثمانى العميدة خرج إلى معاوية بعد قتل عثمان وفي ابن الاثير (ج ٤
ص ١١٢) كان معه يوم صفين وفي الأغانى (ج ٩ - ص ٣٥) لما
لجأ إليه مروان بعد وقعة الجمل وطلبه أمير المؤمنين «ع ، لم يدفعه إليه
إلا بعد أن أخذ منه رهينة دفعها إلى أبي حفصة غثيق مروان وقال له
ان حدث بصاحبك حدث فعليك بالرهينة .

واشده شعراً بمدح الحسن (١) .

خطبة طلحة :

قال فلما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن «ع» ومدح المادح له قام
طلحة خطيباً في أصحابه وقال :

يا أهل البصرة قد ساق الله إليكم خيراً ما ساقه إلى قوم قط : امكم
وحرمة نبيكم وحواري رسول الله وابن عمته ومن وقاه بيده ، ان
علياً غصب الناس انفسهم بالحجاز وتهاياً للشام يريد سفك دماء المسلمين
والتغلب على بلادهم فلما بلغه مسيرنا اليكم وقصدنا قصدكم وقد اجتمع
معه مناققوا مضر وأنصار ربيعة ورجالة اليمن فاذا رأيتم القوم فاقصدوا
قصدكم ولا ترعوا عنهم وتقولوا ابن عم رسول الله وهذه معكم زوجة
الرسول وأحب الناس اليه وابنة الصديق الذي كان أحب الخلق إلى
رسول الله (ص) .

فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز
كان قدم البصرة وهو غلام فقال :

يا طلحة والله ما تركت جنباً صحيحاً عليه بشتمك ربيعة ومضر
وايمن وان كان القول كما تقول فانا لمثلهم وهم منا ونحن منهم وما
يفرق بيننا وبينهم غيرك وغير صاحبك ولقد سبقت اليانا من على «ع» ،
بيعة ما ينبغي لنا ان نتقضها وانا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس .
فهم القوم به فتمهم بنو أسد فخرج منهم ولحق بمنزل ابن صهبان
مستخفياً إشفافاً على دمه منهم .

وقام الأسود بن عوف لما سمع طلحة يشتم الأحياء من ربيعة ومضر
واليمن فقال يا هذا ان الله لا يفرق بيننا وبين مضر وان اهل الكوفة من

(١) ذكر الشعر ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١ ص ٤٩)

كن شهد الاخ لى الاخ واما خالفنا القوم فى هو ان فاعفنا بما ترى .
ثم خرج فلحق بعمان ولم يشهد الجبل ولا صفيين .

خطبة أمير المؤمنين :

وبلغ أمير المؤمنين عليه السلام لفظ القوم واجتماعهم على حربته .
فقام فى الناس خطيباً حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ثم قال :
أيها الناس ان طلحة والزبير قدما البصرة وقد اجتمع أهلها على
طاعة اتر وبيعتى فدعوهم إلى معصية الله تعالى وخلافى فن أطاعها منهم
قتنوه ومن عصاهما قتلوه وقد كان من قتلها حكيم بن جبلة ما بلغكم
وقتلهم السبايجة وفعلها بثمان بن حنيف ما لم يخف عليكم وقد كشفوا
الآن القناع واذنوا بالحرب وقام طلحة بالشم والقدح فى أديانكم وقد
أرعد وصاحبه وأبرقا وهذان أمران معها الغشل ولسنا نريد منكم
ان تلقوهم ليطنوا ما فى نفوسكم عليهم ولا ترون ما فى انفسكم لنا
ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر وقد خرجوا من هدى
إلى ضلال ودعوناكم إلى الرضا ودعونا إلى السخط لعل لنا ولكم ردم
إلى الحق والقتال وحل لهم بقصاصهم القتل وقد والله مشوا اليكم
ضارراً وأذا قوكم أمس من الجر فاذا لقيتم القوم غدأ فاعذرونى الدعاء
وأحسنوا فى التقيمة واستمعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين .

فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه وقال :

وما كل من يدعى إلى الحق يسمع	وأبا حسن أيقضت من كان نائماً
وما كل من أعطيته الحق يقنع	وما كل من يعطى الرضا يقبل الرضا
محاسنها والله يعطى ويمنع	وأنت امرء أعطيت من كل وجهة
وما فىك للبرء المخالف مطمع	وما منك بالامر المؤلم غلظة
هداك واجروا فى الضلال فضيعوا	وان رجالا بايعوك وخالفوا

لاهل لتجريد الصوارم فيهم
 فاني لارجو ان تدور عليهم
 وطلحة فيها والزيير قرينه
 فان بمضيا فالجرب أضيح حلقة
 وما بايعوه كارهين لبيعة
 ولا بطيا عنها فراقا ولا بدا
 على نقضها بمن له شد عقدها
 خروج بام المؤمنين وغدرهم
 وذكرهم قتل ابن عفان خدعة
 فعود على نبعة هاشمية
 وسمر العوالي والقنا تززع
 رحى الموت حتى يسكنوا ويصرعوا
 وليس لما لا يدفع الله مدفع
 وان يرجعا عن تلك فالسلم اوسع
 وما بسطت منهم الى الكره اصبح
 لهم احد بعد الذين تجمعوا
 فقصرهما منه أصابع أربع
 وعيب على من كان في القلب اشجع
 وهم قتلوه والمخادع يخدع
 وعودهما فيا هما فيه (خروج)

الحرِب:

ثم ان امير المؤمنين عليه السلام أنظرهم وأنذرهم ثلاثة أيام ليكفوا
 ويرعوا فلما علم اصرارهم على الخلاف قام في أصحابه وقال :
 عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم فانهم نكثوا
 بيعتي وقتلوا شيعتي ونكلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد ان
 ألوه بالضرب المبرح والعقوبة الشديدة وهو شيخ من وجوه الانصار
 والفضلاء ولم يرعوا له حرمة وقتلوا السبايحة رجلا صالحين وقتلوا
 حكيم بن جبلة ظلماً وعدواناً لغضبه لله تعالى ثم تبعوا شيعتي بعد ان
 ضربوهم وأخذوهم في كل عايبة ونحت كل راية يضربون أعناقهم
 صبراً ما لهم قائلهم الله أنى يؤفكون فانهدوا اليهم عباد الله وكونوا
 اسوداً عليهم فانهم شرار ومساعدوهم على الباطل شرار فالقوم صابرين
 محتسبين موطنين انفسكم انكم منازلون ومقاتلون قد وطنتم انفسكم
 على الضرب والظعن ومنازلة الاقران فأى امرى احسن من نفسه

رباطة جأش عند الفزع وشجاعة عند اللقاء ورأى من أخيه فشلا أو
وهنا فليذب عنه أى عن أخيه الذى فضله الله عليه كما يذب عن نفسه
فلو شاء الله لجعله مثله .

فقام اليه شداد بن شمر العبدى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإنه لما كثر الخطأون وتمرد الجاحدون فزعنا إلى آل نبينا
الذين بهم ابتدانا بالكرامة وهدانا من الضلالة الزموم ورحم الله
ودعوا من اخذ يميناً وشمالاً فان اولئك فى غمرتهم يعمهون وفى
ضلالهم يترددون .

قال ثم ان امير المؤمنين عليه السلام رحل بالناس إلى القوم غداة
الخنيس لعشر مضين من جمادى الاولى وعلى ميمته الاشر وعلى ميسرته
عمار بن ياسر وأعطى الراية محمد بن الحنفية ابنه (١) وسار حتى وقف
موقفاً ثم نادى فى الناس لا تعجلوا حتى اعذر إلى القوم ودعا عبد الله
ابن العباس فأعطاه المصحف وقال امض بهذا المصحف إلى طلحة
والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه وقل لطلحة والزبير ألم تبايعانى
مختارين فما الذى دعا كما إلى نكح بيعتى وهذا كتاب الله بينى وبينكما

(١) كان لمحمد يوم البصرة عشرون سنة لأن ولادته سنة (١٦)
للهجرة نعرف ذلك من قول المسعودى فى التنبية والاشراف ص ٢٨٣
وسبط ابن الجوزى فى تذكرة الخواص ص ١٦٩ وابن كثير فى
البداية (ج ٩ - ص ٣٨) أنه توفى سنة احدى وثمانين عن خمس
وستين سنة .

ولا بدع فى ابن (حيدرة) اذا كانت له مواقف محمودة فى الجمل
وصفين والنهروان وكانت الراية معه فأبلى بلاء حسناً سجله له التاريخ
وشكره الاسلام بعد ما يحدث النبى (ص) عن اغرز الصفات الحميدة فى
الطالبين وهى الشجاعة فيقول (ص) : (لو ولد الناس ابو طالب -

قال عبد الله بن العباس فبدأت بالزبير وكان عندي أبقاهما علينا وكلته في الرجوع وقلت له ان امير المؤمنين دع ، يقول لك ألم تبايعني طانماً فبم تستحل قتالي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فان شئت تحاكننا اليه قال ارجع إلى صاحبك فانا بايعنا كارهين ومالي حاجة في محاكمته فانصرفت عنه إلى طلحة والناس يشتدون والمصحف في يدي فوجدته قد لبس الدرع وهو محتجب بمجائل سيفه ودابته واقفة فقلت له ان أمير المؤمنين يقول لك ما حملك على الخروج وبما استحلكت تقض بيعتي والعهد عليك قال خرجت اطلب بدم عثمان أظن ابن عمك انه قد حوى على الكوفة وقد والله كتبت إلى المدينة يؤخذ لي بمكة فقلت له اتق الله يا طلحة فانه ليس لك ان تطلب بدم عثمان وولده أولى بدمه منك هذا ابان بن عثمان ما ينهض في طلب دم ابيه قال طلحة نحن اقوى على ذلك منه قتله ابن عمك وابتز امرنا فقلت له اذكرك الله في المسلمين وفي دمايتهم وهذا المصحف بيننا وبينكم والله ما انصفتم رسول الله إذ حبستم نساءكم في بيوتكم وأخرجتم حبيسة رسول الله فأعرض عني ونادى بأصحابه ناجزوا القوم فانكم لا تقومون لحجاج ابن ابي طالب فقلت

— كلهم لكانوا شجعاناً (كما نص عليه الوطواط في غرر الخصائص ص ١٧ في باب حفظ الجوار وخطبته التي ارتجلها يوم صفين في مدح ابيه دع ، وهو واقف بين الصفين تشهد له بالفصاحة والبلاغة على أتم معانيها فهو جليل القدر عظيم المنزلة وعدم حضوره في مشهد الطف اما لان الحسين أذن له بالبقاء ليكون عيناً له كما في مقتل محمد بن ابي طالب الحائري او للرض كما يراه العلامة الحلي واعترافه بامامة السجاد يدك على حسن رأيه ومعذوريته في التأخر على كل حال وان لم نعرف السبب على التفصيل ولعل الحسين دع ، لاحظ مهمة دقيقة وهي كيف الاذي عن آل ابي طالب وحرمتهم من الامويين بوجود ابن الحنفية .

يا أبا محمد أبا سيف تخوف ابن أبي طالب أما والله ليعاجلنك السيف فقال ذلك بيننا وبينكم .

قال فانصرفت عنهما إلى عائشة وهي في هودج وقد دُفِعَ بالدروع على جملها (عسكر) وكعب بن شور القاضي أخذ بخطامه وحولها الأزد وضبة فلما رأته قالت ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟ والله لا سمعت منك شيئاً أرجع إلى صاحبك وقل له ما بيننا وبينك إلا السيف وصاح من حولها أرجع يا ابن عباس لثلاث سفك دمك .

فرجعت إلى أمير المؤمنين «ع» فأخبرته الخبر وقلت ما تنتظروا الله لا يعطيك القوم إلا السيف فأحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك .

فقال «ع» نستظهر بالله عليهم قال ابن عباس فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع على نشابهم كأنه جراد منتشر فقلت ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم فقال حتى اعذر اليهم ثانية ثم قال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء ايض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم كافي اراه فقال انا اعرضه يا أمير المؤمنين عليهم وقد احتسبت نفسي عند الله فأعرض عنه إشفافاً ونادى ثانية : من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم انه مقتول وله الجنة فقال مسلم بعينه وقال انا اعرضه ونادى ثالثة ولم يقم غير الفتى فدفع المصحف إليه وقال امض اليهم واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه فأقبل الفلام حتى وقف بازاء الصفوف ونشر المصحف وقال هذا كتاب الله و أمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه .

فالت عائشة اشجروه بالرماح فقبحه الله فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب وكانت امه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجمرته من موضعه ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين «ع»

اعانوها على حمله حتى طرحته بين يدي امير المؤمنين وهي تبكي وتقول (١)
يارب ان (مسلماً) دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخصبوا من دمه قنانه وامهم قائمة تراه
تأمرهم بالقتل لا تنهاهم

فلما رأى امير المؤمنين ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من
سفك الدم الحرام رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اليك شخصت الابصار
وبسطت الايدي وافضت القلوب وتقربت اليك بالاعمال ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية
فأعطاه الراية وهي راية رسول الله (ص) وقال يا بني هذه راية لا ترد
قط ولا ترد أبداً قال محمد فأخذتها والريح تهب عليها فلما تمكنت من
حملها صارت الريح على طلحة والزبير واصحاب الجمل فأردت ان امشي
بها فقال امير المؤمنين قف يا بني حتى آمرك .

ثم نادى ايها الناس لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا
تكشفوا عورة ولا تهيجوا امرأة ولا تمثلوا بقتيل فيينا هو يوصي قومه
إذ اظلنا نبل القوم فقتل رجل من اصحاب امير المؤمنين فلما رآه
قتيلاً قال اللهم اشهد ثم رمى ابن عبد الله بن بديل فقتل فحمله ابوه
عبد الله ومعه عبد الله بن العباس حتى وضعناه بين يدي امير المؤمنين
فقال عبد الله بن بديل حتى متى يا امير المؤمنين ندلى نحورنا للقوم يقتلوننا
رجلا رجلاً وقد والله اعذرت ان كنت تريد الاعتذار ثم قال محمد بن
الحنفية فقال امير المؤمنين رايتك يا بني قدمها وبمث في الميمنة والميسرة
ودعا بدرع رسول الله فلبسه وحزم بطنه بمصابة أسفل من سرته
ودعا بيغلمته الشهباء وهي بقة رسول الله (ص) فاستوى على ظهرها

(١) تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢٠٥) وفي روايته للربيع
والخامس خلاف ما هنا .

ووقف امام صفوف اصحابه فوقفت بين يديه باللواء وهو للحرب
مستعد لجاه قيس بن عباد وانشأ يقول :

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريل لنا مسدا
ما ضر من كانت الانصار عيبته ان لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت اكفهم بالمشرفة حتى يفتحوا البلدا
وصف أصحاب عائشة صفوفهم وجلوا بالجل وعليه الهودج وفيه
عائشة وخطامه في يد كعب بن شور وقد تقلد بالمصحف والازد وبنو
ضبة قد احاطوا بالجل وعبد الله بن الزبير بين يدي عائشة ومروان بن
الحكم عن يمينها والزيبر يدير العسكر وطلحة على الفرسان ومحمد بن
طلحة على الرجالة فقال محمد بن الحنفية قال لي ابي حين رأى القوم قد
زحفوا نحونا قدم اللواء قدمته وزحف المهاجرون والانصار فلما رأى
القوم قد زحفت باللواء بارزاً عن اصحابي رشقوني رشقة رجل واحد
فوقفت مكاني وايقنت منهم وقلت ينقضى رشقهم في مرة او مرتين ثم
انقدم فلم اشعر إلا وأمير المؤمنين «ع» قد ضرب بين كتفي بيده ثم
اخذ اللواء مني بيده ونادى (يا منصور أمت) فوالله ما سمعت القوم حتى
رأيتهم قد زلزلت أقدامهم وارتعدت فرائصهم والتقى بعضهم ببعض
وتزايلا ل ترى عائشة موضع كل فريق منهم وتقدم عمار ومالك الاشر
مصلتين سيفهما نحو القوم ونادى امير المؤمنين يا محمد بن ابي بكر ان
صرعت عائشة فوارها وتول امرها فتضع القوم حين سمعوا ذلك
واضطربوا وامير المؤمنين واقف في موضعه ثم تراجعوا بعد تضععهم
ورجعت اليهم نفوسهم ونادوا البراز فتقدم رجل من بني عدى امام الجمل
ويده السيف وهو يقول :

اضربكم ولا ارى عليا عمته ابيض مشرفيا اريح منه قوما عديا
فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين «ع» يقال له امية

العبدى وهو يقول :

هذا على الهدى سبيله والرشد فيه والتقى دليله

من يبيع الحق يكن خليله

ثم اختلفت بينهما ضربتان فأخطاه العدوى وضربه العبدى فقتله
فقام مقامه رجل يقال له ابو الحرباء عاصم بن مرة من اصحاب الجمل
وهو يقول :

انا ابو الحرباء واسمى عاصم وانا ام لها محارم
فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول :

اليك انى تابع عليا وتارك امكم مليا

اذ عصت الكتاب والنيا وارتكبت من امرها فريا

وضربه فقتله فقام مقامه رجل من اصحاب الجمل يقال له الهيثم بن

كليب الأزدي وهو يقول :

نحن نوالى انا الرضية وتنصر الصحابة المرضية

فشد عليه رجل من اصحاب امير المؤمنين وهو يقول :

دليلكم عجل بنى امية وامكم خاسرة شقية هاوية فى قننة عمية

وضربه ففلق هامته وخر صريعاً إلى الارض وبرز من بعده عمرو

ابن يثربى (١) وكان من شياطين اصحاب الجمل فنادى هل من مبارز

فبرز اليه علباء بن الهيثم فاختلفت بينهما ضربتان فقتل علباء رحمه الله فقام

مقامه هند بن المرادى فبادره بالسيف فاتقاه وضربه عبد الله بن الزبير

وشغله بنفسه وثناه هند بن يثربى فقتلاه جميعاً فبرز مقامه زيد بن

صوحان العبدى فتضاربا وجاء فارس من اصحاب الجمل ووقف بجانب

(١) فى تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٣١٧) هو اخو عميرة القاضى

وفى ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) ان عميرة لم يقتل وبقى حتى تولى

قضاء البصرة لمعاوية .

عمرو يحميه فطعنه زيد في خاصرته طعنة أثنخه بها وبدر اليه عمرو
فضربه ففضى منها وبدأ عمرو يفتخر ويقول :

انا لمن ينكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجلي

وابن لصوحان على دين علي

فبرز اليه مالك الاشر فضربه على وجهه ضربة وقع بها على الارض
وحماه اصحابه فنهض وقد تراجعت نفسه وهو يقول لا بد من الموت
فدلوني على علي بن أبي طالب فلئن بصرت به لأملان سيفي من هامته
فبرز اليه عمار بن ياسر (١) وهو يقول :

لا تبرح العرصة يا بن يثربي حتى اقاتلك على دين علي

نحن وبيت الله أولى بالنبي

وضربه ضربة هلك منها وخر صريعاً فأكب قومه عليه فاحتملوه
إلى معسكرهم .

ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام جرأة القوم على القتال وصبرهم
على الهلاك نادى اصحاب ميمته ان يميلوا على ميسرة القوم ونادى
اصحاب ميسرته ان يميلوا على ميمتهم ووقف عليه السلام في القلب فما
كان بأسرع من ان تضعض القوم واخذت السيوف من هاماتهم
مأخذها فأنكشفوا وقد قتل منهم ما لا يحصى كثرة واصيب من اصحاب
امير المؤمنين نفر كثير واحاطت الأزد بالجلل يقدمهم كعب بن شور

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ٢١٧) كان عمار بن ياسر

ضعيفاً قصيفاً حش الساقين فاسترجع الناس حين رأوه بارزاً فضربه ابن
يثربي فنشب في جحفته ثم ضربه عمار فصرعه ورموه أصحاب علي
بالحجارة حتى أثنخوه وفيه ص ٢١٠ وابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٨)
كان لعمار يومئذ تسعون سنة فضرب ابن يثربي على رجله فقطعها وجيء
به إلى علي وع أسيراً فأمر به فقتل .

وخطام الجبل بيده واجتمع اليهم من كان انفتل بالهزيمة ونادت عائشة
يا بني الكرة الكرة اصبروا فاني ضامنة لكم الجنة فحفوا بها من كل جانب
واستقدموا حتى دنوا من عسكر امير المؤمنين وفتت عائشة نفسها بردة
كانت معها وقلبت يمينها على منكبها الايسر والايسر الى اليمين كما كان
رسول الله (ص) يفعل عند الاستسقاء ثم قالت ناولوني كفاً من تراب
فناولوها فحثت به وجوه اصحاب امير المؤمنين وقالت شأهت الوجوه
كما فعل رسول الله (ص) بأهل بدر قال وجر كعب بن شور بالخطام
وقال اللهم ان اردت ان تحقن الدماء وتطني هذه الفتنة فاقتل علياً ولما
فعلت عائشة من السب المبرح وحصب اصحاب امير المؤمنين قال عليه
السلام وما رميت اذ رميت ولكن الشيطان رمى وليعودن وبالك عليك
انشاء الله وأنشدت ام ذريح العبدية من شيعة امير المؤمنين عليه السلام

عائش ان جئت لتهمينا وتنشري البر لتغلينا
وتتذني بالحصبات فينا تصادفي ضرباً وتكرينا
بالمشريات إذا غزينا نسفك من دمائكم ماشينا

فقال محمد بن الحنفية رحمه الله قال لي امير المؤمنين «ع» يا بني تقدم
باللواء وصف اصحابه فجعل الحسن في الميمنة والحسين في الميسرة
وكان في ميمنة اهل الجبل هلال بن وكيعة وفي ميسرتهم صبرة بن عثمان
وتزاحف الفريقان بعضهم الى بعض قال فوالله لقد رأيت أول قتيل من
القوم كعب بن شور بعد ان قطعت يمينه التي كان فيها الخطام فأخذه
بشاله وقتل بعد ذلك وقتل معه اخوه وابناه ثم اخذ بخطام الجبل بعده
رجل وهو يقول شعراً :

يا امنا عائش لا تراعي كل بنيك بطل شجاع
فا برح حتى قطعت يداه وطعن فهلك فقام مقامه آخر منهم فقطعت
يمينه وضرب على رأسه فهلك فما زال كل من اخذ بخطام الجبل رجل

قطعت يده وجذ ساقه حتى ملك منهم ثمانمائة رجل وقيل ذلك اليوم
قتل سبعون رجلا من قريش وكان آخر من اخذ بزمام الجمل رجل
من بني ضبة لجعل يقول (١) :

نحن بني ضبة اصحاب الجمل نعى ابن عفان بأطراف الاسل
ردوا الينا شيخنا ثم نحل

فبرز اليه الاشر وهو يقول :

كيف نرد نعتلا وقد نحل

وضربه على هامته فقلقها فخر صريعا فلاذ بالجمل عبد الله بن الزبير
وتناول خطامه بيده فقالت عائشة من هذا الذي اخذ بخطام جملي ؟
قال انا عبد الله ابن اختك فقالت وانكل اسماء ثم برز الاشر اليه فغلي
الخطام من يده واقبل نحوه فقام مقامه في الخطام عبد اسود واصطرح
عبد الله والاشتر فسقطا الى الارض فجعل ابن الزبير يقول وقد اخذ
الاشتر بعنقه ينادى اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي .

قال الاشر فا سرتني إلا قوله مالكا ولو قال الاشر لقتلوني فوالله
لقد تعجبت من حق عبد الله إذ ينادي بقتله وقتلي وما كان ينفعه
المشوم ان قتلت وقتل هو معي ولم تلد امرأة من النخع غيري فأفرجت
عنه فانهم وبه ضربة مشخنة في جانب وجهه .

فلما تفرق الناس عن الجمل اشفق امير المؤمنين عليه السلام ان يعود
اليه فتعود الحرب فقال عرقبوا الجمل فتبادر اليه اصحاب علي وع ،
فعرقبوه ووقع جنبه وصاحت عائشة صيحة سمعت من في العسكرين
وقد جاءت الروايات من مبارزة القوم وارتجازهم بما يطول شرحه وانما
اقتصرنا على بعضه للايجاز والاختصار فيما كان من امر الجمل وقطع

(١) في ابن الاثير (ج ٣ - ص ٩٨) والطبري (ج ٥ ص ٢١٠)

الايات لوسيم بن عمرو بن ضرار الضبي .

أيدي الآخذين بخظامه وجد أقدامهم .

ما رواه مسلم بن عمارة وقال بشر العامري أقبلت من نحو المدينة أريد الكوفة في زمن عثمان فلقيت علجاً قد جعل على وجهه حمارة وورقة فيها قرآن فأعظمت ذلك واخذت العليج وشمتمته فقال لي ما تريد مني ؟ قلت ما هذا الذي صنعت ؟ ويلك تحمل على وجهه حمارة وورقة من القرآن فقال ويحك ان هذا ومثله مطروح على الكناسات والحشوش عندنا كتب صاحبك تمزق وتلقى في الحشوش قال فلقيت حذيفة فأخبرته قال قد فعلوا ذلك كأني بهم وقد ساروا بها والذي بعث محمداً بالحق نبياً والازد وضبة قد حضروهما جذا الله أقدامهم قال فأتيت الورقة في البصرة فنظرت إلى تميم وضبة حول الجبل ونظرت إلى الازد وقد قطعت أقدامهم من العرايب واسفل قال ولما قتل كعب بن شور تقدم غلام من الحذان يقال له وائل بن عمر وهو يبيكي ويقول :

يارب فارحم سيد القبائل كعب بن شور غرة القبائل
وخير حاف منهم وناعل وخير مقتول وخير قاتل
ابشر بخير يا كعب كامل بنصرك الحق وترك الباطل
نخرج اليه رجل يقال له عبد الرحمن بن هاشم وهو يقول :

لا رحم الله بن شور اذ مضى ولا تولاه بعفو ورضى
فقد قضى بالجور فيما قد قضى ودان بالكفر ولم يعص الهوى
واتبع الضلال من أهل العمى فصار بالفتنة مع من قد هوى
ثم ضرب وائل بن عمر فقتله وبرز رجل من بني قشير يقال له حثمة ابن الاسود وهو يقول :

نحن صحاب الجبل المكرم ومانعوا هودجه المعظم
وناصروا زوج النبي الاكرم ذلك دين الله فينا الاقدم
نخرج اليه رجل من شيعة امير المؤمنين يقال له عبيد الله بن سالم

وهو يقول :

نحن مطيعون جميعاً لعلي إذ أنت ساع في الفساد يا شقي
ان الغوي تابع امر الغوي قد خالفت زوج النبي للنبي.

وخرجت من بيتها مع من هوى.

ثم ضرب يده بالسيف فقطعها ووقع لجنبه فرام اصحابه تخليصه
وازدحموا عليه فوطؤه .

وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن الفضيل عن ابيه عن محمد
ابن الحنفية قال لما نزلنا البصرة وعسكرنا بها وصففنا صفوفنا دفع ابي
علي «ع» الي باللواء وقال لا تحدثن شيئاً حتى يحدث فيكم ثم نام فزالنا
فبل القوم فأفزعتهم ففرح وهو يمسح عينيه من النوم واصحاب الجمل
يصيحون يا لثارات عثمان فبرز «ع» وليس عليه إلا قميص واحد ثم
قال تقدم باللواء فتقدمت وقلت يا ابيه في مثل هذا اليوم بقميص واحد
قال (احرز امرء اجله) والله قاتلت مع النبي (ص) وانا حاسر اكثر
بما قاتلت وانا دارع ثم دنا كل من طلحة والزبير فكلمهما ورجع وهو
يقول : يا ابي القوم إلا القتال فقاتلوهم فقد بغوا ودعا بدرعه البتراء ولم
يلبسها بعد النبي إلا يومئذ فكان بين كتفيه منها متوهياً قال وجاء امير
المؤمنين وفي يده شسع فقل له ابن عباس ما تريد بهذا الشسع يا امير
المؤمنين ؟ فقال عليه السلام اربط بها ما قد توهى من هذا الدرع من
خلقي فقال له ابن عباس أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل هذا ؟ فقال «ع»
لم ؟ قال اخاف عليك قال (ع) لا تخف ان اوتى من ورائي والله يا ابن
عباس ما وليت في زحف قط ثم قال له البس يا ابن عباس فلبس درعاً
سعدياً ثم تقدم إلى الميمنة وقال احملوا ثم إلى الميسرة وقال احملوا وجعل
يدفع في ظهري ويقول تقدم يا بني فجعلت اتقدم وكانت اياها حتى
انهزموا من كل وجه .

وروى الواقدي عن هشام بن سعد عن شيخ من مشايخ اهل
 البصرة قال لما صف علي بن ابي طالب صفوفه أطال الوقوف والناس
 ينتظرون أمره فاشتد عليهم ذلك فصاحوا حتى متى فصفق بأحدى يديه
 على الاخرى ثم قال عباد الله لا تعجلوا فاني كنت ارى رسول الله (ص)
 يستحب ان يحمل اذا هبت الرياح قال فامهل حتى زالت الشمس وصلى
 ركعتين ثم قال ادعوا ابني محمداً فدعى له محمد بن الحنفية فجاء وهو
 يومئذ ابن تسع عشرة سنة فوقف بين يديه ودعى بالراية فنصبت لحمد
 الله وأثنى عليه وقال : اما هذه الراية لم ترد قط ولا ترد أبداً وأنا
 واضعها اليوم في أهلها ودفعتها إلى ولده محمداً وقال تقدم يا بني فلما
 رآه القوم قد أقبل والراية بين يديه فتضعضوا فاهو إلا أن الناس التفتوا
 ونظروا إلى غرة أمير المؤمنين ووجدوا مس السلاح حتى انهزموا .

وروى الواقدي قال حدثني عبد الله بن عمر عن علي بن ابي طالب
 قال لما سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت فقال لابنه محمد
 ما يقولون؟ قال يقولون يا لثارات عثمان قال فشد عليهم وأصحابه يهشون
 في وجهه يقولون ارتفعت الشمس وهو يقول الصبر أبلغ حجة .

خطبة علي عليه السلام يوم الجمل :

ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه وذكر
 النبي فصلى عليه وقال :

اما بعد فان الموت طالب حيث لا يفوته الهارب ولا يعجزه فاقدموا
 ولا تتكلموا وهذه الاصوات التي تسمعونها من عدوكم فقل واختلف
 انا كنا نؤمر في الحرب بالصمت فعضوا على الناجذ واصبروا لوقع
 السيوف فوالذي نفسي بيده لآلف ضربة بالسيف أهون علي من مية
 على فراشي فقاتلوهم صابرين محتسبين فان الكتاب معكم والسنة معكم ومن

كنا معه فهو القوي اصدقوهم بالضرب فأى امره احسن من نفسه
شجاعة وإقداماً وصبراً عند اللقاء فلا يبطرنه ولا يرى ان له فضلاً على
من هو دونه وان رأى من أخيه فشلاً وضعفاً فليذب عنه كما يذب عن
نفسه فان الله لو شاء لجعله مثله .

ثم دعا بدرعه فلبسه حتى إذا وقع موقعه من بطنه فأمر ابنه محمد
يخزمها بعيامته ثم انتضى سيفه فهزه حتى رضى به وغمده وتقلده والناس
على صفوفهم وأصحاب الجمل قد دنوا فأمر أمير المؤمنين عليه السلام
بتسوية الصفوف حتى إذا اعتدلت دفع الراية إلى محمد بن الحنفية وقال
تقدم بالراية واعلم ان الراية امام أصحابك فكن متقدماً يلحقك من
خلفك فان كان لمن يتقدم من اصحابك جولة رجع اليك .

وجعل عليه السلام الناس أثلاثاً مضر في القلب واليمن في الميمنة
وعليهم مالك الاشر وفي الميسرة عمار بن ياسر .

وصف أصحاب الجمل صفوفهم لجعلوا على حنظلة هلال بن وكيع
وعلى بنى عمرو وبنى تميم عمير بن عبد الله بن مرقد وعلى بنى سعد زيد
ابن جبلة بن مردان وعلى بنى ضبة والرباب عمرو بن يثرب وراية الازد
مع عمرو بن الاشرف العتكي .

قال محمد بن علي دع ، فالتقينا وقد مجل أصحاب الجمل وزحفوا
علينا فصاح أبي امضض فضيت بين يديه أخطوا بالراية خطواً سرعان
ان يلحقوا أصحابنا فلأذ أصحاب الجمل ونشب القتال واختلفت
السيوف وأبي خلفي يقول تقدم فقلت ما أجد متقدماً إلا على الاسنة
ففضب دع ، وقال أقول لك تقدم تقول على الاسنة ثق بالله يا بنى
وتقدم بين يدي على الاسنة .

وتناول الراية منى وتقدم يهرول بها فأخذتني حدة فلحقته وقلت
اعطني الراية فقال لي خذها وقد عرفت ما وصف لي .

ثم تقدم بين يدي وجر دسيفه وجعل يضرب به ورأيته قد ضرب رجلاً فأبان زنده وقال الزم رايتك يا بني فان هذا استكفاه فرمقت لضرب أبي ولحظته وإذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً وإذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم وأحدقنا بالجل وصار القتل حوله واضطربنا أشد اضطراب رآه راء حتى ظننت انه القتل وصاح أبي يا ابن أبي بكر اقطع البطان فقطعه وتلقوا الهودج فكأن والله الحرب جمة عليها صب الماء .

وروى الواقدي قال ابن جريح كان محمد بن الحنفية يحمل راية أمير المؤمنين أبيه يوم الجمل ورأى منه بعض النكوص فأخذ الراية منه قال محمد فأدر كته وعالجته على ان يردها فأبى علي طويلاً ثم ردها وقال خذها احسن حملها وتوسط اصحابك ولا تخفض عاليها واجعلها مستشرفة يراها اصحابك ففعلت ما قال لي فقال عمار يا أبا القاسم ما احسن ما حملت الراية اليوم فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بعد ماذا ؟ فقال عمار ما العلم إلا بالتعلم .

وروى ابراهيم بن نافع عن سعيد بن أبي هند قال اخبرنا اصحابنا عن حضر القتال يوم البصرة ان علياً قاتل يومئذ اشد القتال وسمعوه وهو يقول تبارك الله الذي اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع ونظر يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزى وهو يسترجع من الخوف وما التحم من الشر فقال له أمير المؤمنين «ع» انجز إلى أصحابي ولا تقتل فانما جز اليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل على أمير المؤمنين «ع» حلة فاذا هو قد صار في حيزهم لحمل عليه رجل من همدان وعلي يصيح كف عنه والحمداني لا يفهم حتى قطعه إرباً إرباً فقال عليه السلام يا ويحه ان لفته السيوف وقد كان مقتله بغيضاً .

وروى أبو الزياد عن هشام بن عروة عن أبيه عبد الله بن الزبير

قال لم يأخذ بزمام جمل عائشة يوم الجمل إلا قتل وكان كلما جاء انسان يأخذ بمخظام جملها قالت من أنت ؟ حتى اتيتها وكنت آخر من اخذه حين لم أجد أحداً يأخذه فقالت من أنت ؟ فقلت ابن اختك فقالت وائل اسماء فأقبل الأشرى إلى قنصارنا فجعلت أقول اقتلوني ومالكاً معي وجعل يقول اقتلوني وعبد الله ولو قال ابن الزبير لقتلت ولو قلت الأشرى لقتلنا جميعاً فائقلني الجراح حتى سقطت وانا مجروح مطروح في القتلى

فأتاني الأسود بن أبي البخري فوجدني صريعاً فأخذني بالعرض على فرسه وسار بي لجعل إذا أبصر انساناً من أصحاب علي القاني وإذا لم ير أحداً حملني حتى مر به رجل يعرفني فحمل عليه فأخطاه وأصاب رجل فرسه ثم حملني فانطلق بي حتى انزلني على رجل من بني ضبة له امرأتان تميمية وبكرية من شيعة عثمان ففسلت جراحتي وحشتها كأفوراً فوالله ما فاح منها شيء .

وجعلت عائشة تسأل عني فلا تخبر عني بشيء حتى إذا برأت جراحتي قلت لصاحب منزلي انطلق إلى عائشة وأخبرها بي وإياك ان يراك محمد ابن أبي بكر وقلت له انه قصير ووصفته له فانطلق فأخبرها وقال لها انه قد امرني ان لا يراني محمد بن أبي بكر قالت كلا فانطلق إلى محمد بن أبي بكر وادعه إلى وذلك بعد هزيمتنا ووضع الحرب اوزارها فانطلقت إليه فدعوته وجاءها فقالت له يا أخى ما تراك فاعلاني أمر أمرك به ؟ قال ما هو ؟ قالت انطلق إلى عبد الله بن الزبير فجاء به فجاء محمد إلى موضعي فدخل على عبد الله فلما رآه خافه وقال مالك فعل الله بك وفعل قال له محمد لا تمجل ثم أخبره الخبر .

قال ابن الزبير فخرجت معه فتأخر لي عن الفرس فركبت بين يديه وجعل يكف نياحه لا بصيبي وانا اوخر نياحي عنه لا تصيبه ولم يزل

يسير بي حتى اتينا عائشة فسمعت سب عثمان علانية فبكيت وقلت لا اقيم
بيد يسب فيه عثمان علانية فامتعت منهم واخذت راحلة منهم فاذا رجل
يحيد مني وانا احيد منه فاذا هو عبد الرحمن بن الحرث وأبصرت رجلا
مفلولا لفرسه فقلت هذا والله فرس الزبير فأردت قتله فقال عبد الرحمن
لا تعجل عليه فانه لن يفلتنا فاذا هو غلام الزبير قد اقبل فقلت له أين
الزبير؟ فقال لا أدري فعلت ان الزبير قد قتل .

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد الله عن عمر بن دينار عن صفوان
قال لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صايح من اصحاب امير المؤمنين
علي بن ابى طالب يا معاشر شباب قريش اراكم قد لحتم وغلبتم على
امركم هذا وانى انشدكم الله ان تحقنوا دماءكم ولا تقتلوا انفسكم اتقوا
الاشتر النخعي وجندب بن زهير العامري فان الاشتر يشمر درعه حتى
تتبعوا اثره وان جندبا يخرم درعه حتى يشمر عنه وفي رايته علامة
حمراء فلما اتى الناس اقبل الاشتر وجندب قبال الجمل يرفلان في السلاح
حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومعبد بن زهير بن خلف بن
امية وعمد جندب لابن الزبير فلما عرفه قال أتركك لعائشة .

وروى محمد بن عبد الله بن عبيد بن وهب قال قطعت يوم الجمل
يد عبد الرحمن وفيها الحاتم فأخذه بشر فطرحه باليمامة فأخذه اهل
اليمامة واقتلوا حجره وكان يا قوتا فابتاعه رجل منهم بخمسمائة دينار
فقدم به مكة فباعه بربح عظيم .

وروى محمد بن موسى عن محمد بن ابراهيم عن ابيه قال سمعت معاذ
ابن عبد الله التيمي وكان قد حضر الجمل يقول لما التقينا واصطفنا
نادى منادى علي بن ابى طالب يا معاشر قريش اتقوا الله على انفسكم
فانى اعلم انكم قد خرجتم وظننتم ان الامر لا يبلغ الى هذا فالله الله في
انفسكم فان السيف ليس له بقيا فان احببتم فانصرفوا حتى نحاكم هؤلاء .

القوم وان احببتم فالى انكم آمنون بأمان الله قال فاستحيينا اشد الحياء
وابصرنا ما نحن فيه ولكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عائشة حتى قتل
من قتل منا فوالله لقد رأيت اصحاب على وقد وصلوا الى الجبل
وصاح منهم صايح اعقروه فمقروه ونادى على دع ، من طرح السلاح
فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن فوالله ما رأيت اكرم عفواً منه .

وروى سليمان بن عبد الله بن عويمر الاسلوي قال قال ابن الزبير
انى لواقف في يمن رجل من قريش اذ صاح صايح يا معاشر قريش
احذركم الرجلين جنذب العامري والاشتر النخعي قال وسمعت عماراً
يقول لاصحابنا ما تريدون وما تطلبون ؟ فناديناه نطلب بدم عثمان فان
خليتم بيننا وبين قتلته رجعنا عنكم فقال عمار لو سأتمتونا ان ترجعوا عنا
بئس الفخار فانه الام الغم لئلا وشرها لئلا ما اعطينا كوه ثم التحم
القتال وناديناهم مكنونا من قتلة عثمان ونرجع عنكم فنادانا عمار قد فعلنا
هذه عائشة وطلحة والزبير قتلوه عطشاً فأبدوا بهم فاذا فرغتم منهم
تعالوا الينا نبذل لكم الحق فأمسك والله اصحاب الجبل كلهم .

وروى عبد الله بن رباح مولى الانصارى عن عبد الله بن زياد
مولى عثمان قال خرج عمار بن ياسر يوم الجبل الينا فقال يا هؤلاء على اى
شيء تقاتلوننا ؟ فقلنا على ان صلبنا قتل مؤمناً فقال عمار نحن نقاتلكم على
انه قتل كافرأ قال وسمعت عماراً يقول والله لو ضربتمونا حتى نبلغ
سعات حجر لملنا انا على الحق وانكم على الباطل وسمعت والله يقول
ما نزل في تأويل هذه الآية إلا اليوم : (يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يهيمون ويصوبون) .

قال ولما جال الناس تلك الجولة قتل بينهم خلق كثير وسمع اصوات
السيوف في الرؤوس كأنها عماريق قال الراوى والله مررت بعد الواقعة
بالبصرة فدنوت من دير النصرى فنصحت الشبان على الحجارة فشبهتها

بالاصوات التي كانت من السيوف على الرؤوس يومئذ وفي تلك الجولة
قتل طريف بن عدى بن حاتم وقتل عين عدى .

وروى محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار قال قال امير المؤمنين
لابنه محمد خذ الراية وامض وعلى دع ، خلفه فتاده يا ابا القاسم فقال
ليك يا ابة فقال يا بني لا يستغزئك ما ترى قد حملت الراية وانا اصغرمك
فا استغزنى عدوى وذلك انى لم ابارز احداً إلا حدثتني نفسى بقتله لحدث
نفسك بعين الله تعافى بظهورك عليهم ولا يخذلك ضعف النفس من اليقين
فان ذلك أشد الخذلان قال قلت يا ابة أرجو أن أكون كما تحب ان شاء
الله قال فالزم رايتك فان اختلفت الصفوف قف في مكانك وبين
أصحابك فان لم تبين من أصحابك فاعلم انهم سيرونك قال والله انى
لنى وسط أصحابى فصاروا كلهم خلقى وما بينى وبين القوم احد يردم
عنى وأنا أريد أن أتقدم فى وجوه القوم فاشعرت إلا بأبى خلقى قد
جرد سيفه وهو يقول لا تقدم حتى اكون امامك فتقدم بين يدي يهرول
ومعه طائفة من اصحابه فضرب الذين فى وجهه حتى نهضوم ولحقهم
بالراية فوقفوا وقفة واختلط الناس وكدت السيوف ساعة فنظرت
إلى ابى يفرج الناس يمينا وشمالا ويسوقهم امامه فأردت ان اجول
فكرهت خلافه ووصيته لى لا تفارق الراية حتى انتهى إلى الجمل وحوله
اربعة آلاف مقاتل من بنى ضبة والازد وتميم وغيرهم وصاح اقطعوا
البطان فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه واطلع الهودج فقالت عائشة
من انت ؟ قال ابغض اهلك اليك قالت ابن الحثعمية ؟ قال نعم ولم تكن
دون امهاتك قالت لعمرى بل هى شريفة دع عنك هذا الحمد لله الذى
سلبك قال قد كان ذلك ما تكرهين قالت يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت
قال كنت تحبين الظفر وانى قتلت قالت قد كنت احب ذلك لكنه
ما صرنا إلى ما صرنا أحببت سلامتك لقرابتى منك فاكفف ولا تعقب

الامور وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة فان أباك لم يكن لومة ولا عدلة قال وجاء عليّ دع ، ففرع الهودج برمحه وقال يا شقيراء بهذا وصاك رسول الله (ص) ؟ قالت يا ابن ابى طالب قد ملكت فاسجح .
وجاءها عمار فقال لها يا اماء كيف رأيت ضرب بنيك اليوم دون دينهم بالسيف ؟ فصمتت ولم تجبه .

وجاءها مالك الاشر رحمة الله وقال لها الحمد لله الذى نصر وليه وكبت عدوه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كيف رأيت صنع الله بك يا عائشة ؟ فقالت من أنت ثكلتك امك ؟ فقال أنا ابنك الا شتر قالت كذبت لست بامك قال بلى وان كرهت فقالت انت الذى اردت ان تشكل اخي اسماء بابنها ، فقال المعذرة إلى الله واليك والله لولا اننى كنت طاوياً ثلاثاً لأرحتك منه وأنشأ يقول بعد الصلاة على الرسول .

أعائش لولا اننى كنت طاوياً ثلاثاً لالفت ابن اختك هالكا
غدات ينادى والرماح تنوشه بأضعف صوت (اقتلوني وما لك)
فركبت وقالت غفرتم وغلبتم وكان امر الله قدراً مقدورا .

ونادى امير المؤمنين عليه السلام محمد بن ابى بكر فقال سلها هل وصل اليها شيء من الرماح والسهام فسألها قالت نعم وصل إلى سهم خدش رأسى وسلت من غيره الله بينى وبينكم فقال محمد والله ايهكم عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين امير المؤمنين دع ، حتى تخرجين عليه وتؤلين الناس على قتاله وتنبذى كتاب الله وراء ظهرك فقالت دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسنى وكان الهودج كالقنفذ من النبل فرجعت إلى امير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بينى وبينها وما قلت وما قالت .

فقال عليه السلام هي امرأة والنساء ضعاف العقول فتول امرها

واحملها إلى دار عبد الله بن خلف حتى تنظر في امرها فحملتها إلى الموضع
وان لسانها لا يفتر من السب لي ولعلي والترحم على اصحاب الجمل .

وروى الواقدي قال حدثنا هشام بن سعد عن عباس بن عبد الله
ابن معبد عن معاذ بن عبد الله التميمي قال لما قدمنا البصرة مع عائشة
وأقنا ما اقنا ندعوا الناس إلى نصرتنا والقيام معنا فالتقابل لما ندعوا
إليه والآبى له ونحن على ما نحن عليه نقول إلا نقاتل علي بن أبي
طالب ابدأ إلى ان قيل قد نزل علي دع ، فاادرى حتى نشبت الحرب
نشبها الصبيان واوقدها العبيد واذا الجمل رحل والناس يهوون إلى
القتال وإذا عسكر علي قد تحرك فبادر اصحابنا فرموا وجلبوا
وصيحوا واكثروا فسمعت عائشة تقول هذا اول الفشل وعلي دع ،
وعسكره لا يثنون ثم صف علي اصحابه وولى الرايات موضعها واعطى
ابنه محمدا الراية العظمى راية بيضاء تملأ الرمح ثم وقف علي دع ، في
القلب وحمل سرعان اليمينه والميسرة وخمل سرعان القلب فاسمع عليا
ينادى محمدا تقدم بالراية وتوسط القلب فينكر من تقدمك وان جالوا
او دفعوا يلحقك من خلفك ثم سمعته يقول اصحابك امامك تقدم تقدم
وتقدم علي والراية بين كتفيه وجرده سيفه وضرب رجلا فابان زنده
ثم اتسبى إلى الجمل وقد اجتمع الناس حوله واختلطوا واحدقوا به من
كل جانب واستجن الناس تحت بطان الجمل فانظروا لله الى علي يصيح
بمحمد بن ابي بكر اقطع البطان وارى عليا قد قتل من اخذ بخظام
الجمل عشرة بيده وكلما قتل رجلا مسح سيفه في ثيابه ثم جلوزت حتى
صرنا في ايديهم كأننا اغنام نساق فانصرفنا حيثئذ وتلاومنا وندمنا .

وروى الواقدي قال حدثني محمد بن عبد الله بن حبيد بن عكرمة
ابن خالد قال قال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كنت انا والاسود
ابن ابي البختري وعبد الله بن الزبير قد تواعدنا وتعاهدنا بالبصرة لأن

لقينا القوم لنوتن او لنقتلن عليا واصحاب علي لم يكونوا عدلوا صفوفهم ثم نظرنا اليهم وقد عدلوا صفوفهم ميمنة وميسرة قال عبد الرحمن كنت واقفاً عند عبد الله بن الزبير والاسود بن البخترى فقلت ما وراءكما؟ قالانحن علي ما كنا عليه الى ان مالت ميسرته على ميمنتنا فهزمهم ومالت ميمنته على ميسرتنا ففعلوا مثل ذلك ورأيت عليا وراء ابنه محمد وقد تقدم يحمل عليا اسوداً عظيماً وعلي شاهر سيفه فلقى رجلاً من ضبه فقتله ثم ضرب آخر فقتله ثم خلعنا الينا ووقف عند رجلين فلاذ كل بصاحبه وجعل الاسود يقول هل من مهرب وتقدم ابن الزبير فأخذ الجمل فكان آخر من اخذه فأنظر الى علي وقد انتهى الى الجمل والسيف يرعف دما وهو واضعه على عاتقه وهو يصيح لمحمد بن ابي بكر اقطع البطان فكانت الهزيمة فلم نر مثل لزوم السواد الاكبر فلما انهزمنا خرجنا خائفين من مسالح علي وع، فازلنا نخاف الطلب حتى سرنا مراحل .

وروى عن ابن الزبير قال خرجت عائشة يوم البصرة وهي على جملها (عسكر) قد اتخذت عليه خدرأ ودقته بالدروع خشية ان يخلص اليها النبل وسار اليهم علي بن ابي طالب حتى التقوا فاقتتلوا قتالا شديداً واخذ بخطام الجمل يومئذ سبعون رجلاً من قريش كلهم قتل وخرج مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير ورأيتهما جريحين فلما قتلت تلك العصابة من قريش اخذ رجال كثير من بني ضبة بخطام الجمل فقتلوا عن آخرهم ولم ياخذ بخطامه احد إلا قتل حتى غرق الجمل بدماء القتلى وتقدم محمد بن ابي بكر فقطع بطان الجمل واحتمل الخدر ومعه اصحاب له وفيه عائشة حتى انزلوها بعض دور البصرة وولى الزبير منهزماً فأدرکه ابن جرهموز فقتله .

ولما رأى مروان توجه الامر على اصحاب الجمل نظر إلى طلحة

وهو يريد الحرب فقال والله لا يفوتني ثاري من عثمان فرماه بسهم فقطع
أكله فسقط بدمه وحمل من موضعه وهو يقول : إنا لله هذا والله
سهم لم يأتني من بعد ما أراه إلا من معسكرنا لله ما رأيت مصرع شيخ
أضيق من مصرعي ثم لم يلبث أن هلك (١) .

وروى الواقدي أيضاً عن موسى بن عبد الله عن الحسين بن
عطية عن ابيه قال شهدت الجمل مع علي . دع ، فلقد رأيت جمل عائشة
وعليه هودجها وعليه دروع الحديد ثم لقد رأيت فيه من النبل والنشاب
أمرأ عظيماً ثم عقر فاسمعت كصوته شيء قط ونادى أصحاب علي
عليكم الجمل فاعقروه فشدت عليه رجال فعقروه فوق لحينه .

وروى يزيد عن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال نظرت
الهودج يوم الجمل كأنه قنفذ من النشاب والنبل .

وروى ابن أبي ميرة عن علقمة بن أبي علقمة عن ابيه قال جعلنا
الهودج من خشب فيه مفاتيح الحديد وفوقه دروع من حديد وفوقها
طيلالسة من خز أخضر وفوق ذلك آدم أحمر وجعلنا لعائشة منه منظر
العين فما أغنى ذلك عنها من القوم .

وروى الواقدي عن رجاله العثمانية عن عائشة ذكر الحال وهزيمة
التموم في الحرب وشرح الصورة ورأيها فكان ما كان من ذلك فقال
حدثنا محمد بن حميد عن حميدة بنت ابن رفاعة عن امها كبشة بنت كعب
قالت كان أبي لقي علي عثمان حرباً عظيماً وبكاه ولم يمنعه من الخروج
إلا أن بصره ذهب ولم يبايع علياً ولم يقر به بفضاً له ومقتاً .

وخرج علي . دع ، من المدينة فلما قدمت عائشة منصرفة من البصرة
جاءها أبي فنزل على الباب ثم دخل وبينها وبينه حجاب فذكرت له بعض

(١) ابن الأثير (ج ٣ - ص ٩٦) وفي الطبري (ج ٥ ص ٢١٥)
مات في خربة من دور البصرة لبني سعد ودفن فيها .

امر ولم تشرحه له فلما امسينا بعثنا إلى عائشة نستأذن عليها فأذنت لنا قالت كبشة فدخلت في نسوة من الانصار فحدثتنا بخروجها وانها لم تظن الامر يبلغ إلى ما بلغ ثم قالت لقد عمل لي على هودج حملني ثم البس الحديد ودخلت فيه وقت في وسط الناس أدعو إلى الصلح وإلى الكتاب والسنة فليس أحد يسمع من كلامي حرفاً وعجل من لقينا القتال فرموا النبل وصرعهم القوم حتى قتل من اصحاب علي رجل ورجلان ثم تقارب الناس ولحم الشر و صار القوم ليس لهم همة إلا جملي ولقد دخلت علي سهام فجرحتني فأخرجت ذراعها وارتنا جرحا على عضدها فبكت وأبكتنا .

قالت وجعل كلبا اخذ بمخظام جملي رجل قتل حتى أخذه ابن اختي عبد الله فصحت به وناشدته بالرحم انه يتجافاني فقال يا ام هو الموت يقتل الرجل وهو عظيم الغنى عن أصحابه علي نيته خير ان يدرك وقد فارقت نيته فصحت وانكل اسماء فقال يا ام الزمي الصمت وقد لحم ما ترين فأمسكت وكان من معناتين احداث من قريش لا علم لهم بالقتال ولم يشهدوا الحرب فكانوا جزراً للقوم فاني لعلي ما نحن فيه وقد كان الناس كلهم حول جملي فسكتوا ساعة فقلت خيراً أم شراً اذا سكونكم حرس القتال وإذا ابن أبي طالب أنظر اليه يباشر القتال بنفسه واسمعه يصيح الجمل الجمل فقلت أرادوا والله قتلي فاذا هو علي بن أبي طالب ومعه محمد بن أبي بكر أخي ومعاذ بن عبد الله التيمي وعمار ابن ياسر وقطعوا البطان واحتملوا الهودج فهوى علي أيدي الرجال يرفلون به وهرب من كان معنا فلم أحس لهم خيراً .

ونادي منادي علي بن أبي طالب لا يتبع مدبراً ولا يجهز علي جريح ومن طرح السلاح فهو آمن فرجعت إلى الناس أرواحهم فمشوا علي الناس واستحيوا من السعي فدخلت منزل عبد الله

الجزاعي (١) وانه منزل رجل قد قتل وأهله مستعبرون عليه ودخل معي كل من خاف علياً ممن نصب له واحتمل ابن اختي عبد الله جريماً فوالله اني لعلى ما أنا عليه وأنا أسأل ما فعل ابو محمد طلحة إذ قال قائل قتل قتل ما فعل أبو سليمان فقيل قد قتل فلقد رأيتني تلك الساعة جمدت عيناى فانقطعت من الحزن وأكثرت من الاسترجاع والندامة وذكر من قتل فبكيت لقتلهم فنحن على ما نحن عليه وأنا أسأل عن عبد الله فقيل قتل فازددت غمّاً وهماً حتى كاد ينصدع قلبي فوالله لقد بقيت ثلاثة أيام بلياليهن ما دخل في فمي طعام ولا شراب وانى عند قوم ما يقصروا في ضيافتى وان الحبز في منازلهم لكثير لكنى أذهب اعالج الشيع من الطعام فما قدر فتعوذ بالله من الفتنة ولقد كنت ألبت على عثمان حتى نيل منه ما نيل فلما قتل ندمت وعلت ان المسلمين لا يستخلفون مثله أبداً كان والله أجلمهم حلماً وأجهدهم عبادة وأبذلهم عند النائية وأوصلهم للرحم قالت كبشة بنت كعب فرجعت إلى أبي فقال ما حدثكم به عائشة فأخبرته بما قالت فقال يرحم الله عائشة ويرحم الله أمير المؤمنين عثمان هي كانت أشد الناس عليه ولقد نزعت وتابت وأرادت ان تأخذ بشاره فجاء خلاف ما أرادت فرحمهم الله جميعاً .

ثم قال رحم الله عمر بن الخطاب كان والله يرى هذا كله قال يوماً ان كان يصير اختلاف فأنما يكون بينكم وان كان بينكم دخل عليكم ما تكرهون .

وروى الواقدي قال حدثنا محمد بن نجار عن عائشة بنت سعد قالت اشتكى أبي فدخل عليه مروان بن الحكم يعوده فذكر عائشة فقال مروان يا أبا اسحق لقد حضرت اموراً فاعتزلت عنها يوم الدار وحضرتها

(١) في تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٩) زوجته صفية بنت الحارث ابن طلحة بن أبي طلحة وهي ام طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف .

فقاتلت أماًى حتى وقعت جريحاً ثم حضرت الجمل وانى لأنظر إلى خروج عائشة وهودجها وعليه درع الحديد وقد انهزم الناس وما اخذ مخطام الجمل أحد إلامات فقال له أبى وهو يبكي وعمار وسطها فقال مروان اى والله فبكى أبى قال ثم خرجت يومئذ فحملت جريحاً فلم أر يوماً كان أسرع انكشافاً من يوم الجمل فقال له أبى ما أحب ان حضرت الدار أمراً ولا ناهياً ولا أحب ان حضرت الجمل أمراً ولا ناهياً ثم خرج مروان وجعل ابى يبكى ويقول ليت شعرى ما لى عمار وأصحابه وأمثاله من أصحابنا الله حملهم وغرسهم فى جنته .

وروى ابن ابى سبرة علقمة عن امه قال سمعت عائشة تقول : لقد رأيتنى يوم الجمل وان على هودجى الدرود الحديدية والتبل يخلص إلى منها وأنا فى الهودج فهون ذلك على ما صنعنا بعثمان ألبننا عليه حتى قتلناه وجرينا عليه الغواة فنعوذ بالله من الفرقة بين المسلمين .

وروى منصور بن أبى الأسود عن مسلم الأعور عن حبة العرنى قال والله انى لأنظرن إلى الرجل الذى ضرب الجمل ضربة على عجزه فسقط لجنبه فكاننى أسمع عجيح الجمل ما سمعت قط عجيجاً أشد منه قال لما عقر الجمل وانقطع بطان الهودج فزال عن ظهر الجمل وانقض اهل البصرة منهزمين وجعل عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر يقطعان الحقب والانساع واحتملاه - أى الهودج - ووضعاه على الأرض فأقبل على بن أبى طالب حتى وقف عليها وهى فى هودجها فقرع الهودج بالرمح وقال يا حميراء أرسول الله امرك بهذا المسير ونادى عمار بن ياسر يومئذ لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً مولياً ورأيت يومئذ سعيد وابان ابنا عثمان فجىء بهما إلى على بن أبى طالب عليه السلام فلما وقفا بين يديه قال بعض من حضر اقتلها يا أمير المؤمنين فقال بنس ما قلتم آمنت الناس كلهم واقتل هذين ثم أقبل عليهما وقال لهما ارجعا عن غيبكما وانزعا

وانطلقا حيث شئتما وان أحببنا فأقيمنا عندى حتى أصل أرحامكما فقالا
يا أمير المؤمنين نحن نباع فبايعا وانصرا .

قتل طلحة بن عبد الله :

وروى اسماعيل بن عبد الملك عن يحيى بن شبل عن جعفر بن محمد
عن أبيه عليه السلام قال حدثني أبي علي بن زين العابدين عليه السلام قال
قال لي مروان بن الحكم لما رأيت الناس يوم الجمل قد كشفوا قلت
والله لادركن نارى ولأفوزن منه الآن فرميت طلحة فأصبت نساء
فجعل الدم ينزف فرميته ثانية فجاءت به فأخذوه حتى وضعوه تحت
شجرة فيقى تحتها ينزف منه الدم حتى مات .

وروى ابن سليمان عن ابن خيشمة قال قال عبد الملك بن مروان
يوماً وقد ذكر عثمان وقتل طلحة ولولان أن أبى قتله لم يزل فى قلبى جرحه
إلى اليوم وقال عبد الملك سمعت أبى يقول نظرت إلى طلحة يوم الجمل
وعليه درع ومغفر لم أر منه إلا أعينيه فقلت كيف لي به فنظرت إلى
قتق فى درعه فرميته فأصبت نساء فقطعته فأنى انظر إلى مولى له يحمله
على ظهره مولياً فلم يلبث أن مات .

وروى عبد الحميد بن عمران عن ابن كعب القرظى عن رواح بن
الحرث عن عمير قالت لقيت طلحة بن عبد الله فقلت يا أبا محمد ما أخرجك
إلى ههنا ؟ أفلم تباع علياً بالمدينة طايماً غير مكره ؟ قال دعنى والله
ما بايعته إلا والسيف على عنقى فلما التقى الناس يوم الجمل جاءه سهم غرب (١)

(١) ذكر ابن جرير فى التاريخ (ج ٥ - ٢١٥) انه اصابه سهم
غرب وفى كتاب (مبادئ اللغة) تأليف محمد بن عبد الله الخطيب
الاسكافى المتوفى سنة ٤٢١ ص ١٠٨ يقال اصابه سهم غرب إذا لم
يعرف الراعى .

قطع نساء فنزف الدم حتى مات .

وروى ابو سهل عن الحسن قال لما رمى طلحة ركب بغلا وقال لغلامه التمس لي مكاناً أدخل فيه فقال الغلام ما ادرى اين ادخلك فقال طلحة ما رأيت كاليوم اضيع من دم شيخ مثلي . وقال الحسن وكان امر الله قدراً مقدورا .

وفي رواية علي بن زيد بن جذعان قال لما بلغ طلحة ان الزبير قد اندفع ذهب في طلبه وقد التقي وهم لا يعلمون برجوع الزبير فر مروان ابن الحكم فرآه فقال لا اطلب نارى بدم عثمان بعد اليوم والله وقاتل عثمان بين اعجاز الابل وصدورها ثم رماه بسهم فقتله .

وفي رواية سفيان بن عنبسة عن ابي موسى عن الحسن بن ابي الحسن قال خرج طلحة بن عبد الله من رساتيق أقطمه إياها عثمان إذ كان يقبضها ينيخ بها الف راكب ثم يروحون فلم يعرف له ذلك حتى سعى في دمه فلما كان يوم البصرة خرج للقتال وقد لبس درعا استجن به من السهام إذ اتاه سهم فأصابه وكان امر الله قدراً مقدورا ورأيته يقول حين اصابه السهم ما رأيت كاليوم مصرع شيخ اضيع من مصرعى قال الحسن وقد كان قبل ذلك جاهد جهاداً مع رسول الله وواته بيده فضيع امر نفسه ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء فيضع عنده قريبه ثم يقضى عنده حاجته فما رأيت اعجب من هؤلاء القوم .

واما الزبير فانه اتى حياً من احياء العرب فقال اجيروني وقد كان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه ثم قال الحسن وما الذي اخافك والله ما اخافك إلا ابك قال فاتبعه ابن جرmoz في تلول من انا ليل العرب والله ما رأيت مثله قط ضاع دمه وهذا قبره (بوادى السباع) (١) مخراة

(١) ذكر ابن كثير في البداية (ج ١١ - ص ٣١٩) ان اهل

البصرة في المحرم كشفوا عن قبر فرأوا رجلا طرى عليه ثيابه وسيفه -

لثعالب نخرجا ولم يدركا ما طلبا ولم يرجعا إلى ما تركا فعز على هذه الشقوة التي كتبت عليها .

وروى قيس بن ابى حازم قال روى طلحة بسهم في ركبته فجعل يعدو والدم يغور فاذا أمسكوا رأس الجرح اتفتخت ركبته فصاح دعوه فانه سهم ارسله الله فلم يزل الدم ينزف حتى مات فدفنوه على شاطئه .
الفرات فرأى بعض الناس في النوم طلحة يقول اربحوني من هذا الماء فاني في اذى شديد ورأى الرجل تلك الرؤيا ثلاث مرات فنبشوه فاذا قبره قد اخضر كأنه السلق فاستخرجوه فأخذ ما يلي الارض من لحيته ووجهه قد أكلته الارض فاشترؤا له داراً من دور آل بكر بعشرة آلاف درهم فدفنوه فيها .

فهذه الاخبار جملة مختصرة صحيحة في مقتل طلحة بن عبد الله طريقها من العامة من اوضح طريق وسندها اصح اسانيد وليس بين الامة فيها اختلاف وكل يدل على ان طلحة قتل وهو مصر على الحرب غير نادم ولا مرعوى عن ذلك وفاقاً للمذهب الحشوية وخلافاً للمذهب —
فضنوه الزبير بن العوام فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً ووقف عليه أوقاف كثيرة وجعل عنده خدام وقوام ونرش وتنوير ، انتهى .

أقول واذا اوقفنا تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ٢١٩) ان ابن جرموز طعن الزبير من خلفه واخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وجاء بالسيف إلى علي ، د ع ، وخلي عن غلامه فدفنه بوادى السباع اه .
نعرف من هذا الرجل الطرى الذى عليه ثيابه وسيفه لم يكن هو الزبير قطعاً وانى لا أراه إلا شهيداً على الحق والشهيد يدفن بثيابه لا يغسل ولا يكفن ويتضح من ذلك ان القبر المنسوب للزبير منشأه ذلك الظن وهو لا يبنى عن الحق شيئاً .

المنزلة وشاهداً ببطان ما ادعوه من توبته .

قتل الزبير بن العوام :

روى المفضل بن فضالة عن سويد بن الهادي عن محمد بن ابراهيم قال هرب الزبير على فرس له يدعى (ذا الجمار) حتى وقع بسفوان فرم بعبد الله بن سعيد المجاشعي وابن مطرح السعدي فقالا له يا حواري رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك احد فأقبل معها فهو ليسير مع الرجلين إذ أتى الاحنف بن قيس رجل فقال اريد ان اسر اليك سرأ ادن مني فدنا منه فقال يا ابا الحسن هذا الزبير قد هرب واني رأيته بين رجلين من بني مجاشع ومنقر اظنه يريد التوجه إلى المدينة فرفع الاحنف صوته وقال ما اصنع ان كان الزبير قد التى الفتنة بين المسلمين حتى ضرب بعضهم بعضاً ثم هو يريد ان يرجع إلى أهله إلى المدينة سالماً فسمعه ابن جرموز فنهض ومعه رجل يقال له فضالة ابن محابس وعلما ان الاحنف انما رفع صوته يذكر الزبير لكرهته ان يسلم وايثاره ان يقتل فاتبعاه جميعاً فلما رأهما من كان مع الزبير قالوا له هذا ابن جرموز وانا نخافه عليك فقال لهم الزبير انا أكفيكم ابن جرموز واتم اكفوني ابن محابس لحمل عمير على الزبير وعطف عليه وقال يا فضالة اعني فان الرجل قاتلي فأعانه وحمل ابن جرموز فقتله واحتز رأسه وأتى به الاحنف بن قيس ثم إلى أمير المؤمنين «ع» فلما رآه العسكر انكروه وقالوا له من أنت ؟ قال انا رسول الاحنف بن قيس فمن قاتل يقول مرحبا بك وبمن جئت من عنده ومن قاتل يقول لا مرحبا بك ولا بمن جئت من عنده حتى انتهى إلى فسطاط أمير المؤمنين «ع» فخرج اليه رجل ضخم طوال عليه درع يتجسس فاذا هو الاشر فقال من أنت ؟ قال انا رسول الاحنف فقال مكانك حتى استأذن لك فاستأذن له فدخل وامير المؤمنين

متكى. وبين يديه ترس عليه اقراص من طعام الشعير فسلم عليه
وهناه بالفتح عن الاحنف وقال انا رسوله وقد قتلت الزبير وهذا رأسه
وسيفه فألقاهما بين يديه فقال عليه السلام كيف قتلته وما كان من امره
حدثنا كيف صنعك به ثم قال ناولني سيفه فناوله فاستله وقال سيف اعرفه
أما والله لقد قاتل بين يدي رسول الله (ص) غير مرة ولكنه الحين
ومصارع السوء .

وفي رواية منصور بن ابى الاسود عن عطاء بن السائب عن ابى
البحرئى قال لما بعث الاحنف بن قيس الى امير المؤمنين (ع) برأس
الزبير وسيفه وجاهه الرسول يهنئه بالفتح تلا : (الذين يتربصون بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم (١) .

وفي رواية اخرى عن زيد بن فراس عن غزال بن مالك قال لما
قتل الزبير وجىء برأسه الى امير المؤمنين عليه السلام قال أما والله
لو لا ما كان من امر حاطب بن أبى بلتعة ما اجترأ طلحة والزبير على قتالى
وان الزبير كان أقرب إلى من طلحة وما زال منا اهل البيت حتى بلغ
ابنه فقطع بيننا .

وفي رواية عبد الله بن جبير عن ابن أبى عون قال سمعت مروان
ابن الحكم يقول لما كان يوم الجمل قلت والله لأدركن نار عثمان فرميت
طلحة بسهم فقطعت نساها وكان كلبا شد الموضع غلب الدم عليه وألمه
فقال لغلامه دعه فهو سهم ارسله الله إلى ثم قال له ويلىك اطلب لى
موضعا احترز به فلم يجد له مكانا فاحتمله عبد الله بن معمر فأدخله
بيت أعرابية ثم ذهب فصبه هنيئة ورجع فوجده قد مات وهرب الزبير
فاراد المدينة حتى أتى وادى السباع فرفق الاحنف صوته وقال ما اصنع
بالزبير قد لف بين عارين من الناس حتى قتل بعضهم بعضا وهو يريد

(١) سورة النساء : ١٤٠ .

الحاق بأهله فسمع ذلك ابن جرموز نفرج في طلبه وتبعه رجل من مجاشع حتى لحقاه فلما رأهما الزبير حذرهما فقالا يا حواري رسول الله انت في ذمتنا لا يصل اليك أحد وسأيره ابن جرموز فينا هو يسير ويستأخر والزبير يفارقه ثم قال يا أبا عبد الله انزع درعك واجعلها على فرسك فانها تثقلك وتعيبك فزعاها الزبير وجعل عمرو بن مجاشع ينكص ويستأخر والزبير يناديه فيلحقه وهو يجري بفرسه ثم انحاز اليه حتى اطمأن اليه ولم ينكر تأخره عنه فحمل عليه وطعنه بين كتفيه فأخرج السنان من بين ثدييه ونزل فاحتر رأسه وجاء به إلى الأحنف فأنقذه إلى أمير المؤمنين (ع) ، فلما رأى رأس الزبير وسيفه قال ناولني السيف فناوله فهزه وقال سيف طالما قاتل به بين يدي رسول الله (ص) ولكن الحين ومصارع السوء ثم تفرس في وجه الزبير وقال لقد كان لك برسول الله (ص) صحبة ومنه قرابة ولكن دخل الشيطان منحرك فأوردك هذا المورد .

الوصي يكلم القتلى :

فصل : لما انجحت الحرب بالبصرة وقتل طلحة والزبير وحملت عائشة إلى قصر بني خلف ركب أمير المؤمنين (ع) ، وتبعه أصحابه وعمار بن ياسر رحمه الله يمشي مع ركابه حتى خرج إلى القتلى يطوف عليهم فربعبده الله بن خلف الخزاعي وعليه ثياب حسان مشهرة فقال الناس هذا والله رأس الناس فقال عليه السلام ليس برأس الناس ولكنه شريف منيع النفس ثم مر بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال هذا يصوب القوم ورأسهم كما ترونه ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا فلما رأى أشرف قریش صرعى في جملة القتلى قال جدعت انبي اما والله ان كان مصرعكم لبغيضاً إلي ولقد تقدمت اليكم وحذرتكم عض السيوف

وكنتم أحدانا لاعلم لكم بما ترون ولكن الحين ومصارع السوء نفوذ
 بالله من سوء المصرع ثم سار حتى وقف على كعب بن شور وهو مجدل
 بين القتلى وفي عنقه المصحف فقال نحو المصحف وضموه في مواضع
 الطهارة ثم قال اجلسوا لي كعباً فاجلس ورأيتَه ينخفص إلى الأرض
 فقال يا كعب بن شور قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك
 ربك حقاً ثم قال اضجعوا كعباً فتجاوزته فبرق رأى طلحة صريعاً فقال
 اجلسوا طلحة فاجلس وقال يا طلحة بن عبد الله قد وجدت ما وعدني ربي
 حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ثم قال اضجعوه فوق رجل من
 القراء أمامه وقال يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صدقت لا تسمع
 لك كلاماً ولا ترد جواباً فقال عليه السلام انها ليسمعان كلامي كما سمع
 اصحاب القليب كلام رسول الله (ص) ولو أذن لهم في الجواب لرأيت
 عجباً ومر بعبد الله بن المقداد بن عمر (١) وهو في الصرعى فقال رحم
 الله أباك إنما كان رأيه فينا احسن من رأيك فقال عمار الحمد لله الذي
 اوقعه وجعل خده الاسفل انا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي عن عند من
 الحق من ولد ووالد فقال عليه السلام رحمك الله يا عمار وجواك عن
 الحق خيراً ومر بعبد الله بن ربيعة بن رواح وهو في القتلى فقال هذا
 البائس ما كان اخرجته نصر عثمان والله ما كان رأى عثمان فيه ولا في
 ابيه بحسن ومر بمعبد بن زهير بن امية فقال لو كانت الفتنة برأس
 الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بندي بخبره ولقد اخبرني من
 ادركه انه يلوذ خوفاً من السيف حتى قتل البائس ضياعاً ومر بمسلم بن

(١) امه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب شقيق ابي طالب والـ
 على (ع) ، وعبد الله والد النبي (ص) ومن غرائب الاسرار الالهية
 ان ابن المقداد يخرج على امير المؤمنين (ع) ، ومحمد بن ابي بكر يكون
 مع امير المؤمنين (ع) .

قرضة فقال البر اخرج هذا ولقد سألتني ان اكلم عثمان في شيء يدعيه عليه بمكة فلم أزل به حتى اعطاه وقال لي لو لانت ما اعطيته ان هذا ما علمت بتس العشيرة ثم جاء لحينه ينصر عثمان ثم مر بعبد الله بن عمير ابن زهير قال هذا ايضا ممن وضع في قتلانا يطلب بزعمه دم عثمان ولقد كتب إلى كتيباً أذى عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضى عنه ومر بعبد الله ابن حكيم بن حزام فقال هذا خالف أباه في الخروج على وان أباه حيث لم ينصرنا بايع وجلس في بيته ما الوم أحداً اذا كف عنا وعن غيرنا ولكن الموموم الذي يقاقلنا ومر بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال اما هذا فقتل ابوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج غضباً لمقتل أبيه وهو غلام لاعلم له بمواقب الامور ومر بعبد الله بن الأخنس بن شريق فقال اما هذا فاني أنظر اليه وقد أخذ القوم السيوف وانه لهارب يعدو من السيف فنهيت عنه فلم يسمع نهي حتى قتل وكان هذا ممن مقت علي وانه ممن قتيان قريش الاغمار لاعلم لهم بالحرب خدعوا واستزولوا فلما وقعوا المحجوا فقتلوا .

الشهيد يحاج بدمه :

ثم امر عليه السلام مناديه فنادى : من أحب ان يوارى قبيله فليواره وقال عليه السلام واروا قتلانا في نياهم التي قتلوا فيها فانهم يحشرون على الشهادة واني لشاهد لهم بالوفاء .

كتب علي إلى المدينة والكوفة :

ثم رجع إلى خيمته واستدعى عبد الله بن رافع وقال اكتب إلى اهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي بن ابي طالب . سلام عليكم فاني احمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو فان الله بمنه وفضله وحسن بلائه

عندى وعندكم حكم عدل وقد قال سبحانه في كتابه وقوله الحق :
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

وانى يخبركم عنا وعن سرنا اليه من جموع اهل البصرة ومن سار
اليهم من قریش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكشهما على ما قد علمتم من
بيعتى وهما طايعان غير مكرهين فخرجت من عندكم بمن خرجت بمن
سارع الى بيعتى وإلى الحق حتى نزلت (ذآقار) ففغر معى من نفر من
اهل الكوفة وقدم طلحة والزبير البصرة وصنعا بعاملى عثمان بن حنيف
ما صنعا فقدمت اليهم الرسل واعذرت كل الأعذار ثم نزلت ظهر البصرة
فأعذرت بالدعاء وقدمت الحججة وأقلت العثرة والزلة واستعنتبهما ومن
معها بمن نكث بيعتى ونقض عهدى فأبوا إلا قتالى وقتال من معى
والتمادى فى النى فلم أجد بدأ فى مناصفتهم بالجهاد فقتل الله من قتل
منهم ناكثاً وولى من ولى منهم واعمدت السيوف عنهم واخذت بالعمو
فيهم وأجريت الحق والسنة فى حكمهم واخترت لهم عاملاً واستعملته
عليهم وهو عبد الله بن عباس وإنى سائر إلى الكوفة انشاء الله تعالى .
وكتب عبد الله بن ابى رافع فى جمادى الاولى سنة ست وثلاثين
من الهجرة وكتب امير المؤمنين عليه السلام إلى ام هانى بنت ابى
طالب (١) :

سلام عليك احمد اليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فانا التقينا مع
البغاة والظلة فى البصرة فأعطانا الله تعالى النصر عليهم بحوله وقوته
(١) يتم هذا إذا صح ما فى تقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠
لكنهم من انها ماتت فى ايام معاوية واما على ما فى مناقب ابن
شهر اشوب (ج ١ - ص ١١٠) ايران من انها ماتت ايام النبى (ص)
فلا يتم .

واعطاهم سنة الظالمين فقتل كل من طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عتاب
وجمع لا يحصى وقتل منا بنو مخدوع وابنا صوحان وعلياً وهنداً وثمامة
فيمن يعد من المسلمين رحمهم الله والسلام .

وكتب إلى أهل الكوفة :

بسم الله الرحمن الرحيم من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة .
سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فان الله
حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (واذا اراد الله بقوم
سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) واني اخبركم عنا وعن
سرنا اليه من جموع اهل البصرة ومن سار اليه من قريش وغيرهم مع
طلحة والزبير بعد نكشها صفقة ايمانها فنهضت من المدينة حين انتهى
إلى خبرهم وما صنعوه بعامل عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار
فبعثت اليكم ابني الحسن وعماراً وقيساً فاستنفروكم لحق الله وحق
رسوله وحقنا فأجابني اخوانكم سراعاً حتى قدموا علي بهم وبالمسارعة
إلى طاعة الله حتى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وأقت الحجة
وأقلت العثرة والزلة من اهل الردة من قريش وغيرهم واستعنتهم عن
نكشهم بيعي وعهد الله لي عليهم فأبوا إلا قتالي وقاتل من معي والتمادي
في البغي فناهضتهم بالجهاد وقتل من قتل منهم وولى إلى مصرهم من ولى
فسألوني ما دعوتهم اليه من كف القتال فقبلت منهم وغمدت السيوف
عنهم وأخذت بالعفو فيهم واجريت الحق والسنة بينهم واستعملت عبد
الله بن عباس على البصرة وانا سائر إلى الكوفة ان شاء الله تعالى وقد
بعثت اليكم زجر بن قيس الجعفي لتسألونه يخبركم عنا وعنهم وردهم
الحق علينا وردهم الله وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وكتب عبد الله بن ابي رافع في جمادى الاولى سنة ست وثلاثين .

خطبة علي «ع» :

ولما كتب امير المؤمنين عليه السلام بالفتح قام في الناس خطيباً
لحمد الله واثني عليه وصلى على محمد وآله ثم قال :
اما بعد فان الله غفور رحيم عزيز ذر انتقام جعل عفوه ومغفرته
لاهل طاعته وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف امره وابتدع في
دينه ما ليس منه وبرحمته نال الصالحون وقد امكنني الله منكم يا اهل
البصرة واسلمكم بأعمالكم فاياكم ان تعودوا إلى مثلها فانكم اول من
شرع القتال والشقاق وترك الحق والانصاف .

زهد علي «ع» :

ثم نزل عليه السلام واستدعى جماعة من اصحابه فمشوا معه حتى
دخلوا بيت المال وارسل الى القراء فدعاهم ودعا الخزان وامرهم بفتح
الابواب التي داخلها المال فلما رأى كثرة ما فيها فقال هذا جناي ثم قسم
المال بين اصحابه فأصاب كل منهم ستة آلاف درهم وكان اصحابه
اثني عشر الف واخذ كأخدم فيناهي بحالها إذ أتاه آت فقال يا امير
المؤمنين ان اسمي سقط من كتابك وقد رأيت من البلاء ما رأيت فدفع
سهمه إلى ذلك الرجل .

وروى الثوري عن داوود بن ابى هند عن ابى حرز الاسود قال
لقد رأيت بالبصرة طلحة والزبير قد ارسلا الى اناس من اهل
البصرة انا فيهم فدخلنا بيت المال معها فلما رأيا ما فيه من اموال قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله ثم تليا هذه الآية : (وعدكم الله مغنم كثيرة
تأخذونها فمجل لكم هذا) إلى آخر الآية وقالوا نحن احق بهذا المال
من كل احد ولما كان من القوم ما كان دعانا على بن ابى طالب دع

فدخلنا معه بيت المال فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال غري غريّ وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسه درهم عزها لنفسه فجاءه رجل فقال ان اسمي سقط من كتابك فقال عليه السلام ردوها ردوها عليه ثم قال الحمد الذي لم يصل إلي من هذا المال شيئاً ووفره على المسلمين .

خطبته بعد القسمة :

روى الواقدي ان امير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً حمد الله واثني عليه وقال :

ايها الناس اني احد الله على نعمة قتل طلحة والزبير وهربت عائشة وايم الله لو كانت عائشة طلبت حقا وهانت باطلا لكان لها في بيتها مأوى وما فرض الله عليها الجهاد وان اول خطأها في نفسها وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقدأ وما زادهم الشيطان إلا طغيانا ولقد جؤوا مبطلين وادبروا ظلمين ان اخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله وانا لهي الحق وانهم لهي الباطل ويجمعنا الله وايامهم يوم الفصل واستغفر الله لي ولكم .

كتاب الى اهل الكوفة :

وفي رواية عمر بن سعد عن يزيد بن الصلت عن عامر الاسدي قال ان عليا كتب بعد فتح البصرة مع عمر بن سلة الأرجبي الى اهل الكوفة من عبد الله علي بن ابي طالب الى قرصة بن كعب ومن قبله من المسلمين سلام عليكم فاني احد الله اليكم الذي لا إله إلا هو اما بعد فانا لقينا القوم التاكثين لبيمتنا المفرقين بجماعتنا الباغين علينا من امتنا

فأججناهم الى الله فنصرنا الله عليهم وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت اليهما بالنذر واشهدت عليهما صلحاء الامة ومكتهما في البيعة فاطاعا المرشدين ولا أجابا الناصحين ولا ذاهل البغي بمأثثة فقتل حولها جم لا يحصى عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على اهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونيها من الحرب واغترار من اغتر بها وما صنعت من التفرة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين لاينة ولا معذرة ولا حجة لها فلما هزمهم الله امرت ان لا يقتل مدبراً ولا يجهز على جريح ولا يهتك سر ولا يدخل دار إلا باذن اهلها وقد آمنت الناس واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم وأثابهم ثواب الصابرين وجزاهم من اهل مصر عن اهل بيت نبينهم احسن ما يحزى العاملين بطاعته والشاكرين لنعتمه فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فأجبتهم فنعم الاخوان والاعوان على الحق اتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب عبد الله بن ابى رافع في رجب سنة ست وثلاثين .

سيرته في أهل البصرة :

دوى مطر بن خليفة عن منذر الثورى قال لما انهزم الناس يوم الجمل امر امير المؤمنين عليه السلام مناديا ينادى ان لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبراً وقسم ما حواه العسكر من السلاح والكرام .
وروى سفيان بن سعد قال قال عمار لأمير المؤمنين دع ، ما ترى فى سبي الذرية قال ما أرى عليهم من سبيل انما قاتلنا من قاتلنا ولما قسم ما حواه العسكر قال له بعض القراء من اصحابه اقسام من ذرارهم لنا واموالهم وإلا فما الذى أحل دماءهم ولم يحل اموالهم فقال عليه السلام

هذه الذرية لا سبيل عليها وهم في دار هجرة وانما قتلنا من حاربنا وبغى علينا وأما أموالهم فهي ميراث لمستحقها من أرحامهم فقال عمار رحمه الله لا تتبع مدبرهم ولا تجهز على جريحهم فقال «ع» لا لأنى آمنتهم .
وروى سعد بن جشم عن خارجة عن مصعب عن أبيه قال شهدنا مع أمير المؤمنين «ع» الجمل فلما ظفرنا بهم خرجنا في طلب الطعام فجعلنا نمر بالذهب والفضة فلا تتعرض له وإذا وجدنا الطعام أصبنا منه قال وقسم على «ع» ما وجدته في العسكر من طيب بين نساتنا وقال «ع» مروا نساء هؤلاء المقتولين من أهل البصرة أن يعتدن منهم ولتقسم أموالهم في أهليهم فهي ميراث لهم على فريضة من الله قال وكان إذا أتى بأسير منهم فإن كان قاتل قتلته وإن لم تقم عليه بيعة بالقتل أطلقه ولما قسم ما حواه العسكر أمر بفرس فيه كادت أن تباع فقام إليه رجل قال يا أمير المؤمنين هذه الفرس لي كانت وإنما أعرتها لفلان ولم أعلم انه يخرج عليها فسأله البيعة على ذلك فأقام البيعة انها عارية فردها وقسم ما سوى ذلك .

ذمه أهل البصرة :

وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال لما ظهر أمير المؤمنين «ع» على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وقال :

أيها الناس ان الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لاهل طاعته وقضى ان تقمته وعقابه على أهل معصيته يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ؟ ويا جند المرأة ؟ وأتباع البهيمة رغاً فرجفت ، وعقر فانهمتم أحلامكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وأتم فسقة مراق

أرضكم قريبه من الماء ؛ بعيدة من السماء ، خفت عقولكم ، وسفهت
أحلامكم ، شهرتم سيوفكم علينا ، وسفكتم دماءكم ، وخالفتم إمامكم ،
فأنتم أكلة الآكل ، وفريسة الظافر ، والنار لكم مدخر ، والعار لكم
مفخر ، يا أهل البصرة : نكثتم بيعتي ، وظهرتم علي ذوي عداوتي ، فا
ظنكم يا أهل البصرة الآن ؟ .

فقام اليه رجل منهم فقال لظن خيراً يا أمير المؤمنين ونرى انك
ظفرت وقدرت فان عاقبت فقد أجرنا وان عفوت فالعفو أحب إلى
رب العالمين .

فقال دع ، قد عفوت عنكم فاياكم والفتنة فانكم أول من نكث البيعة
وشق عصا الامة فارجعوا عن الحوبة واخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة
ولما فرغ دع ، من الخطبة وكلامه لأهل البصرة ركب بغلته
واجتمع اليه جماعة من شرطة الخيس وطوايف .

أسباب بغض عائشة :

عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه
رجال منهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة
عليك حتى بلغت من خلافتك وشقاقك ما بلغت ؟ وهي امرأة من النساء
لم يكتب عليها القتال ولا فرض عليها الجهاد ولا ارض لها في الخروج
من بيتها ولا التبرج بين الرجال وليست بما نولته في شيء على حال
فقال دع ، سأذكر أشياء حقدتها علي ليس في واحد منها ذنب اليها
ولكنها تجرمت بها علي .

أحدها : تفضيل رسول الله لي على أبيها وتقديمه لإيادي في مواطن
الخير عليه فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه
وثانيها : لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر بن

الخطاب واختصني باخوته فغلب ذلك عليها وحدتني لسعدى منه .
 وثالثها : أوصى صلوات الله عليه بسد أبواب كانت في المسجد
 لجميع أصحابه إلا بابي فلما سد باب أيما وصاحبه وترك بابي مفتوحاً في
 المسجد تكلم في ذلك بعض أهله فقال صلوات الله عليه ما أنا سدوت
 أبوابكم وفتح باب علي بل الله عز وجل سد أبوابكم وفتح بابي
 فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه وتكلم في أهله بشيء سمعته منه
 ابنته فاضطغنته علي .

وكان رسول الله أعطى أباهما الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع
 حتى يفتح أو يقتل فلم يلبث لذلك وانهم فاعطاهما في الغد عمر بن
 الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهم ولم يلبث فساء رسول الله
 ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله
 ورسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله علي
 يده فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله علي يدي فغم ذلك أباهما وأحزنه
 فاضطغنته علي ومالي اليه ذنب في ذلك لحقت لحقد أيها .

وبعث رسول الله (ص) أباهما ليؤدي سورة براءة وأمره أن ينبذ
 العهد للشركين فمضى حتى انحرف فأوحى الله إلى نبيه أن يردده ويأخذ
 الآيات فيسلبها إلى فعرف أباهما باذن الله عز وجل وكان فيما أوحى الله
 عز وجل اليه لا يؤدي عنك إلا رجل منك وكنت من رسول الله وكان
 مني فاضطغنت لذلك علي أيضاً واتبعته عائشة في رأيه .

وكانت عائشة تمتعت خديجة بنت خويلد وتشنتها شأن الضرائر
 وكانت تعرف مكانها من رسول الله (ص) فيثقل ذلك عليها وتعدي
 حقتها إلى ابنتها فاطمة فتممتني وتممت فاطمة وخديجة وهذا معروف
 في الضرائر .

ولقد دخلت علي رسول الله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب علي

أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله فلما رأني رحب وقال ادن مني يا علي ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها ففظ ذلك عليها فأقبلت إلي وقالت بسوء رأي النساء وتسرعن إلى الخطاب ما وجدت لأستك يا علي موضعاً غير موضع نخذي فزبرها النبي (ص) وقال لها ألعلي تقولين هذا انه والله أول من آمن بي وصدقني وأول الخلق ورداً علي الحوض وهو أحق الناس عهداً إلي لا يفضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار فازدادت بذلك غيضاً علي .

ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبي فاستشارني في أمرها فقلت له يا رسول الله سل جاريتها بريرة واستبره الحال منها فان وجدت عليها شيئاً نخل سيلها فالنساء كثيرة فأمرني ان اتولى مسألة بريرة واستبره الحال منها ففعلت ذلك فحقدت علي والله ما اردت بها سوء لكنني نصحت لله ولرسوله وامثال ما ذكرت فان شئتم فاسألوها ما الذي تقمت علي حتى خرجت مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي بفسير سبب يوجب ذلك في الدين والله المستعان .

فقال القوم القول والله ما قلت يا امير المؤمنين ولقد كشفت الغمة ولقد نشهد إنك اولى بالله ورسوله ممن عاداك فقال الحجاج بن عزمة الانصاري في ايات يتصل بما ذكرناه ويعني ما اثبتناه من هذه الجملة منها عن ايرادها .

قال الراقي ولما فرغ امير المؤمنين (ع) من اهل الجمل جاءه قوم من قتيان تريش يسألونه الامان وان يقبل منهم البيعة فاستشفعوا اليه بعبد الله بن العباس فشفعه وامرهم في الدخول عليه فلما مثلوا بين يديه قال لهم ويلكم يا معشر تريش علام تقاتلونني على ان حكمت فيكم بغير عدل او قسمت بينكم بغير سوية او استأثرت عليكم او لبعدي عن

رسول الله او لقالة بلاء مني في الاسلام فقالوا يا امير المؤمنين نحن اخوة يوسف فاعف عنا واستغفر لنا فنظر إلى احدهم فقال له من انت ؟ قال انا مساحق بن مخزومة معترف بالزلة مقرر بالخطيئة تائب من ذنبي فقال عليه السلام قد صفحت عنكم و ايم الله ان فيكم من لا ابالي بايعني بكفه او باسته ولئن بايعني لينكثن .

وتقدم اليه مروان بن الحكم وهو متكى على رجل فقال له ما بك ؟ هل بك جراحة ؟ قال نعم يا امير المؤمنين وما اراني إلا لما بي تقبسم أمير المؤمنين د ع ، وقال لا والله ما انت لما بك وستلقى هذه الامة منك ومن ولدك يوماً احمرأ و بايعه وانصرف وتقدم اليه عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فلما نظر اليه امير المؤمنين د ع ، قال والله ائن كنت انت واهل بيتك لاهل دعة وان كان فيكم غنى ولكن اعف عنكم ولقد نقل علي حيث رأيتمكم في القوم واحببت ان تكون الواقعة بغيركم فقال له عبد الرحمن فقد صار ذلك إلى ما لا يجب ثم بايعه وانصرف .

مسير عائشة إلى المدينة :

ولما عزم أمير المؤمنين د ع ، على المسير إلى الكوفة انفذ إلى عائشة بأمرها بالرحيل إلى المدينة فتهيأت لذلك وانفذ معها اربعين امرأة البسمن العاتم والقلائس وقلدهن السيوف وامرهن ان يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورأئها فجعلت عائشة تقول في الطريق اللهم افعل بعلي بن ابى طالب وافعل بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله فلما قدمن المدينة معها القين العاتم والسيوف ودخلن معها فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم امير المؤمنين د ع ، وسبه وقالت جزى الله ابن ابى طالب خيراً فلقد حفظ في حرمة رسول الله (ص) .

اعتراف مروان بالظلم :

وروى ابو مخنف عن العدي عن ابي هشام عن البريد عن عبد الله ابن المحارق عن هاشم بن مساحق القرشي قال حدثنا ابي انه لما انهزم الناس يوم الجمل اجتمع معه طائفة من قريش فيهم مروان بن الحكم فقال بعضهم لبعض والله لقد ظلمنا هذا الرجل يعنون امير المؤمنين «ع» ، وتكثنا بيعته من غير حدث والله لقد ظهر علينا فما رأينا قط اكرم سيرة منه ولا احسن عفواً بعد رسول الله (ص) تعالوا حتى ندخل عليه ونعتذر اليه فيما صنعناه قال فصرنا إلى بابه فاستأذناه فأذن لنا فلما مثلنا بين يديه جعل متكئنا يتكلم فقال «ع» انصتوا اكفكم انما انا بشر مثلكم فان قلت حقاً فصدقوني وان قلت باطلاً فردوا علي انشدكم الله أتعلون ان رسول الله (ص) قبض وانا اولي الناس به وبالناس من بعده ؟ قلنا اللهم نعم قال فعدلتم عني وبايعتم ابا بكر فأمسكت ولم احب ان اشق عصا المسلمين وافرق بين جماعاتهم ثم ان ابا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت ولم اهيج الناس وقد علمت اني كنت اولي الناس بالله وبرسوله وبمقامه فصبرت حتى قتل وجعلني سادس ستة فكففت ولم احب ان افرق بين المسلمين ثم بايعتم عثمان فظفتم عليه وقتلتموه وانا جالس في بيتي وايتموني وبايعتموني كما بايعتم ابا بكر وعمر وفيهم لها ولم تفوا لي وما الذي منعكم من تكث بيعتها ودعائكم إلى تكث بيعتي فقلنا له كن يا امير المؤمنين كالعبد الصالح يوسف إذ قال :

لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
فقال «ع» لا تريب عليكم اليوم وان فيكم رجلاً لو بايعني يسيده
لتكث باسته ؛ يعني مروان بن الحكم .

وروى المسعودي عن هاشم بن الوليد عن ابن سعيد التيمي عن

ابن ثابت مولى ابي ذر قال شهدت مع أمير المؤمنين «ع»، الجمل فلما رأيت عائشة واقفة بين الصفيين ومعها طلحة والزبير قلت ام المؤمنين وزوجة الرسول وحواري الرسول وصاحبيه بأحد فدخلني ما يدخل الناس من الشك حتى كان عند صلوة الظهر كشف الله ذلك عن قلبي. وقلت على أمير المؤمنين واخو سيد المرسلين واولهم اسلاماً لم يكن بالذي يقدم على شبهة فقاتلت معه قتالاً شديداً فلما انقضى الحرب اتيت المدينة فسرت الى بيت ام سلمة فاستأذنت عليها فقبلت من هذا فقلت سائل فقاتلت اطعموا السائل فقلت اني والله لم أسأل طعاماً ولكني مولى ابي ذر رجعت اسأل عن ديني فقاتلت مرحباً بك فقصصت عليها فقالت اين كنت حين طارت القلوب مطايرها فقلت اني فيها احس ذلك إذ كشف الله عن قلبي فقاتلت مع أمير المؤمنين «ع»، حتى فرغ فقالت احسنت اني سمعت رسول الله يقول ان علياً مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يرثا الحوض .

فصل : وقد اختلفت الروايات في عدد القتلى بالبصرة فقد جاء في بعضها انهم خمسة وعشرون الفاً .

وروى عن عبد الله بن الزبير رواية شاذة انهم خمسة عشر الف قتيل ويوشك ان يكون ابن الزبير اثبت ولكن القول في ذلك باطل لبعده عن جميع ما قاله اهل العلم فاما الاخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ ورجله ثم قتل بعد ذلك فهي مشهورة انهم كانوا نحو من اربعة عشر الف رجل .

ابن عباس والي البصرة :

فصل : وما رواه الواقدي عن رجاله قال لما اراد أمير المؤمنين الخروج من البصرة استخلف عليها عبد الله بن العباس ووصاه وكان

في وصيته له ان قال : يا ابن عباس عليك بتقوى الله والعدل بمن
وليت عليه وان تبسط للناس وجهك وتوسع عليهم مجلسك وتسعهم
بملك وإياك والغضب فانه طيرة الشيطان وإياك والهوى فانه يصدك
عن سبيل الله واعلم ان ما قربك من الله فهو مبعادك من النار وما
باعدك من الله فمقربك من النار واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين
وروى ابو مخنف لوط بن يحيى قال لما استعمل امير المؤمنين عبد
الله بن العباس على البصرة خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وصلى على
النبي ثم قال :

معاشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس فاسمعوا له
واطيعوا امره ما اطاع الله ورسوله فان احدث فيكم او زاغ عن الحق
فاعلموا اني اعزله عنكم فاني ارجوان اجده عفيفاً تقياً ورعاً وانى لم اوله
عليكم إلا وانا اظن ذلك به غفر الله لنا ولكم .

فأقام عبد الله بالبصرة حتى عمد امير المؤمنين «ع» إلى التوجه إلى
الشام فاستخلف عليها زياد بن ابيه وضم اليه ابا الأسود الدؤلي ولحق
بأمير المؤمنين حتى سار إلى صفين .

وروى ابو مخنف لوط بن يحيى عن رجاله قال لما اراد امير المؤمنين
«ع» التوجه إلى الكوفة قام في أهل البصرة فقال ما تنقمون على يا أهل
البصرة ؟ وأشار إلى قيصه وردائه فقال والله انها لمن غزل أهلي
ما تنقمون مني يا أهل البصرة وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته فقال
والله ما هي إلا من غلتي بالمدينة فان انا خرجت من عندكم بأكثر مما
ترون فانا عند الله من الخائنين ثم خرج وشيعه الناس إلى خارج البصرة
وتبعه الأحنف بن قيس إلى الكوفة .

ولما خرج وصار على غلوة استقبال الكوفة بوجهه وهو راكب
بغلة رسول الله (ص) وقال الحمد لله الذي اخرجني من اخبت البلاد

واخشنها ترابا واسرعها خرابا واقربها من الماء وابعدها من السماء بها
مغيض الماء وبها تسعة اعشار الشروهي مسكن الجن الخارج منها برحة
والداخل اليها بذنب اما انها لا تذهب الدنيا حتى يجيء اليها كل فاجر
ويخرج منها كل مؤمن وحتى يكون مسجدها كأنه جوجو سفينة .

فهذه جملة من اخبار البصرة وسبب قتلها ومقالات اصحاب الآراء
في حكم الفتنة بها قد اوردناها على سبيل الاختصار واثبتنا ما اثبتنا من
الاخبار عن رجال العامة دون الخاصة ولم نثبت في ذلك ما روته الشيعة
في إنكاره وكان الغرض فيما اوردناه في هذا الكتاب من تفصيل ذكر
قتلة البصرة وما جرى فيها من القتال والفعال والاباة عن عناد القوم
لامير المؤمنين «ع»، والقصد لحربه وسفك دمه من غير شبهة في امره
ولا غدر فيما صاروا اليه من خلافه ولنوضح فيما تضمنته الاخبار في
بطلان مقال من ادعى للقوم التوبة من فرطهم الضلال لحرب امير
المؤمنين «ع»، وفساد مذهب من ذهب إلى ذلك من المعزلة والمرجئة
والحشوية .

ويدل على ما اثبتناه منه ان القوم مضوا مصرين على اعمالهم غير
نادمين عليها ولا تائبين منها وانهم كانوا يتظاهرون الى الله بالقربة
والتدين بعداوتهم لامير المؤمنين «ع»، والبغض والتضليل والتبديع
له ولا ولاده ولشيئته وانصاره والبراءة إلى الله من جميعهم وان امير
المؤمنين «ع»، يرى عليهم بمثل ذلك ويرى القربة إلى الله بجهادهم وقتالهم
حتى مضى لسبيله وانا مثبت بعد الذي قدمت اخباراً قد سلم لصحتها
اهل العقل والنقل على خلافهم في الآراء والمذاهب تؤكد ما ذكرت
في هذا الكتاب ويشهد بصحة ما ذكرت وان كنت قد جمعتهما في موضوع
آخر من كتبتي وانما اوردتها في هذا الكتاب للملأمتها لعناه وتأيبه
لما تضمنته من فوائده وغواه وبالله استعين .

فن ذلك ما حدثنا به ابو بكر محمد بن عمر الجعاني قال حدثنا ابو
 العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة عن ابي الحسن علي بن الحسين
 ابن فضال باسناده في كتابه المعروف (بالمبني) وهو اشهر ان يدل عليه
 العلماء عن ابان بن عثمان عن الاجلح عن ابي صالح عن عبد الله بن عباس
 قال لما رمى اهل الافك عائشة استشار رسول الله (ص) علياً فيها فقال
 يا رسول الله النساء كثيرة سل الخادمة فسألوا بريرة فقالت ما علمت إلا
 خيراً فبلغ ذلك عائشة فقالت لا احب علياً بعد هذا ابدأ وكانت تقول
 لا احب علياً ابدأ أليس هو الذي خلا وصاحبه بجاريتي يسألانه عنى
 وهذا حديث صحيح الاسناد واضح الطريق وهو يتضمن التصريح
 منها ببغض امير المؤمنين (ع) بنصيحة لرسول الله (ص) واجتهاده
 في طاعته ومشورته من غير ان يكون ظلماً بذلك واعتدى عليها فيه
 اذ لو كان ذلك كذلك ونحاشاه (ع) لما سمع رسول الله (ص) مقالته
 ولا قبل مشورته ولا انتهى فيه إلى رأيه ولما صار بعد ذلك إلى الاصغاء
 اليه والاعتقاد في ذلك عليه فدل على صوابه وضلال من مقتله لأجله
 وعاداه فيه (١) .

ومن ذلك ما رواه محمد بن مهران قال حدثنا محمد بن علي بن خلف
 قال حدثنا محمد بن كثير عن اسماعيل بن زياد البراز عن ابي ادريس عن
 رافع مولى عائشة قال كنت غلاماً اخدها وكنت إذا كن رسول الله
 عندها اكون قريباً منها فبينما رسول الله (ص) ذات يوم عندها إذ جاء
 جاء فندق الباب فخرجت اليه فاذا جارية معها انا مغطى فرجعت إلى

(١) تقدم في بعض الحواشي بيان كذب الحديث فانه مروى عنها فقط
 لانه لم ينقله احد من المسلمين غيرها وذكرنا ان المصنف (ره) انما
 ذكر القصة مما شاة مع القوم الذين طربوا التنزيه عائشة بالقرآن ولا
 فاشيخ المفيد لم تحف عليه هذه الظاهرة التي استوضحناها .

عائشة واخبرتها فقالت ادخلها فدخلت فوضعت بين يدي عائشة ووضعت بين يدي رسول الله (ص) فأكل منه فقال يا ليت امير المؤمنين وسيد المرسلين وإمام المتقين يأكل معي. فقالت عائشة ومن ذلك؟ فجاء جاء ففتح الباب فخرجت اليه فاذا هو علي بن ابي طالب دع، فرجعت اليه فقلت هذا علي بالباب فقال ادخله فلما دخل قال له اهلا لقد تمنيتك حتى لو ابطيت لسألت الله ان يأتيني بك اجلس فكل معي اجلس معه ورأيت النبي (ص) ينظر اليه ويقول قاتل الله من يقاتلك وعادى الله من عاداك فقالت عائشة من يقاتله ويعاديه فقال لها انت ومن معك .

وهذا الحديث يدل على عداوتها له من حيث استفهمته عما تعلمه على وجه الانكار ودعائه في آخر القول على من يقاتله ويعاديه لعله بما يكون منها من القتال ايضاً ودعائه على من عاداه ليبين فضيلته وما هي عليه من البغض والشأن له ويزيل الشبهة عن الامة في حقه وصوابه وباطل عدوه في خلافه له وعناده .

ومن ذلك ما رواه غير واحد عن الارقم بن شرحبيل عن عبد الله بن العباس قال قال رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه ابشوا الى علي وادعوه فقالت عائشة لو بعثت الى ابي بكر وقالت حفصة لو بعثت الى عمر فبعثنا الى ابي بكر وعمر فلما حضرا فتح النبي عينيه فرأهما فقال انصرفا فان تكن لي حاجة بعثت اليكما .

وروى اسحق عن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال اغمى علي النبي (ص) ثم افاق فقال ادعوا لي اخي فأمرت عائشة ان يدعوا ابا بكر فدخل فلما رآه رسول الله اعرض عنه فقالت ام سلة ادعوا له علياً فانه اخوه وحبيبه فدعوه فجاء حتى جلس بين يديه فلما رآه ادناه وتجاهه طويلاً وهذا الحديث مع استقامته وكثرة رواته وظهوره في الخاصة والعامة يدل على عداوتها له وحسدها عليه .

ومن ذلك ما احتج عليه اهل النقل من شهادتها لابن بكر في صواب
منعه فاطمة فدكا ومقابلتها في تلك الشهادة امير المؤمنين وع ، فيما ذهب
اليه من استحقاقها ومظاهرة ابني بكر على منع فاطمة من ميراث ابيها
ولم يشركها في ذلك احدى الازواج .

ومن ذلك ما رواه اسحق غن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن
عائشة قالت استشعر رسول الله من المرض في بيت ميمونة فدعى
نساءه فاستأذنهن ان يمرض في بيتي فأذن له فخرج بين رجلين من اهل
بيته احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر يخطان قدماه الارض عاصباً
راسه حتى دخل بيتي قال عبد الله لحدثت عنها عبد الله بن العباس فقال
هل تدري من الرجل ؟ قال ذلك علي بن ابي طالب وما كانت امنا
تذكره بخير وهي تستطيع .

ومن ذلك ان عائشة كانت تدم عثمان وولاته وكانت تقول كل
قول بغضاً منه وترفع قيص رسول الله فتقول هذا قيص رسول الله
لم يبل وقد ابلى عثمان احكامه ولما جاء الناعي الى مكة فنعاه بكى لقتله
قوم من اهل ظنه فأمرت مناديا ينادي : ما بكاؤكم على فعثل اراد ان
يطغى نور الله فأطفأه الله تعالى وان يضيع سنة رسوله فقتله ثم ارجف
بمكة ان طلحة قد بويع له فركبت مبادرة بغلتها وتوجهت نحو المدينة
وهي مسرورة حتى انتهت الى (سرف) فاستقبلها عبد بن ابي سلبه (١)

(١) في تاريخ الطبري (ج ٥ - ص ١٧٢) يعرف بابن ام كلاب
نسبة الى امه ثم ذكر الحديث وذكر ابياته :

منك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الامام وقلت لنا : انه كفر
فهبنا اطعنك في قتله وقاتله عندنا من امر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم يتكسف شمسنا والقمر -

فقات له ما عندك من الحرب قال قتل عثمان قالت فمن ذا ولوه قال بايعوا علياً ابن عم رسول الله (ص) فقات والله لوددت ان هذه تطبق على هذه ان تمت لصاحبك فقال لما عبد بن ابي سلة ولم ؟ فوالله ما على هذه الغبراء نسمة اكرم منه على الله فلماذا تكرهين قوله فقالت لانا عبنا على عثمان في امور سميناها له ولماه عليها فتاب منها واستغفر الله فقبل منه المسلمون ولم يجدوا من ذلك بدأ فوثب عليه صاحبك فقتله والله لاصبح من اصابع عثمان خير منه وقد مضى كما يمضي الرخيص ثم رجعت إلى مكة تنعى عثمان وتقول هذه المقالة للناس : فهل يصح رحمة الله عند احد من العقلاء دخول الشبهة من بغضها او يرتاب مكلف في اعنادها لاميير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرناه .

ومن ذلك ما رواه نوح بن رواح عن ابي اسحق قال حدثني المنهال عن جماعة من اصحابنا ان طلحة لما قدم مكة جاء إلى عائشة فلما رآته قالت يا ابا محمد قتلت عثمان وبايعت علياً فقال لها يا امامة مثلي كما قال الشاعر

ندمت ندامة الكسعي لما رأته عيناى ما صنعت يدها
اولا ترى انها تبدي له العداوة في كل حال وتظهر العناد له بكل مقال
ومن ذلك كتبها إلى الآفاق تؤلب عليه وتخذل الناس عنه من
غير شبهة تعرض في الديانة افعل كان منه كتبت إلى زيد بن صوحان
على ما اجتمعت عليه نقلة الاخبار :

بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة ابنة ابي بكر ام المؤمنين زوجة النبي إلى ابنها المخلص زيد بن صوحان اما بعد إذا جاءك كتابي هذا فأقم في بيتك وخذل الناس عن علي حتى يأتيك امرى وليبلغني عنك ما اقر به فانك من اوثق اهلى عندي والسلام .

— وقد بايع الناس ذا ندره يزيل الشبا ويزيل الصعر
ويلبس للحرب اثوابها وما من وفي مثل من قد غدبر

فكتب اليها زيد بن صوحان :

بسم الله الرحمن الرحيم من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر
أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر أمرك أن تقرى في بيتك
وأمرنا بالجهاد فأتاني كتابك بضد ما أمر الله به وذلك خلاف الحق
والسلام (١) .

ومن ذلك ما تظاهرت به الاخبار وثبتت به الآثار في الكتب المصنفة
في حرب البصرة وغيرها من كتاب عائشة إلى حفصة ما رواه عن الأصم
عن الحسن بن أبي الحسن البصرى قال لما نزل على دع ، ذا قار كتبت
إلى حفصة الذي قدمنا ذكره .

وروى بشر بن الربيع عن عمار الدهنى عن سالم بن أبي الجعد قال
ذكر النبي خروج بعض نسائه وعنده عائشة وعلي حاضر فضحكت
عائشة والتفت إلى علي وقال إذا رأيت من امرها شيئاً فارق بها (٢)
وروى عصام بن قدامة البجلي عن ابن عباس قال قال رسول الله
لعائشة وعنده نساءه ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل تخرج حتى
تنبحها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير كلهم في النار
وينجو بعدما كادت .

وروى أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
قال المسعودي في حديثه قال رسول الله يا علي إذا أدركتها فاضربها
واضرب أصحابها .

(١) تاريخ الطبرى (ج ٥ - ص ١٨٣) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (ج ٣ - ص ١١٩)
ولم يعقب عليه الذهبي وفي تطهير الجنان لابن حجر بهامش الصواعق
المحرقة ص ١٠٨ قال رسول الله لعلي سيكون بينك وبين عائشة أمر
قال علي دع ، أنا أشقها ؟ قال لا فإذا كان ذلك فأردها إلى ما منها .

وروى علي بن مسهر عن هشام عن ابن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله (ص) يا عائشة إنى رأيتك في المنام مرتين أرى
جملاً بمحلك في سدة من حرير فاكشفتها فاذا هي أنت .

أفلا ترى أن رسول الله (ص) نهاها وقد بين ما يكون منها على علم
منه في مصيرها وعاقبة أمرها ثم نهاها عن ذلك وزجرها ودعا عليها
لأجله وتوعدها (ص) فأقدمت على خلافه مستبصرة بعداوته وارتكبت
نهيها معاندة له في أمره وصارت إلى ما زجرها عنه مع الذكر له والعلم
به من غير شبهة في معاندته على أن كتاب الله المقدم في الحجّة على
ما تعمد من أثر وخبر وسنة وقد أوضح ببرهانه على اقدم المرأة على
الخلاف له من غير شبهة وقاتله وقاتل أوليائه لغير حجة بقوله تعالى لها
ولجميع نساء النبي : وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى
فخرجت من بيتها مخالفة لامر الله وتبرجت بين الملأ والصناكر في
الحروب تبرج الجاهلية الأولى وأباح دماء المؤمنين وأفسدت الشرع
على المسلمين وأوقعت في الدين الشبهات على المستضعفين .

ومن ذلك ما رواه أبو داود الطبري عن عبد الله بن شريك عن عامر
عن عبد الله بن عامر قال سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة
أنشدك الله ألم نسمعك تقولين سمعت رسول الله (ص) يقول علي مع الحق
والحق مع علي لن يفترقا حتى يردها علي الحوض (١) قالت بلى فقال لها
إذا كان ذلك مم هذا قالت دعوني والله لو ددت أنهم تفانوا جميعاً فدل ذلك
على أنه لم يعترضها شبهة في قتاله وانها في خلاف الله ورسوله والأخبار
في هذا المعنى كثيرة ان أخذنا في إيرادها طال بها الكتاب فاما ما جاء
في عناد طلحة والزبير لأمير المؤمنين (ع) ، وإقدامها على حرب عثمان

(١) رواه الحاكم النيسابوري في المستدرک علی الصحيحین (ج ٣
ص ١٢٤) ولم يتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرک .

طمعاً في نيل الامر من بعده بغير شبهة في ذلك وانهما كانا متولين
لقتل عثمان فلما بايع الناس لأمير المؤمنين دح، وفاتها ما كانا يأملانه
من التأمير على الناس عمداً إلى حربته ورمياه بما صنعاه بعثمان وعاندا
في ذلك وكابرا ودفعنا به المعلوم.

وروى موسى بن مطير عن الاعمش عن مسروق قال دخلنا
المدينة فبدأنا بطلحة فخرج مشتملاً بقطيفة حراء فذكرنا له امر عثمان
وهم القوم به فقال لقد كاد سفهاؤكم ان يغلبوا عقلاءكم ثم قال اجتم
مكم بحطب ألا تخذوا هاتين الخزمتين فاذهبا بها إلى بابه فأحرقوه
بالنار فخرجنا من عنده وأتينا الزبير فقال مثل قوله فخرجنا حتى أتينا
علياً عند أحجار الزيت فذكرنا امره فقال استتيبوا الرجل ولا تعجلوا
فان رجوع عما هو عليه وإلا فالظروا.

وروى محمد بن اسحاق عن أبي جعفر الاسدي عن أبيه عن عبد الله
ابن جعفر قال كنت مع عثمان وهو محصور فلما عرف انه مقتول بعثني
وعبد الرحمان بن أزهر إلى علي دح، وقد استولى طلحة على الامر
وقال انظروا وقولا له انك أولى بالامر من ابن الحضرمية فلا يغلبك
علي امر ابن عمك.

وروى الفضل بن دكين عن عمران الخزاعي عن ميسرة بن جرير
قال كنت عند الزبير بأحجار الزيت وهو آخذ يدي فأتاه رجل وقال
يا أبا عبد الله ان أهل الدار قد حيل بينهم وبين الماء فقال ادبروا :
(وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم في
شك مريب) فهذه الاخبار وأمثالها قد جاءت بما فعل طلحة والزبير
بعثمان وما أباحه من دمه وان أمير المؤمنين كان معتزلاً لذلك عن عثمان
دافعاً عنه بحسب الامكان ثم جاء بعد ذلك يطلبان بدم عثمان ويدعيان
عليه انه تولى قتله ويقر فانه بما ادعياه ويعملان في قتل أهل الأيمان

وإثارة الفتنة في الاسلام وهلاك العباد والبلاد .

وروى ابراهيم بن عمر عن أبيه عن بشير عن نوح بن دراج ان علياً قال لها والله ما للعمرة تريدان وقد بلغني أمركما وأمر صاحبكما خلفا بالله ما يريدان إلا العمرة .

وروى الحسن بن المبارك عن بكر بن عيسى ان علياً رجع ، أخذ عليها العهد والميثاق أعظم ما أخذه على أحد من خلقه أن لا يخالفا ولا ينكثا ولا يتوجها وجهاً غير العمرة حتى يرجعا اليه فأعطياه ذلك من أنفسهما ثم أذن لها فخرجا .

وروت ام راشد مولاة ام هاني ان طلحة والزبير دخلا على علي فاستأذناه في العمرة فلما وليا من عنده سمعتها يقولان ما بايضا بقلوبنا وانما بايضا بأيدينا فأخبرت علياً بمقالتهم فقال : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجراً عظيماً) ثم قام عليه السلام خطيباً حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اما بعد فان الله لما قبض نبيه قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه وأحق خلق الله به لا ينازعنا في سلطانه أحد فبينما نقول ذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا وأيم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين أن يعودوا إلى الكفر لغيرنا ذلك ما استطعنا وقد وليتمونا أيها الناس أمركم وبايعني طلحة والزبير فيمن بايعني منكم ثم نهضنا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا ما بينكم الفتنة اللهم نغدهما بغشها لهذه الامة وسوء بطرهما .

وفي رواية اخرى في غير هذا الكتاب خطبته هكذا :

اما بعد فانه لما قبض الله رسوله قلنا نحن أهله وورثته وصتره

وأولياؤه دون الناس لا ينازعنا في سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ اتبرى لنا قومنا ففصبونا سلطان نينا فصارت الامرة لغيرنا وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الاعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وأيم الله لولا سخاة الفرقة بين المسلمين وان يعودوا إلى الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الامر ولاة لم يألوا الناس خيراً ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شئتان نبي لامركم وفراسة تصدقني عما في قلوب كثير منكم وبايعني هذان الرجلان في أول من بايعني تعلقون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم إلى آخر ما في المتن قال وقد كان في منع الحسن د ع ، أن يدفن مع جده فيما لاخلاف فيه بين العلماء فيما حورت به القوم إذ قالت مالكم ولي تريدون ان تدخلوا بيتي من لا أحب وكانت مؤذية له في أسباب لا حاجة لنا بذكرها ومن الله نسأل التوفيق لما يرضيه والعمل بما يقرب منه ونستهديه إلى سبيل الرشاد انه ولي الاجابة قريب مجيب والحمد لله حمد العارفين بفضل العوارف وصلوته وسلامه على سيدنا محمد المصطفى من الخلق المبعوث بالحق هلال الدين ونور المتقين وسيد الأولين والآخرين وآله الطاهرين .

الأشهاد للشيخ المفيد

صدر الى الأسواق :

سِرِّ السِّلْسِلَةِ الْعُلُوبِيَّةِ

لِلْأَبِيِّ نَصْرٍ الْبُخَّارِيِّ

غَايَةِ الْاِخْتِصَالِ

يَفِي

الْبُيُوتَاتِ الْعُلُوبِيَّةِ الْمَحْفُوظَةِ مِنَ الْغَيْبَارِ

عَلَى الشَّرَاحِ

لِلشَّيْخِ الصَّدُوقِ

نذة من منشورات

المطبعة الحيدرية - نجف - تلفون (٣٦٨)

(محمد كاظم الكتبي)

العنوان: نجف المكتبة الحيدرية

الامام الصادق ج ٢
بشارة الإسلام
اليقين في الإمرة ،
سعد السعود ،
الشهيد مسلم بن عقيل
مثير الاحزان
غزوات الامير للنقدى
تاريخ الكوفة
قضاء امير المؤمنين
سليم بن قيس
اللاقين للعلامة
الفصول المهمة للحر العاملي
قصص الانبياء للجزاىرى
تزيه الانبياء للمرتضى
اثبات الوصية
عمدة الطالب
الدرجات الرفيعة للسيد علي خان

مناقب آل ابى طالب ج ٣
حق اليقين ج ٢
معالم العلماء
الافصاح فى الامامة للنفيد
الامالى
الرجال والفهرست للشيخ الطوسى
الكنى والالقباج
ابو هريرة
الخصائص الحسينية
تظلم الزهراء
المنتخب للطريحي
الفوادح الحسينية
شجرة طوبى ج ٢
الكوكب الدرى
توحيد المفضل
قصص القرآن
القبائل العراقية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ